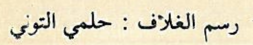
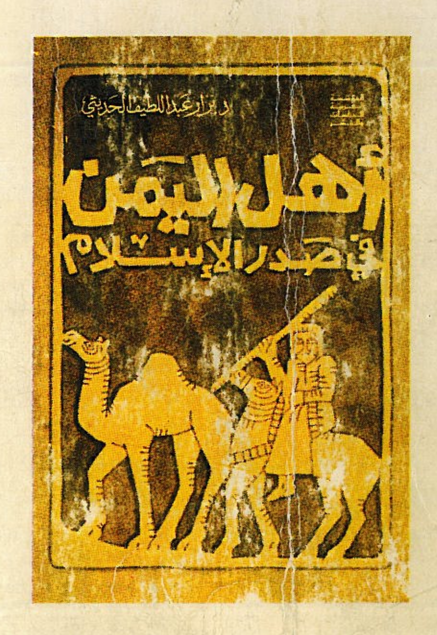
د. نزار عبد اللطيف الحديثي

أهل اليمن في صدر الإسلام

د. نزار عبد اللطيف الحديثي — أهل اليمن في صدر الإسلام — المؤسسة العربية للدراسات والنشر


رسم الغلاف : حلمي التوني



ان هذه الرسالة محاولة لدراسة دور «اهل اليمن» ومدى مساهمتهم في البناء الحضاري للامة . ومن المعلوم ان اهل اليمن اتصلوا بالاسلام في حياة الرسول ثم ساهموا في حروب التحرير في وقت مبكر، باعداد كبيرة من مختلف الطبقات والمناطق، فكونوا غالبية الجيش العربي الذي خاض غمار المعارك الحاسمة الاولى . ثم استقروا في الامصار الاسلامية التي اصبحت المراكز الرئيسية للحضارة والحياة النشطة وساهموا بنصيب غير قليل في الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية ، وقد ادرك المؤلفون العرب تميزهم فكانوا يسمونهم « أهل اليمن » تمييزا لهم عن غيرهم ، ولما كان فهم عوامل ومظاهر ومدى هذه المساهمة بشكل دقيق لا يتم الا اذا فهمت الاوضاع المحيطة بهم عندما بدأوا بالقيام بدورهم فقد رأيت ان ابدأ بدراسة احوال اليمن عند ظهور الاسلام ، لما لذلك من علاقة وثيقة بموقف اهل اليمن من الاسلام ، وبتحركهم لخدمته ، ثم لاسهامهم في تكوين الحضارة والحياة الجديدة في الامصار .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية صالحة وسمدي - شارع سوريا - تلفون ٢٥٦١١٠ - ص.ب ٥٤٦٠-١١
بناية برج شهاب - تلة الخياط - تلفون ٣٠٦٢٨٣ - ص.ب ٥١١٩-١٩
برقيا : موكيالي - بيروت

السعر ١٢ ل.ل
او ما يعادلها

أهل اليمن في صدر الإسلام

دورهم واستقرارهم في الأمصار

د. نزار عبد اللطيف الحديثي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية صالحة وصمدي - شارع سوريا - تلفون ٢٥٦١١٠ - ص.ب ٥٤٦٠-١١
بناية برج شهاب - تلة الخياط - تلفون ٣٠٦٢٨٢ - ص.ب ٥١١٩-١٩٠
برقيًا: موكيالي - بيروت

المقدمة

مهما كان للعرب من تراث حضاري ودور في الازمنة القديمة ، فان دورهم التاريخي الكبير يتجلى في الدولة التي شيدوها عند ظهور الاسلام ، وفي الحضارة الفتية المزدهرة التي وضعوا اسسها وقاموا بتوجيهها واشرفوا على بنائها ، فامتدت آثارها الى ما وراء حدود دولتهم ، وظلت حية في نفوس الملايين من اهلها ، تنسق نظمها حياتهم ، ويرهف فنها وجمالها ذوقهم ، وتستثير قضاياها تفكيرهم ، وتغذي مثلها روحهم ونفوسهم ، ويقرر طابعها خصائصهم التي تميزهم ، ويدفع عمق آثارها في نفوسهم روح التعاون والاعتزاز والصمود بوجه كل متحدّ.

وبالرغم من سعة هذه الحضارة وشمولها وتطورها ، فان اسسها وضعت عند ظهور الاسلام ، وتقررت اتجاهاتها في اوائل العهود الاسلامية وكان للعرب الدور الاول في وضع اسسها وتقرير اتجاهاتها ، وفي تنميتها ورعايتها .

ولا ريب في ان الاسلام ابرز مؤثر في الحضارة العربية ، فهو الذي رسم للأمة مثلاً عليا جديدة ، ووضع لها نظماً شاملة تكاملت فيها الجوانب الروحية والمادية ، والخلقية والاجتماعية والسياسية ، وقد عمل الرسول « ﷺ » على نشرها بين الناس ، وعلى تطبيقها في الحياة ، وبناء مجتمع جديد يقوم على اساسها .

ولقد ادرك الرسول « ﷺ » منذ البداية ضرورة توفر العناصر التي تؤمن بالعقيدة الجديدة ، وتناضل لنشرها ، وكان طبيعياً ان يفكر بالاعتماد على العرب فهم قومه الذين ينتمي اليهم ، وعاش بينهم ، الا انه كان يدرك ايضا ان العرب يعانون من التفكك السياسي ، وفقدان المثل العليا التي ترتفع بتفكيرهم ، وتجمعهم وتوجههم الى القيام بدور حضاري بناء ، اي الى عقيدة تسمو بأفكارهم

وتكون قوة محركة لهم ، الامر الذي يسر للساسانيين والروم الهيمنة على اطراف الجزيرة العربية ، وحصر اهلها ومحاولة مدّ سلطانهم وفرض سيطرتهم عليها جميعاً ، والعمل على ابقائها مفككة خاضعة لمؤثراتهم ومصالحهم .

وقد أقتضت الظروف المحيطة بالرسول « ﷺ » في السنين الاولى من الهجرة أن يركز اهتمامه على المدينة ، ليجعل منها ومن المسلمين فيها النموذج الواقعي للنظام الذي يعمل على تحقيقه ، غير ان هدفه كان عاماً وشاملاً ، فقد ارسل « للناس كافة » و« رحمة للعالمين » ، لهذا فكّر منذ وقت مبكر في توسيع نطاق دعوته ، ونشر المثل العليا الجديدة بين الناس لتوحدهم وتجمعهم روحياً وفكرياً وسياسياً .

وبعد أن تمّ تحرير مكة من الوثنية أصبح الحجاز كله موحداً في الدولة الجديدة ولأهله عقيدة واحدة ، وقد كان لتحقيق وحدة الحجاز أثره في إيقاظ العرب وتنبيههم الى أهمية القوة الجديدة ، فأقبلوا يعلنون اعتناقهم لمثلها واستعدادهم للانضمام اليها والمساهمة في البناء الجديد ، وبذلك امتدت دولة الرسول « ﷺ » بصورة سلمية وسريعة فأصبحت تشمل كل ارجاء جزيرة العرب تقريباً .

ولما حقّق الرسول « ﷺ » وحدة الحجاز ودخلت وحدة الجزيرة العربية في مرحلة التحقيق ، ارسل رسله الى الدول والقوى المهيمنة على الجزيرة العربية وأطرافها ، يحملون الرسائل التي تدعوهم الى الدخول في الدين الجديد ، اي بعبارة العصر دعاهم الى اعتناق الدين الجديد والى الجلاء عمّا يهيمنون عليه من الأراضي .

بيّنت هذه الرسائل اهداف الرسول « ﷺ » الواسعة في استكمال تحرير العرب وتحقيق وحدتهم السياسية والروحية ، وقد اولى الرسول « ﷺ » اهتمامه لجبهة الشام ، اذ لها صلة اوثق من الناحية الجغرافية والستراتيجية بقاعدة الاسلام في المدينة والحجاز ، وان وجود الاعداء فيها يهدد امن تلك القاعدة ،

ويعيق تنفيذ خطط الرسول « ﷺ » في اكمال تحرير العرب وتوحيدهم .

لقد أدى الأقبال الواسع ، والحماسة الجديدة ، الى انتشار الاسلام وتوسع دولته حتى شملت كل الجزيرة تقريباً بصورة سلمية وبفترة وجيزة من الزمن . تقدمت وفود العرب تعلن ولاءها للدولة الجديدة وتعتنق مبادئها ، وقد عرف مؤرخو السيرة هذه الظاهرة وادركوا تميّزها ، فسموا العام الذي تلا عام تحرير مكة « عام الوفود » وسجلوا عنها نتفا من معلومات متفرقة ، ولكنهم لم يقدموا صورة مستوعبة كاملة لها بالرغم من اهميتها العظيمة في تاريخ تطور الاسلام ونمو دولته .

غير ان التدقيق في المعلومات ، والتعمق في البحوث يؤدي الى صورة أشدّ تنوعاً وتعقيداً من الصورة البسيطة التي قدمها مؤرخو السيرة ، وهذا بدوره يعين على فهم أوضح وأدق لأسباب كثير من الحوادث التالية التي لها أثر عميق في مجرى التاريخ والحضارة العربية والاسلامية .

ذلك ان جزيرة العرب كانت مفككة سياسياً ، منوعة حضارياً وثقافياً ، بالرغم من بعض مظاهر هذه الوحدة التي تتجلى في اللغة وفي النظم الاجتماعية المتشابهة وبعض العقائد الدينية العامة التي ترجع الى أزمنة موغلة في القدم ، وبالرغم من توفر سبل الاتصال المادي والثقافي بين اهلها .

ولا ريب في ان الأقبال الظاهري على الاسلام والأنضمام الى دولته لم يكن عاماً بالشكل الذي صوره مؤرخو السيرة ، ولم تكن دوافعه وعوامله واحدة ، كما انه لم يحدث كله في وقت واحد . ولا بد لفهم التطور الحقيقي للأحداث من دراسة دقيقة متعمقة لوضع كل « جماعة » او « منطقة » ومعرفة موقفها من الاسلام ، واثر اوضاعها في المواقف التي اتخذتها .

ومن المؤكد ان من أروع ما حققه الرسول « ﷺ » في هذه الفترة هو ان العرب عموماً أصبحت لهم قناعة ذاتية بالاسلام ، فكان ذلك دافعاً شاملاً

وقوياً طغى على تلك القوى المرتبطة بالقديم الموروث في الجزيرة العربية فلم تجرأ على رفع صوتها بالمعارضة ، ولم تعمل على التكتل لصد التيار الجديد .

وقد استغلت هذه القوى وفاة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لتأكيد كيانها ، ولكن الخليفة ابا بكر الصدّيق (رضي الله عنه) قضى على حركاتها ، وثّبت الوحدة السياسية ، وركّز السلطة المركزية ، وضمن سيادة المثل الاسلامية على كل الجزيرة . ولم يتأخر في تنفيذ الخطوات اللازمة لتحرير الأراضي العربية ، فأرسل الجيوش ، وأشرف على الحركات العسكرية ضد القوى الأجنبية المسيطرة عليها ، ثم تابع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تلك السياسة ، فاستطاعت الجيوش العربية سحق الجيوش الأجنبية ، وتحرير الأراضي العربية في الشام والعراق ومصر ، فبرز واجب جديد امام الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، وهو تحويل الوحدة السياسية الى بناء مادي قوامه تنظيم اداري وعسكري شامل يتسم بتركيز السلطة المركزية باعتبارها رمزاً لوحدة الأمة ، وتعبئة كل قوى الأمة والأفادة من خصائص التنظيم في تحقيق الهدف الستراتيجي لها . وهو بناء دولة الدين الجديد .

وفّر هذا النظام للفرد العربي الحرية ، واصبحت له دولة تحميه وتؤمن له حياته ، وتضع للمفاضلة بين الناس مقياساً جديداً هو مدى تمسكهم بالمثل الجديدة ، وخدمتهم للمجموع ، دون الاقتصار على التعصب القبلي الضيق الاعمى . فتفتحت امكانياته وتحول في وقت قصير الى قوة مبدعة متفجرة .

وقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تنظيمات ادارية عامة لتطبق على كل الدولة الجديدة ، وراعى فيما وضعه مبادىء العدالة ومصلحة الجماعة ، واتاح فيها لكل فرد فرصة خدمة المجموع كما ان الدين الاسلامي رسم لهم مثلاً عليا واحدة ، ووضع لهم نظماً متشابهة ، وبذلك اقام أسس الوحدة الفكرية والاجتماعية ، وشجع على نشرها بين الناس .

ولكن عملية التوحيد التام لم يكن بالامكان أن تتم بنجاح كلي أو

بسرعة كبيرة ، لأن التنظيمات التي وضعت كانت محدودة ، والمبادىء والمثل المرسومة عامة ، اما تفاصيل التطبيق وجزئيات الحياة فكانت تحكمها عوامل اخرى منها بعض التقاليد والتراث المتأصل الذي بقي حيّا ما دام لا يعارض المبادىء الاساسية او أمن الدولة ، وما دامت مبادىء الدين الجديد وسياسة الدولة تؤمنان بالحرية الفردية وتوازن بينها وبين الحرية الاجتماعية ، وأدى كل ذلك الى أن يكون للتراث الموروث أثر في صياغة تفاصيل نظم الحضارة الجديدة في هذا الدور التكويني المبكر .

ولا ريب في ان العرب كانوا المهيمنين على الدولة الجديدة ، فمنهم الخلفاء والقواد والاداريون والمقاتلة ، ومنهم المستشارون الموجهون لها ، فدورهم في صوغ هذه الحضارة وصيانتها هو الاكبر من بين ادوار كافة الشعوب التي اعتنقت الاسلام .

غير انه بالرغم مما للعرب من تراث لغوي وثقافي موحد ، ومن عوامل التوحيد الجديدة التي وضعها الاسلام ، فانه كانت لهم تقاليد محلية متعددة ومتنوعة ، وكانت لهم مستويات متباينة في الحضارة ، وقد ساهمت هذه كلها في بلورة الحضارة الجديدة ، الا ان هذه المساهمة لم تتم بين عشية وضحاها ، كما انها لم تكن بمقدار واحد .

وقد جرت دراسات غير قليلة عن كل او بعض جوانب الحضارة الاسلامية العظيمة والمعقدة والتي لا نعرف الا بعض مظاهرها البارزة وبعض احداثها . وبالرغم من قيمة كثير من هذه الدراسات المنجزة ، الا انها لا تكفي لاعطاء صورة دقيقة كاملة عن عناصر وكيفية تكوين البناء الحضاري الذي هو جوهر تطور الامة ككل ، وهو اهم ما يجب ان يدرس .

ان هذه الرسالة محاولة لدراسة دور « اهل اليمن » ومدى مساهمتهم في البناء الحضاري للامة . ومن المعلوم ان اهل اليمن اتصلوا بالاسلام في حياة الرسول ثم ساهموا في حروب التحرير في وقت مبكر ، باعداد كبيرة من مختلف

الطبقات والمناطق ، فكانوا غالبية الجيش العربي الـذي خاض غمار المعـارك الحاسمة الاولى . ثم استقروا في الامصار الاسلامية التي اصبحت المراكز الرئيسية للحضـارة والحياة النشطـة وساهمـوا بنصيب غـير قليل في الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية . وقد ادرك المؤلفون العرب تميزهم فكانوا يسمونهم « اهل اليمن » تمييزا لهم عن غيرهم ، ولما كان فهم عوامل ومظاهر ومدى هذه المساهمة بشكل دقيق لا يتم الا اذا فهمت الاوضاع المحيطة بهم عندما بدأوا بالقيام بدورهم فقد رأيت أن ابدأ بدراسة احوال اليمن عند ظهور الاسلام ، لما لذلك من علاقة وثيقة بموقف اهل اليمـن من الاسـلام ، وبتحركهـم لخدمتـه ، ثم لاسهامهم في تكوين الحضارة والحياة الجديدة في الامصار .

ومن المعلوم أن الاوضاع الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية كانت متنوعة ومتعددة ، والوصف الشائع لهم انهم ما بين « دابغ جلد أو ناسج برد او سايس قرد أو راكب عرد »[١]، انما يعبر عن تنوع الممارسات الاقتصادية لاستغلال الموارد الطبيعية التي تتطلب الافادة منها جهدا بشريا كبيرا ، ويبدو منها عدم كفاءة اليمن لممارسة نشاط اقتصادي واحد او الاقتصار عليه فقط ، وبما ان امكانية اليمن من المياه هي امكانيات فصلية ، فقد فرضت هذه الوضعية على النشاط الاقتصادي الاعتماد على نظام دقيق للري ، وتدريجيا مع تطور النشاط الاقتصادي اصبح نظام الري مرتبطا بادارة ذلك النشاط ايضا وبالسلطة السياسية السائدة .

أثرت أوضاع اليمن في البناء الاجتماعي ، فقوت الكيانات القبلية ، ومع أن تطور الانتاج الاقتصادي يستوجب نظاما اداريا معينا يلائمه ونظاما سياسيا يقوم على ذلك النظام الاداري ، ورغم الانتاج المتنوع الواسع في اليمن فان المجتمع ظل عموما قائما على التنظيم القبلي . وقد بلغت بعض قبائل اليمن من القوة ما مكنها من السيطرة على قبائل اخرى مكونة دولا تحكم بسلطان على القبائل التابعة لها وعلى اراضيها ايضا . وقد وصل كثير من اهل اليمن الى مستوى عال من التحضر والتقدم في

عدد من جوانب الحياة عبر حقب طويلة من الزمن ، وبفضل جهود عدد كبير ممن ساهموا في بناء وتقدم تلك الحضارة التي كانت عند ظهـور الاسـلام عميقـة الجذور . شاملة لكثير من نواحي الحياة وكان لها اثر في مقاومة الحكم الاعجمي الذي حاول السيطرة عليها قبيل الاسلام ، ولا بد انها جعلت لاهل اليمن الذين هاجروا بعد التحرير واستوطنوا الامصار الاسلامية دورا خاصا يتميز كما ونوعا عن الدور الذي كان للبدو المهاجرين من الصحراء ، وليس من قبيل الصدف أن تسند الدولة تنظيم خطط الامصار والاشراف على انزال الناس فيها في حمص والفسطاط الى رجال من اهل اليمن . فخطط حمص تولاها السمط بن الاسود الكندي ، وخطط الفسطاط تولاها اربعة من رجالات اليمن هم معاوية بن حديج التجيبي من كنده ، وشريك بن سمي الغطيفي من مراد ، وعمرو بن قحزم الخولاني من خولان ، وحيويل بن ناشرة من المعافر ، وهذا يدل على تأصـل الاستقرار واتساع الافق والخبرة السابقة في هذا المجال . كما انه ليس من قبيل الصدف ، ولا من غير تأثير ان يكون من قضاة الامصار الاولين عدد من اهل اليمن الذين ظل بعضهم يمارس القضاة امدا طويلا واكتسبوا شهرة عالية . كما ظهر منهم عدد غير قليل من الفقهاء الاولين الذين احتلوا مكانة مرموقة ، واعتمد الناس على احكامهم وآرائهم. ولا يخفى ان اعظم فقهاء اهل المدينة وهو مالك بن انس ، يماني من قبيلة اصبح ، كما برز اهل اليمن في الادارة وتولى عدد منهم مناصب في الشرطة والخراج وبيت المال ، حتى ان معاوية بن ابي سفيان كتب لعامله على مصر يقول : « لا يتولى عملك الا ازدي او حضرمي فانهم اهـل الامانة »

ان هذه المساهمات الكبيرة المنوعة لاهـل اليمـن في بنـاء الحضـارة الاسلامية في مراحلها الاولى ، لا ترجع الى كثرة عدد من هاجر منهم ، فان قبائل اخرى هاجرت باعداد كبيرة الى الامصار ، كما انها لا ترجع الى مجرد ظهـور الاسلام واثره كقوة محركة لامكانياتهم ، إذ ان اثر الاسلام عام على الجميع ، انما الراجح ان ذلك كله يرجع الى خصائص واحوال اتسم بها اهل اليمن ، وفي هذه

الرسالة نحاول دراسة الاوضاع والاحوال التي كانت قائمة في اليمن عند ظهور الاسلام ، واثرها في مساهمة اهل اليمن في حروب التحرير وفي الاستقرار في الامصار ، وتشمل هذه الدراسة بحث مظاهر التنظيم والحضارة في الامصار الاولى ودور اهل اليمن في بنائه وتوجيهه . ونحن في بحثنا هذا نؤمن بوجود جماعات اخرى من العرب وغيرهم ساهمت في بناء التنظيم والحضارة ، وان قوى اخرى كان لها اثر في توجيهها وازدهارها ، ولكن التعمق الذي يقتضي حصر الموضوع يجعلنا نقتصر على بحث اهل اليمن ودورهم ، ادراكا منا لدورهم الكبير واهمية تراثهم الحضاري في تأهيلهم لذلك الدور ، ونرجو ان نكون موفقين في لفت النظر الى مدى تعقد وشمول الحضارة حتى في ادوار تأسيسها الاولى ، وان تكوين الدولة والحضارة لم يعتمد على البدو الرحل ، وان جزيرة العرب عند ظهور الاسلام رغم فقدانها الوحدة السياسية ، الا انها في بعض مناطقها على الاقل ، وصلت الى مستوى عال من النمو والتعقد ، كما يتجلى في اليمن وهو موضوع دراستنا .

الا ان هذه الدراسة تواجه صعوبات متعددة ، لعل ابرزها ، انها دراسة لجانب من بناء حضاري واسع معقد ، عاشه الناس وسجلوا بعض مظاهره واحداثه ، واغفلوا تسجيل كثير من عناصره ومظاهره ، بل العوامل المؤثرة في صياغته وتفاعل عناصره . ومن المعلوم ان هذا البناء الحضاري مترابط في عناصره ، مستمر في نموه ، وقد امتد الى بلاد واسعة ، وتأثر بعوامل متعددة محلية وعامة ، منها ما يتعلق بالخلفية التاريخية للمساهمين فيه ، ومنها ما يتعلق بالاتجاهات الاساسية للحياة الجديدة ، وهي جميعا تلتقي في انجاز البناء الحضاري الذي رسمه الاسلام وعمل على تنفيذه الرسول ﴿ﷺ﴾ والخلفاء والمسلمون الاولون ، وامتد حتى الى عامة الناس وحياتهم اليومية ، وارتباطها بالحياة العامة .

ان الفصل بين تلك العوامل جميعا واعادة تقويم اهميتها امر صعب التحقيق ، وكثيرا ما يتطلب اعطاء اهمية لبعض ما يتراءى للمؤرخين والناس

امورا بسيطة وثانوية فيذكرونها عرضا أو يسكتون عنها ولا يشيرون اليها ، او عندما يحرِّفونها لاعتبارات معينة او يضيفوا عليها تفصيلات خاصة ، فضلا عن ان التناول المستقل الذي مارسه المؤرخون لاحداث المجتمع العربي الاسلامي ، وتصورهم ان هذه « الجزر المستقلة » التي يتناولونها من ضمن الاحداث العامة ، او مظاهر الحياة اليومية ، هي بديل للكل او معبر عنه . علما بان النظرة الشمولية في مثل هذه الامور اساسية لانها تحدد حجم الحدث الجزئي وبالتالي تقرِّر موقعه من الاحداث الاساسية في الحقبة التاريخية موضوع البحث .

لقد قسمت بحثي الى ثلاثة ابواب رئيسية . بحثت في الباب الاول احوال اليمن عند ظهور الاسلام ، فوصفت جغرافية اليمن وطبيعتها وامكانياتها بصورة عامة ، واظهرت فيه ما لليمن القديم من اوضاع خاصة رسمتها عوامل السمات الحضارية وانتشار السكان، فقد كانت حدوده البشرية تصل الى منطقة جرش قرب مدينة ابها في عسير الآن . وهذا الامتداد الواسع منح اليمن تنوعا في شكل الارض والامكانيات المتوفرة فيها . واعطاه ايضا موقعا بارزا في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية من مزاياه الاساسية طول سواحله على البحرين الاحمر والعربي .

ثم درست احوال السكان في صدر الاسلام ، وشمل بحثي تركيبهم الاجتماعي ، ومدى التطور الذي اصاب المجتمع ، والعلاقة القائمة بين المراكز الحضرية ومراكز البداوة ، ووضعها الاجتماعي والسياسي ونشاطات السكان المختلفة والعلاقة بين كل ذلك وبين طبيعة اليمن .

وعرضت للاحوال السياسية في اليمن وموقف اهل اليمن من الاحتلالين الحبشي والساساني اللذان تتابعا على اليمن قبيل ظهور الاسلام ، ثم العلاقة بين سكان المدن والارياف والبدو وتطور هذه العلاقة عند ظهور الاسلام .

وخصصت الباب الثاني لدراسة اتصال الاسلام باليمن ، وحاولت فيه

تحديد خطوات هذا الاتصال ، وموقف الاطراف المختلفة فيه ، أي موقف كل من اهل المدن والارستقراطية واهل الارياف والبدو ، ثم موقف الفرس في اليمن من الاسلام . وركزت على موقفهم جميعا من سلطة الخلافة في المدينة بعد وفاة الرسول ﴿ﷺ﴾ ، والتطورات التي اعقبت ذلك ، ثم تطرقت الى تحليل ما اذا كان ذلك الموقف ناشئا عن معارضة للدين او معاداة للسلطة المركزية ام انه مجرد تطور في موقف تأريخي قديم كان موجودا قبيل الاسلام [٢] .

ثم درست موقف اهل اليمن من الدعوة الى الجهاد ، واجابتهم لها والمشاركة في تحرير الشام والعراق ومصر من السيطرة الاجنبية ، وكيف تم انتقالهم واتجاهات عملية الانتقال ، ثم عدد أهل اليمن الذين انضموا الى الجيش العربي وقاتلوا ، وعوامل انضمامهم في ذلك الزمن المبكر الذي لم يتضح فيه بعد مستقبل تلك الحروب .

أما الباب الثالث فقد درست فيه مساهمة أهل اليمن في الحياة العامة ، فدرست استقرار أهل اليمن وتوزيعهم الجغرافي في الامصار ، واسس ذلك التوزيع والعوامل التي تحكمت فيه . وقد شملت الدراسة استقرارهم في حواضر بلاد الشام وطبيعته وكذلك خططهم في الفسطاط والكوفة ودورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية للامصار ، والمكانة التي شغلها أهل اليمن في المجتمع العربي الاسلامي عموما ، من خلال الوظائف التي شغلوها والمواقف التي اتخذوها وموقعها من الموقف العام لسكان الامصار .

لقد قام عدد من الباحثين بدراسات متعددة منها ما له صلة بدراستي وبالرغم من اهمية بعضها وسعة المعلومات التي وردت فيها ودقة التحليل وصواب الاحكام ، الا ان معظم هذه الدراسات كانت جزئية تناولت جانبا من الموضوع ، وعانت من بعض المشاكل التي من ابرزها قلة اهتمام الكتب والمصادر القديمة بهذه المواضيع ، وتفرق الاشارات في هذه الكتب واقتضاب النصوص وغموضها احيانا . وكان هذا من الاسباب التي حملت معظم الباحثين المحدثين على الاهتمام

بدراسة النصوص دراسة لغوية وحاولوا تحليلها وتصوير الوضع المحدود الذي يقدمه النص ولم يحاولوا تقديم صورة اوسع للاحوال وتطورها ، أي انهم في الغالب درسوا تلك النصوص والاشارات بشكل انفرادي ومجرد من ارتباطاته سواء بما قبله من التأريخ او بما عاصره واتصل به من الاحداث وفي مقدمة هذه الدراسات مؤلفات الاستاذ الفاضل الدكتور جواد علي ، ففي كتابيه «تاريخ العرب قبل الاسلام» ، «والمفصل في تأريخ العرب» قدم عرضا لجوانب متعددة من تأريخ اليمن وقدم اراء في الكثير من مشاكل اليمن التاريخية ضمن دراسته العامة لتأريخ العرب .

وقد تمت دراسات غير قليلة لنقوش اليمن ووضعت عنها بحوث وضعها اساتذة متخصصون في دراسة تلك النقوش . بالاضافة الى دراسات اخرى رغم مشاكلها التي اشرت اليها الا انها مهدت لي السبيل بان اطلعتني على بعض المشاكل مما اعانني على تفهم ادق وتصور اشمل للكل الذي يفترض ان تنتظم فيه الجزئيات . وقد استطعت بما اضفته من اشارات ان اجمع مادة بحثي وارسم صورته العامة .

لقد اعتمدت في جمع المادة المتعلقة بموضوع بحثي على المصادر العربية القديمة ، ومعظمها مصادر شمالية كتبت خارج اليمن وخاصة في الامصار الاولى كالكوفة والفسطاط ، أو في بلاد الشام ثم في بغداد ، وقليل منها مصادر كتبها يمانيون من اليمن ذاتها ، غير ان كل هذه المؤلفات تتسم عموما بانها دراسات قائمة على معلومات جمعت عن افراد او جماعات ، او جوانب معينة من جوانب العصر ، اما التطور الكلي للمجرى الحضاري فلا تجد عنه الا اشارات مقتضبة متناثرة رغم ما في بعضها من عمق وبصيرة . ولما كانت هذه المؤلفات متأخرة عن الفترة التي بحثتها لذلك فان كثيرا من معلوماتها وصلت الينا « بمصفاة » ولما كانت هذه الكتب قد كتبت اساسا لمؤلفات عامة فانها لم تفصل في احوال اليمن عند ظهور الاسلام خاصة ، ولم تفرد لاهل اليمن في داخله او خارجه فصولا خاصة . ولهذا لم يحظ اليمن بأهتمام كبير في المؤلفات العربية الاسلامية ، واتسمت

المعلومات المتعلقة به بالاختصار والاقتضاب . وربما يرجع بعض هذا الى عوامل منها ان التواريخ المكتوبة هي تأريخ عام للدولة ، التي كانت أشد اهتماما بالمدينة والشام ثم بغداد عندما اصبحت مقام الخلافة ، ومركز النشاط السياسي والفكري والاجتماعي . اما اليمن فلم تحظ بمثل هذا الاهتمام لبعدها عن مراكز الحيوية في الدولة الاسلامية وعزلتها النسبية عن تلك المراكز . وحتى اليمانيون الذين ساهموا بالتأليف اتسمت كتاباتهم بهذه السمة ، ومن المعلوم ان الزمن قد باعد بينهم وبين اليمن في الفترة موضوع البحث ، فزاد من جهلهم وغموض افكارهم عن فترة بحثنا .

وأبرز مؤثر في كتابة التاريخ في مجال بحثنا عموما ، هو ما تميَّز به المجتمع العربي من انقسام الى كتل قبلية بعضها كان كبيرا ولها دور مؤثر في الاحداث وابرزها « اليمانية والقيسية » ، مما دفع بعض المؤرخين تحت تأثير الولاء القبلي الى ان يسحبوا التاريخ الى الوراء ، وان يصوغوا بعض احداثه وفقا لمقتضيات ولائهم وآرائهم والروح السائدة في عصرهم . وقد كان لهذا الاتجاه اثره على المؤرخين من أهل اليمن الذين كتبوا في تاريخ اليمن ، ويتضح ذلك في اللغة التي استعملوها في تدوين المعلومات عن الاحداث التي سبقت الاسلام ، كذلك في ارجاع اسلام أهل اليمن الى حقبة قديمة نسبيا تعود الى ما قبل هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ الى يثرب ، فاضاعوا بذلك فرصة الالمام الدقيق بفترة الاحتلال الفارسي لليمن ، وهي الفترة التي تجلت بادعاءاتهم عن اسلام باذان والابناء طواعية بينما نجدهم من حاشية الاسود العنسي سنة ١١ هـ ونجدهم غير مسلمين .

قدمت المؤلفات الاسلامية معلومات مهمة تعين عند اتقان معالجتها على فهم اوضاع اليمن واهلها ، فقد ظهر في الامصار مؤرخون ذكر كل منهم في مؤلفاته معلومات مهمة عن اليمانيين ، ومن ابرز الكتب التي تضمنت معلومات ذات قيمة في بحثنا هي الكتب التي تحدثت عن حروب التحرير ، وكتب الانساب ، وكتب الطبقات .

ولما كان أهل اليمن قد اتصلوا بالرسول ﴿ﷺ﴾ في حياته وكونوا نسبة كبيرة من الجيوش العربية الاسلامية الاولى ، والتي شكلت فيما بعد نواة سكان الأمصار ، فقد وصلت الينا اسماء كثير من اليمانيين وقبائلهم ممن شاركوا في حروب التحرير ، ومعها اشارات عن بعض جوانب أوضاع اليمن آنذاك ، مما اكسب هذه الكتب اهميتها الكبرى ، خاصة وان كثرة اليمانيين في الأمصار التي ظهر فيها هؤلاء العلماء ، وبين أوساط العلماء نفسها ، قد هيّأ لبعضهم مكانة بارزة في الحركة الفكرية .

ظهر من أهل اليمن عدد غير قليل من العلماء والمفكرين في عدة فروع من المعرفة ، كما ظهر من أهل اليمن المستوطنين في الأمصار عدد من المؤرخين الذين الفوا الكتب ، ورويت عنهم الأخبار ، غير انه لم يؤلف أحد منهم كتاباً وصل الينا عن اليمن . وأول ما وصل الينا عن اليمن واوسعه هي كتب الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) الذي الف للمكتبة العربية كتباً هي من أروع الكتب في موضوعها وأجلّها اطلاقاً ، لا في احوال اليمن فحسب بل في الفكر العربي ايضا ، فقد كتب معلومات غنية عن اليمن خاصة ، وكشفت لنا هذه المعلومات عن احوال حقبة من تأريخنا ، واظهرت شمولية الدور الحضاري للأمة ، في عموم وطنها دون الاقتصار على مراكز الحضارة المعروفة في العراق والشام ومصر .

لقد وصل الينا من مؤلفات الهمداني كتاب « صفة جزيرة العرب » وكتاب « الجوهرتين » ، وبعض اجزاء كتاب « الاكليل » .

ولكتاب صفة جزيرة العرب[٣] اهمية كبيرة في المواضيع التي درستها في الباب الأول ، ومع انه ألف في وصف جزيرة العرب ، الا أن معلوماته في غالبيتها كتبت في وصف اليمن ، فقد ضمّنه مؤلفه معلومات مفصلة ووثيقة عن جغرافية اليمن ، فاستعرض طبيعة أرضه ، جبالها ووديانها وسهولها وصحاريها وما ينبت فيها من نبات وما عليها من مجار مائية ومراكز حضرية ومعادن وحيوانات وآثار ، وتحدث عن سكان كل منطقة وانتسابهم القبلي ، ووضعهم ونشاطهم وطباعهم

واللهجات المحلية . وقد اعتمد الهمداني على معلوماته ومشاهداته الخاصة والمباشرة ، فلم يورد فيه ذكراً لراو اعتمد عليه حيثما كتب عن اليمن . ويبدو ان المطبوع من كتاب الصفة غير كامل المعلومات فقد لاحظت في حديث الهمداني عن مخاليف اليمن انقطاعا في المعلومات عند الانتقال من منطقة الى منطقة ومثل هذا النقص غير طبيعي اذا لاحظنا سعة المعلومات وتسلسلها في الكلام عن بقية المناطق ، غير ان النقص الواضح في الكتاب يظهر بارزاً عند الحديث عن معادن اليمن حيث يقول : « معادن الجوهر ، وقد ذكرنا معادن الذهب »(٤) . في حين انه لم يذكرها . واقتصر على ذكر معادن ربيعة واليمامة في بحث مفصل . ولما كان الهمداني يمانيا فالمفروض ان يكون بحثه عن ذهب اليمن لا يقل قيمة عن بحثه عن معادن اليمامة ، خاصة وانه وضع كتاباً في معادن اليمن سماه « الجوهرتين » ، وقد لاحظت ان ما ذكره عن الذهب في كتاب الجوهرتين يختلف عن الاشارات المتناثرة التي سجلها في كتاب الصفة . ثم ان الهمداني بحث عن اليمن في كتاب الصفة في مكانين منفصلين ، فبعد ان فصّل جغرافية اليمن وتوزيع قبائلها انتقل الى الطائف ونجد ثم عاد الى اليمن يتحدث عن عجائبها في بحث منفصل يحوي معلومات اقتصادية وبشرية مهمة .

ان أهمية كتاب الصفة لا تقتصر على المعلومات المباشرة التي قدمها عن اليمن فقط ، بل تشمل ايضا الاشارات القيمة والمتعددة التي اوردها بصورة عرضية عن طبقات اجتماعية أو فئات ، وتشمل ايضا ما استخدم من عبارات ومصطلحات تشير الى تنظيم اجتماعي واقتصادي وحضاري .

ان هذه المعلومات تقدم مادة اساسية عند التدقيق في دراستها وتحليلها وربطها وتعطي صورة لأوضاع ونظم قديمة بعد الزمن بينها وبين الهمداني فلم يستطع ان يقدمها كاملة . فما اشار له من مجتمعات او تشكيلات اجتماعية . وما اطلقه على مراكز الاستيطان من اسماء وتعريفات ، تشير الى شكل المجتمع القديم في اليمن وعلاقات الانتاج السائدة فيه ، وشكل بنائه السياسي قديماً وهي

امور تختلف عن الأوضاع القبلية التي قدمها الهمداني عن اليمن في القرن الرابع الهجري .

وقد سجل الهمداني التمايز بين النشاط الاقتصادي الحضري والبدوي ، الا انه لم يدرك فيما يظهر التفاوت بين الحضر انفسهم سكان مدن وعمال . وبذلك لم يستطع تفسير ظاهرة وجود تشكيلة اجتماعية متنوعة وواسعة من قبائل متعددة تحت سيطرة ذي الكلاع الحميري . ففسرها على اساس التحالف القبلي .

وقدم الهمداني معلومات قيمة عن ملكية الأراضي في اليمن ، وذكر بعض القرى والمواضع المعروفة بأسماء قبائل معينة الا ان سكانها في عصره كانوا من قبائل لا تمت بصلة للقبائل القديمة ، واحيانا عندما يذكر ملكية معاصرة له يشير الى ملكيتها القديمة ، ولهذه الاشارات قيمتها في معرفة التطور الذي حصل في الخريطة القبلية لليمن .

وفي الكتب الجغرافية المؤلفة في ظل الدولة العباسية ، معلومات عن اليمن . لبعضها اهمية كبيرة نظراً لمادتها القيمة التي أخذت اما من الديوان او من مؤلفات سابقة مفقودة اومن المشاهدات الشخصية . وفي طليعة هذه الكتب كتاب « البلدان » لليعقوبي الذي افرد فيه فصلا لليمن عدد فيه مخاليفها واورد بعض المعلومات عن محاصيلها وسكانها وتعتبر قائمته عن المخاليف من اكمل ما وصل الينا ، وتفوق ما كتبه الهمداني عن المخاليف .

اما كتاب « الاعلاق النفيسة » لمؤلفه ابن رستة فما وصلنا منه يتضمن معلومات اقتصادية جيدة عن اوضاع اليمن في عصره ، ولكنه مقتضب .

وضمّن ياقوت في كتابه العظيم « معجم البلدان » معلومات واسعة وغنية عن اليمن موزعة على ترتيب الالفباء ، ذكر فيها اسماء كثير من المخاليف ومعلومات عن بعض مدنها ومحاصيلها الاقتصادية ، واعتمد في ذلك كثيرا على الهمداني وعلى بعض اللغويين ، ونقل ايضا معلومات قيمة لم يذكر مصدرها وهي

تنطبق على احوال القرن الرابع الهجري خاصة . بين القرن الأول والرابع . كما انها تعطي صورة عن التوزيع البشري في اليمن عند ظهور الاسلام ، مما يساعد على فهم طبيعة وتحرك القبائل ، ويساعد على فهم طبيعة العلاقات بين السكان في المراكز الحضرية والبدو آنذاك ، خاصة عندما تتحدد اماكن وجودهم وظروفها الطبيعية والاقتصادية ، وهي تفيد ايضا في معرفة طبيعة التحرك الاجتماعي ، والطرق التي تسلكها الهجرات القبلية . ولكتاب « صفة جزيرة العرب » أهمية كبيرة في دراسة اقتصاديات اليمن ومعلوماته عنها يكملها كتابه الآخر « الجوهرتين » وفيه سجل الهمداني آراءه في المعادن « الذهب والفضة » ثم بحث في معادن اليمن واورد عنها معلومات مهمة عن كفاءة انتاجها وتأريخ استغلالها وعن تغيير ملكيتها .

اما عشائر اليمن فلدينا عنها مجموعتان من المصادر ، اولها كتب اليمن ، وثانيها الكتب التي الفها علماء من الأمصار وبخاصة الكوفة والفسطاط . فأما الصنف الأول فأبرز كتاب فيه هو كتاب « الاكليل » للهمداني ، وهو كتاب وضعه في أخبار اليمن وانساب بعض قبائلها الكبار مثل حمير وهمدان ، وقد قسّم الهمداني كتابه الى عشرة كتب ، الكتاب الاول في التاريخ والانساب عامة ، وتطرق فيه الى انساب خولان وقضاعة . والثاني في انساب حمير ، والثالث في فضائل قحطان ، والرابع والخامس والسادس في سيرة حمير حتى الاسلام ، والسابع في التنبيه على الاخبار الباطلة والثامن في قصور حمير ومدنها ، والتاسع في امثال حمير ، والعاشر في انساب همدان .

يظهر تقسيم الهمداني لكتاب الاكليل اهتمامه الخاص بحمير ولعل هذا راجع الى ان امجادها كانت ماثلة للعيان وتقاليدها ونظمها متأصلة في السكان ، اضافة الى احتمال تأثر الهمداني بروح التنافس بين الاقاليم ، والرغبة في ابراز مكانة اليمن ومجدها الغابر مما جعله يعطي حمير تلك المكانة .

وصل الينا جزء من الكتاب الأول نشر في اوبساله واخيرا وصل الينا

الكتابان الأول والثاني اللذان قام بتحقيقها ونشرهما محمد بن علي الاكوع الحوالي ، في سنتي ١٩٦٣ ، و١٩٦٦ ، كما وصل الينا الجزء الثامن وقد نشره الأب انستاس الكرملي ثم اعاد نشره نبيه امين فارس سنة ١٩٤٠ ، والجزء العاشر الذي نشره محب الدين الخطيب .

والنسخة التي وصلت الينا من الكتابين الاول والثاني ، رواية محمد بن نشوان بن سعيد الحميري الذي عاش حوالي ٥٩٣ هـ[5] . ويبدو انه لم يحافظ على نص وحرفية كلام الهمداني ، ويبدو هذا واضحاً في قوله : « سألت .. ان اوضح شيئا من انساب حمير واخبارها وما حفظ من سيرها وآثارها فأجبتك الى ما سألت واشفعتك بما طلبت مؤتما بما ذكره .. الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني »[6] . فهو اذا لم يرو الكتاب انما اعتمده مع مصادر اخرى اقل قيمة . وقد اشار ابن نشوان الى تصرفه بقوله : « غير انني اختصرت شيئا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب بل هو مما ذكره في الاختلاف في التأريخ ونحوه »[7] .

ويذكر الهمداني سبب وضْعه الاكليل بقوله : « فوجدت اكثر الناس يخبط فيه خبط عشواء ويعمه في حندس ظمياء واذا الخبر الواحد ترويه الجماعة في وجوه مختلفة من زيادة ونقصان ، وتأخير »[8] . ويصف التدوين التأريخي في عصره بأنه كان : « علماً مطلقاً غير مقصور بنظام ، ولا محصور بقياس »[9]

اعتمد الهمداني مصادر متعددة ، فذكر رواة مثل ابي نصر والاوساني ، والأبرهي ، وأبي راشد ، ومحمد القهبي السمسار ، وابن ابي الجعيد ، ونقل عن كل من ابن الكلبي ، ومحمد بن اسحق ، وابن شريه ، غير ان أبرز رواته هو ابو نصر محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن وهب الحميري ، الذي وصفه بقوله : « شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل شعرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزاينها من مكنون علمها وقارىء مساندها والمحيط بلغاتها »[10] . ثم يضيف في وصفه : « وكان بحاثة قد لقي رجالا وقرأ زبر حمير

القديمة ومساندها الدهرية »[١١]. وقد نقل الهمداني عنه سبعة وأربعين نصاً في انساب حمير تمثل روايات متكاملة لتفرعات القبيلة .

ومن مصادر اكليل الهمداني المهمة المساند ، وقد نقل منها مباشرة او عن رواة قرأوها ، ولا يبدو عليه الالمام الكافي بالحميرية[١٢]، ومع انه حاول الاستشهاد بالمساند في ضبط الأنساب الا ان هذا لا يكفي للجزم بصحة رواياته . ومن المعلوم ان نقوش اليمن لم توضع لخدمة اغراض النسب اطلاقاً ، وقد يكتفي النقش بذكر اسم الشخص واسم ابيه ، اضافة الى ان الهمداني لم يوضح ما اذا كان قد ادرك ان بعض الكلمات تعطي اكثر من معنى مثل كلمة (بن) فهي تعني (ابن) وتعني (من) مما يتسبب في دخول اسماء بعض المواضع الجغرافية في نسب الشخص اذا لم يدرك هذه الخاصية .

ومن المساند التي نقل عنها الهمداني مسند حقل عنمه[١٣]، ومسند عمران بالبون[١٤]، ومسند خيوان[١٥]، ومسند ناعط[١٦]، ومسند صنعاء[١٧]، ومسند حمير[١٨] ، ومسند ريده[١٩]. كما اورد نصوصاً عن الزبر فذكر زبور قديم[٢٠] ، وزبر همدان القديمة[٢١]، وزبر حمير[٢٢] . ونقل عن اهل الكتاب[٢٣] ، وعن السجلات ايضاً ، منها سجل ابن ابان[٢٤] ، والسجل القديم مقروء على بعض نساب الصدف[٢٥] ، وسجل خولان وحمير بصعدة[٢٦] ، وأهل السجل[٢٧] ، وسجل ابن رقطة الصعدى[٢٨] ، وواضعي السجل ونساب الهميسع[٢٩] .

يتبين مما تقدم ان الهمداني يشير الى مصادر معلوماته التي هي على الأغلب مصادر محلية في مقدمتها رواة يمانيون اختصوا بأنساب اليمن ، او سكان مدن لديهم معرفة واطلاع على مساند قديمة وزبر وسجلات ، وبالرغم من ان هذه المصادر خاصة باليمن وبالهمداني فهناك نسابة آخرون كابن الكلبي مثلا لم يدخلوها في مصادرهم وانتقدهم الهمداني مع رواياتهم في النسب[٣٠]، الا ان الصورة التي يقدمها الهمداني لأنساب خولان او حمير او همدان لا تختلف

اختلافات جوهرية عما دونه ابن الكلبي ، بل ان الاختلافات كانت في الأجيال القديمة من القبيلة ، والتي لا يمكن التأكد من دقة روايات كلا الطرفين عنها . ان هذه الاختلافات القليلة في التفاصيل توحي بوجود معلومات تبلورت قبل الهمداني وابن الكلبي عن القبائل وانساب العرب عموماً واليمانيين خصوصاً ، وانها فرضت نفسها على اهل الشمال وأهل الجنوب .

ان القيمة الأساسية لكتاب الاكليل هي انه اعطى التكوين العام للقبيلة ويعتبر ما جاء في كتاب الصفة مكملا للاكليل في الكلام عن القبائل ، فالهمداني في الصفة ابرز التوزيع الجغرافي للقبائل بصورة واضحة ، لدرجة نستطيع بواسطتها التمييز بين خارطة اليمن القبلية عند ظهور الاسلام وبينها في عصر الهمداني ، سواء بالاشارة المباشرة ، كاشارته الى ان غلبة مذحج على السرو وضعية اسلامية[٣١] ، او عن طريق ذكر الموضع بتسمية حميرية في حين ان ملكيته لمذحج او كندة او همدان[٣٢].

وقد اعتمدت على الاكليل في تكوين لوحات النسب المثبتة في هذا الكتاب وأشرت في الهامش الى مصدر الاضافات التي ادخلتها عليها وهذا لا يعني بالضرورة أني اثق بهذه المعلومات عن الانساب فهي لا تمثل الواقع اطلاقا وقد اشار الهمداني نفسه الى هذه الناحية ، غير انها لا تخلو من فائدة .

اما المصدر الرئيسي الاخر في القبائل فهو كتاب النسب لابن الكلبي[٣٣] ومع انه من قبيلة كلب التي كانت عند ظهور الاسلام تسكن في بادية الشام ، الا انه عاش مع ابيه في الكوفة ، ولا بد ان يكون استمد معلوماته من العدد الكبير من اليمانيين الذين استوطنوا الكوفة وظهر بينهم فقهاء وقراء واخباريون ومؤرخون ، وكانت لهم ثقافة عالية نسبياً من بين سكان الكوفة . ومن المعلوم ان اليمانيين الذين استوطنوا الكوفة كانوا قد خرجوا من اليمن اصلا لأغراض الحروب ، وبسبب روحهم القبلية المحاربة فانهم يهتمون بالنسب ، ولما كان هؤلاء الذين خرجوا لا يمثلون كل القبائل فمن الراجح ان المعلومات المتوفرة

عن انساب اليمن ناقصة ، علماً بأن المرتحلين الى الأمصار كانوا بعض القبيلة وليس كلها ، معنى هذا ان قسماً آخر من القبيلة بقي في اليمن وان الزمان والمكان باعدا بين الطرفين مما يجعل معلومات احدهما عن الآخر قليلة .

وقد فصّل ابن الكلبي في كتاب النسب عن كندة ، وهمدان وخثعم وازد السراة بصورة خاصة ولم يذكر معلومات وافية عن كثير من القبائل اليمانية الأخرى . كما انه لم يذكر احوال اليمن مما يدل على انه استمد معلوماته من اهل الشمال وانه لم يزر اليمن ، وانه فصّل في اخبار من سكن الكوفة منهم بصورة خاصة . وكان كتابه هو المعتمد عند ابن اسحق ، وابن سعد ، وخليفة بن خياط ، ومعظم من الف في السيرة او في طبقات العلماء ، واعتمده الهمداني في الاكليل . وكانت معلوماته معتمدة في الأوساط الدينية ايضاً .

وابرز من اعتمد على ابن الكلبي هو ابن حزم فأنه في كتابه «جمهرة انساب العرب» نقل كثيرا عنه دون ان يذكر اسمه ، غير ان النقل واضح من تطابق معلوماتهما في التسلسل والتفصيلات . ولا نبالغ اذا قلنا ان اكثر من ثلثي كتاب ابن حزم مأخوذ من كتاب ابن الكلبي ، وان الاضافات التي اضافها ابن حزم هي عن الاحوال المتأخرة وعن الاندلس .

ولكتاب الاكمال لمؤلفه ابن ماكولا اهمية في دراسة القبائل والانساب . فقد ذكر معلومات قيمة عن اليمانيين الاوائل الذين شاركوا في حروب التحرير واستقروا في الامصار . كما قدم معلومات عن بعض قبائلهم وحجم كتلهم ومواليهم . واشار الى جوانب من الخلفية التأريخية لهم . وحدد استقرارهم وما شغلوا من وظائف او ما برزوا فيه من مجالات . وقد نقل عن ابن الكلبي وابن حبيب ولعل اهميته تكمن في كثرة ما نقل عن كتاب ابن يونس فاصبح له فضل حفظ جزء قيم من تراثنا النادر .

ومن كتب النسب القيمة كتاب«الانساب»للسمعاني . وهو كتاب ضخم رتبت مادته على الالفباء . وذكر فيه كثيرا من القبائل والعشائر والبطون

والبارزين من علمائها ومواطن بعضهم وفيهم كثير من اهل اليمن ، الا ان معلوماته تقتصر على من استوطن في الشمال ولم يذكر عن اليمن شيئا ، وقد اعتمد في مادته تلك بالدرجة الاولى على ابن الكلبي ، وعلى بعض تواريخ المدن . وقد لخص ابن الاثير كتاب الانساب وسمى ملخصه « اللباب » واصلح فيه بعض الاغلاط التي وقع فيها السمعاني . كما اضاف اليه معلومات قليلة في مواضع متفرقة . ولخص الذهبي كتاب ابن الاثير وسمّاه « لبّ اللباب » .

وقد الفت في القرن السابع كتب عن النسب . ومن اشهر ما وصل الينا كتاب القلقشندي،«نهاية الارب» وهو ايضا بالاضافة الى المعلومات التي قدمها عن انتشار القبائل العربية آنذاك وكشفه التغيير الذي طرأ على خارطة توزيع القبائل . فانه ايضا حفظ لنا جزءا قيما من تراثنا . ذلك هو كتاب « الحمداني المهمندار » بما نقله عنه وهو كثير بالطبع . غير ان معلومات هذا الكتاب ، وكذلك كتاب « الاعراب عما في مصر من الاعراب » للمقريزي تنطبق على الاحوال السائدة في القرون المتأخرة ، اي منذ القرن السادس الهجري فما بعد .

وفي كتب السيرة معلومات عن علاقة اهل اليمن بالاسلام . واقدم ما لدينا هو كتاب السيرة لابن اسحق برواية ابن هشام ، اورد فيه معلومات عن اتصال اهل اليمن بالرسول﴿ ﷺ ﴾ ووفودهم عليه واسلام بعض رجالهم وقبائلهم . وكتابه هو المعتمد في سيرة الرسول (ص) واعتمدت عليه معظم الكتب التي الفت فيما بعد عن السيرة .

ومن اقدم كتب السيرة التي وصلت الينا كتاب«المغازي»للواقدي ، وقد ذكر فيه بعض معلومات عن غزوات لاصحاب الرسول شملت اطراف اليمن ، بالاضافة الى معلومات متناثرة عامة . ونقل ابن سعد عن الواقدي كثيرا مما ذكره . وخاصة في الجزء الاول والثاني من كتاب الطبقات واورد فيه معلومات كثيرة عن الوفود وعن كتب الرسول﴿ ﷺ ﴾ . ولعله استمدها من الواقدي ايضا وربما من كتابه الاخر« الردة » الذي نقل عنه حميد الله خان في « الوثائق السياسية » نصوصا متعددة .

والمراسلات تظهر جهود الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لادخال الاسلام الى اليمن والكتب المتعلقة باليمن واهلها كثيرة . ومع كثرتها فمن المحتمل ان عددا آخر منها ضاع ، وان بعضها او بعض ما ورد فيها غير اصيل بل انها ربما كتبت في مرحلة متأخرة لهذا يجدر التدقيق عند دراستها وتقويم مادتها . وهذه المراسلات لا تخلو من التعبير عن بعض ما كان قائما من نظم واوضاع فهي تقدم مادة عنيت بجمعها الاوساط الدينية وليس فيها مظهر التنافس بين اليمن وبقية الاقاليم ، رغم انها قد تحوي منافسات محلية وتفتقر الى التحديد الدقيق لزمن المراسلة .

اما المعلومات عن الوفود اليمانية فبالرغم من كثرتها الا انها مرتبكة ، وغير واضحة وفيها ذكر لاسماء اشخاص كثيرين غير معروفين ، ولم تذكر الا قليلا جدا من البارزين الذين ساهموا ببعض الحوادث .

وقد جمع حميد الله خان كتب الرسول ﴿ ﷺ ﴾ والخلفاء الراشدين معتمدا على جميع ما وصل منها في المصادر الاولى المتوفرة ونظرا لشمول هذا الكتاب ودقة مؤلفه ، فقد كان عليه اعتمادي .

وفي بعض كتب الفقه الاولى معلومات قيمة عن اليمن وعلاقتها بالرسول فقد ذكر كثير منهم الضرائب التي فرضها معاذ بن جبل في اليمن وذكر ابو يوسف ايضا معاهدة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مع اهل نجران . وذكر ابن سلام اضافة الى ذلك عددا غير قليل من كتب الرسول واقطاعاته وبعضها مما يتعلق باليمن .

وقد عني العرب بتأليف كتب عن التراجم ، خصصوا بعضها لاشخاص معينين ، وبعضها لعدد كبير من الرجال(٣٤) ، وصنف معظمهم مؤلفاته على اسس خاصة في التنظيم تسمى « الطبقات » راعوا فيها الترتيب الزمني لظهور الرجال المترجمين ، كما راعى بعضهم التنظيم حسب الاقاليم بجانب الترتيب الزمني . ومن اقدم واوسع هذه الكتب هو كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ، وهو يتكون من ثمان مجلدات الاول والثاني لسيرة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ .

والثلاثة التالية للصحابة والتابعين ممن كان في المدينة ، وخصص المجلد السادس لاهل الكوفة ، والسابع لاهل البصرة وبغداد والشام وخراسان ، والثامن للنساء .

وللمجلد السادس اهمية خاصة في بحثنا ، نظرا لسعة بحثه وغزارة مادته وايراده معلومات قيمة عن عدد كبير من اهل اليمن الذين استوطنوا الكوفة حيث كانت نسبتهم كبيرة .وقد ذكر انساب بعض مترجميه ومعلومات عن حياتهم الخاصة ومساهماتهم في الحركة الفكرية والادارية، غير ان معلومات ابن سعد عن اهل الشام ومصر حيث استوطن عدد كبير من اهل اليمن قليلة ، كما ان المعلومات التي اوردها عن اليمن ذاتها اقل ، هذا فضلا عن النطاق الديني المحدود الذي حصر نفسه فيه . وقد اعتمد ابن سعد في الانساب على ابن الكلبي ، وكان كتابه المصدر المعتمد لمن تلاه من بعده .

وألّف خليفة بن خياط كتابا قيما في الطبقات ، اهتم فيه بأهل الحديث ومواطنهم وسني وفاتهم ، كما اهتم بذكر عشائرهم ، فمادته تضيف الى معلوماتنا عن هذه الامور معلومات اضافية .

ومن كتب التراجم كتاب «المعرفة والتأريخ» ليعقوب بن سفيان الفسوى ، وقد طبع الجزء الاول منه وفيه تراجم لعدد كبير من اهل الحديث خاصة ومنهم عدد من اليمانيين . ومن اوسع كتب التراجم هو كتاب «الاصابة في معرفة اخبار الصحابة» لابن حجر ، وفيه معلومات واسعة عن عدد كبير من الرجال في صدر الاسلام ، وقد اهتم في هذا الكتاب برجال مختلف الامصار فاورد تراجم كثير من اهل الشام ومصر الذين اغفلهم ابن سعد ، هذا فضلا عن اهتمامه باهل المدينة والكوفة والبصرة . واعتمد في معلوماته على عدد كبير من المؤلفات الاولى في الطبقات وتواريخ المدن المحلية وكتب التأريخ . ووصل الينا عن طريقه نص مهم عن يعقوب بن سفيان يتعلق بموقف الفرس في اليمن من الاسلام .

وقد ألّف العرب عددا كبيرا من الكتب الخاصة بالمدن ، وفيها تراجم لكثير من الرجال الذين عاشوا في تلك المدن ، غير ان معظم هذه الكتب مفقودة ،

وأهم المؤلفين بالنسبة لنا هما عبد الرحمن بن يونس ، وابن عساكر .

وأبن يونس من كبار علماء مصر الاولين . وقد ألف كتابين كلاهما مفقودان ، الا ان بعض الكتب احتفظت بنصوص كثيرة اقتبستها منهما وبخاصة من كتابه الاول . ومع العلم ان هذا الكتاب كما يظهر مما نقل عنه ، هو كتاب تراجم الا انه كان يهتم بذكر عشائر المترجمين وبعض وظائفهم ، فهو بذلك يوازي في الاهمية كتاب الطبقات لابن سعد ، ولعله يفوقه في الاهمية بالنسبة لبحثي نظرا لكثرة من اورد من رجال اهل اليمن في مصر .

اما ابن عساكر في التأريخ الكبير فقد اورد بالاضافة الى التراجم معلومات قيمة وفي غاية الاهمية عن خطط الشام ، وعن خطط دمشق بالذات حيث فصل في كيفية نزول العرب فيها وذكر ما انشأه المحررون من العرب من قرى في الغوطة حول مدينة دمشق .

واهتم العرب بالحوادث التاريخية التي ساهموا فيها . وألفوا منذ وقت مبكر عددا غير قليل في اخبار الردة ، والفتوح ، واستيطان العرب ، وادارتهم . واوسع المؤلفين الاولين هم: ابو مخنف ، والهيثم بن عدي ، والمدائني ، وعمر بن شبّه ، وسيف بن عمر ، وقد ضاعت كتبهم فلم يصل الينا منها الا عدد قليل من رسائل مقتضبة عن بعض هذه المواضيع . غير ان الكتب التالية نقلت عن هؤلاء المؤلفين الاولين نصوصا كثيرة ولعلها استوعبت كل او معظم مؤلفاتهم .

وأبرز كتاب في هذا الميدان هو تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ، وقد اورد المعلومات عن حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ ، والردة اخذها من مصادر ورواة متعددين .[٣٥] وقد راعى الدقة في النقل والعناية بذكر الرواة ، وتحديد زمن حدوث الحوادث وفي ايراد روايات مختلفة عن بعض الحوادث .

لقد اهتم الطبري بذكر عدد من اهل اليمن ، ومساهمة كبار رجالهم في حروب التحرير كما ذكر عرضا كثيرا من عشائرهم ورجالهم في ثنايا كلامه عن

الاحداث العسكرية والسياسية التي شاركوا فيها .

غير أن الطبري على عظمة كتابه ، اورد عن احداث الردة واحداث العراق ، تفاصيل وافية ، في حين اختصر كثيرا في ذكر اخبار مصر والشام كما انه اعتمد كثيرا على سيف بن عمر وعلى رواة من الموالي من فرس اليمن وهم غير معتمدين ، أبرزوا في التاريخ العربي تناقضات واحداثا ثانوية ركزوا عليها واعطوها تغليبا على النواحي الاخرى .

ولفتوح البلدان اهمية خاصة نظرا لقدم مؤلفه ، ودقة معلوماته ، ولاهتمامه بالجوانب الاجتماعية والادارية ، بالاضافة الى نقله عن مؤرخين ثقات كالواقدي ، معلومات ادق مما اوردها الطبري . وقد البلاذري رتب كتابه « فتوح البلدان » تبعا للاقاليم مما يسر له استعماله . غير أن معلوماته مقتضبة ومستمدة من رواة أهل الشمال والحجاز بالدرجة الأولى .

ومن الكتب الاخرى كتاب الازدي « فتوح الشام » ويبدو انه نقل معلوماته بسند عن الوليد بن حماد عن الحسين بن زياد عن ابي اسمعيل محمد بن عبد الله عن رواة متعددين أبرزهم سهل بن سعد وعبد الله بن قرط وآخرين . ونصوصه مقتضبة ويقتصر على الحروب وليس فيها معلومات اضافية عن المقاتلة او اوضاع القرن الاول الهجري وبين رواته الكثير ممن تحدر من أصل يماني اضافة الى كونه هو من اليمن ايضا . ان كتاب الازدى متزن في رواياته ودقيق .

ومما اهتم به المؤلفون العرب كتب الخطط ، وهي كتب اهتمت بتدوين اخبار استقرار العرب في الامصار التي مصرّها المسلمون الأول كالكوفة والفسطاط كذلك في مدن الشام . واهمية هذه الكتب في معلوماتها عن اختطاط الامصار والذين اشرفوا على اختطاطها وعن نزول العرب فيها وكيفية نزولهم فيها وعن المؤسسات والمنشآت التي اقاموها وتوزيعها في الامصار أي انهم قدموا لنا جانبا مهما من جوانب البناء الحضاري العظيم الذي وضع الاول اسسه .

ووصلت الينا المعلومات عن خطط الكوفة في المجلد السادس من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ، كذلك في تاريخ الطبري وكتاب البلدان لليعقوبي ونظرا لتناثر هذه المعلومات ولان الاشارة لها وردت عرضا فهي غامضة ومن الصعب استخدامها في تكوين فكرة دقيقة عن الكوفة .

وينطبق نفس الامر على خطط الشام حيث مصدرنا الوحيد الذي وصل الينا هو كتاب ابن عساكر . اما الفسطاط فقد انفردت بكثرة ما كتب عنها في الخطط وفي مقدمتها كتاب «فتوح مصر واخبارها» لابن عبد الحكم (ت **٢٥٧** هـ) الذي استقى معلوماته من عائلته التي كان لها نفوذها الاجتماعي في القرن الثاني الهجري ومن اطلاعه الشخصي ايضا . واهمية هذا الكتاب فيما قدم من معلومات عن تحرير مصر وخطط الفسطاط ، وفي المجال الاول تمتاز رواياته بالدقة والاحاطة وتتسم بقصر العبارة وتنوع المعلومات فيها . وبين رواته رواة يمانيون من المعافر وجيشان وخولان والازد وقتبان ومراد قدموا معلومات قيمة عن التحرير وخطط القبائل ، وعلى معلوماته عن الخطط اعتمدت الكتب التي ظهرت عن خطط الفسطاط أو اهلها مثل كتب الكندي وابن دقماق والسيوطي والمقريزي ، باستثناء المعلومات عن الجيزة فقد وردت فيها تفصيلات لدى ابن دقماق لم يذكرها ابن عبد الحكيم .[٣٦] فاما ان يكون ابن عبد الحكيم قد ذكرها وان فقدانها يعود الى النسخ أو ان هناك كتابا آخر الى جانب كتاب ابن عبد الحكيم وبين روايات ابن دقماق وابن عبد الحكيم فرق آخر بسيط في خطط الحمراوات .[٣٧] ولعل ايراد ابن دقماق لروايته عن الحمراوات مع الجيزة يؤكد كونه استقاها من مصدر غير ابن عبد الحكيم .

ويفيد جمع معلومات كتب الانساب والخطط في دراسة نزول القبائل في الامصار غير أن فقدان بعض كتب الانساب (الاكليل في اجزائه الخاصة بحمير خاصة) ضيع هذه الفرصة التي ظهرت واضحة في توزيع قبيلة همدان وضاعت في توزيع حمير مثلا .

ومن المصادر المهمة تاريخ صنعاء للرازي ، وقد اطلعت على المخطوط ومع انه نشر الا انني لم استطع الحصول على نسخة منه منشورا . لقد قدم الرازي معلومات متعددة قسم منها تكرار لروايات سابقة ، ولكن اهميته في بحثي في الرواية الكاملة التي اوردها عن حلف الفرس وهمدان باليمن قبل الاسلام ، فوضح الاشارات التي كررها الهمداني عن هذا الحلف .

الدكتور نزار عبد اللطيف

هوامش المقدمة

١) البيان والتبيين ، ٢١٩/١ .عيون الاخبار ، ٤٣٤/٢ . رواية خالد بن صفوان . معجم البلدان ، ١٠٣٦/٤ رواية الاصمعي .

٢) انظر الخلاصة .

٣) اعاد محمد بن علي الاكوع نشر كتاب الصفة ، وقد صدر متأخرا بعد انجاز رسالتي . لهذا بقي اعتمادي على نسخة ابن بليهد .

٤) الصفة : ٢٠٢ .

٥) الاكليل : ٢/١ .

٦) ٣/١ .

٧) ٤/١ . انظر ايضا ص ٥٥ ، ١١٨ .

٨) ١ / ٣ .

٩) ١ / ٤ . انظر ايضاً ص ٥٥ ، ١١٨ .

١٠) ١ / ٧ .

١١) المصدر السابق ، ١ / ٩ .

١٢) المصدر السابق ، ١ / ١٣ .

١٣) الاكليل : ٢ / ٧٣ ، ١٣٨ ، ١٤٢ .

١٤) المصدر السابق ، ٢ / ٣١٤ .

١٥) المصدر السابق ، ٢ / ٣٠٣ ، ١٠ / ١٦ ، ١١٢ .

١٦) المصدر السابق ، ٢ / ٩٨ ، ١٠ / ١٩ ، ٢٠ .

١٧) الاكليل : ٢ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ١٠ / ٢ ، ١٧ ، ١٨ .

١٨) المصدر السابق ، ١٠ / ١٥ .

١٩) المصدر السابق ، ١٠ / ١٨ .

٢٠) المصدر السابق ، ١٠ / ١٩ ، ٢١ ، ١١١ .

٢١) الاكليل : ١ / ١١٨ ، ١١٩ .

٢٢) المصدر السابق ، ٢ / ٣ .

٢٣) المصدر السابق ، ١ / ١٣ .

٢٤) المصدر السابق ، ١ / ٥٤ .

٢٥) المصدر السابق ، ٢ / ١٤ .

٢٦) المصدر السابق ، ٢ / ١٦ .

٢٧) المصدر السابق ، ١ / ١٣ ، ١٩٣ ، ٢ / ٣٢٩ .

٢٨) المصدر السابق ، ١ / ١١٨ ، ١٣٦ ، ٢ / ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٣١٦ ، ١٠ / ٩ .

٢٩) المصدر السابق ، ٢ / ٣٥٥ .

٣٠) المصدر السابق ، ٢ / ٣٥٥ .

٣١) الاكليل : ١ / ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ٢ / ١٣ ، ١٥ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٤٥ ، انتقد الهمداني ابن الكلبي في المواضع المذكورة .

٣٢) الصفة : . ٩ .

٣٣) المصدر السابق .

٣٤) اعتمدنا مخطوطة الاسكوريال .

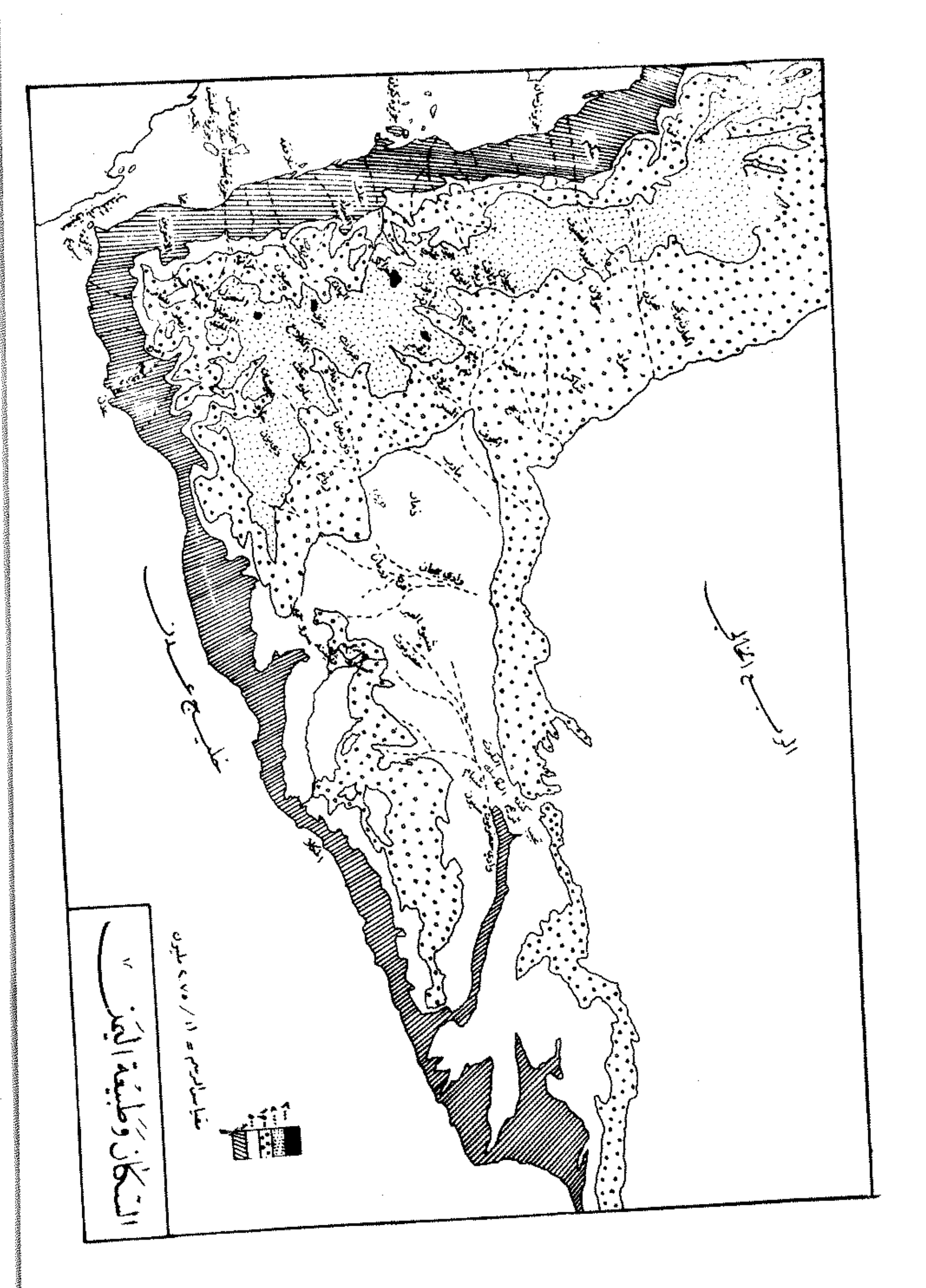
٣٥) د . جواد علي : نقد مراجع الطبري ، مجلة المجمع العلمي العراقي . تأريخ الطبري : ١٨٤/٣ ـ ١٨٧ ، ٢٢٣ . وانظر ايضا دراسة محمد حسن آل ياسين .

٣٦) الانتصار لواسطة عقد الامصار : ١٣٥ ـ ١٣٦ .

٣٧) المصدر السابق : ١٣٦ .

الباب الاول

أحوال اليمن عند ظهور الاسلام



الفصل الاول

جغرافية اليمن

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من جزيرة العرب ، غير انه من الصعب تثبيت حدوده القديمة بدقة ، لانه جزء من جزيرة العرب ولا يوجد حاجز طبيعي يفصله بصورة واضحة عما حوله ويصلح ان يتخذ حدا ، والمظاهر الطبيعية العامة فيه هي استمرار للظواهر الطبيعية في غربي الجزيرة يضاف الى ذلك كثرة التنقلات البشرية الواسعة ، والتغيرات المتعددة في الادارة ، ولا يخفى ان المعلومات عن العهود السابقة للاسلام قليلة جدا ، ومعظمها غير واضح ، بل حتى الحدود التي ذكرتها المصادر الاسلامية المتعددة عن العهود الاسلامية غير واضحة ، ولا يمكن الجزم بانها كانت نفس الحدود القديمة .

وتظهر الصعوبة ذاتها ايضا في تحديد الحدود السياسية ، لان انتشار السكان ونفوذ الدول القديمة في اليمن لم يكونا ثابتين او مقصورين على رقعة محددة من الارض ، بل مرت بهما فترات من التوسع والانحسار تختلف في مداها ، كما ان الشعوب والدول القديمة لم تكن تحرص على التدقيق في رسم الحدود ، وبخاصة التي تمر في اراضي غير مأهولة او غير غنية . فكانت سلطتها في الغالب تتقرر تبعا للمجموعات البشرية التابعة لها . وتمتد حدودها عادة مع امتداد اولئك السكان . ولا ريب في ان سلطة دولة اليمن ، كذلك المجموعات البشرية التابعة لها لم تبق ثابتة على مر الايام . غير انه يظهر ان هذه السلطة التي رافقها تميز في النظم والحضارات امتدت معالمه الى مدينة جرش بصورة واضحة متميزة عما وراءها من الاماكن ليس قبيل الاسلام فحسب بل كذلك في العصور الاسلامية التالية ، حيث كان العواسج من القبائل المنتسبة الى حمير والازد من ابرز عناصر سكان هذه المدينة الى ان غلبت عليها قبائل عنز .(١)

وقد تميز اليمن بوجود قبائل متعددة ، استقرت كل منها في منطقتها واستغلت امكاناتها الاقتصادية المختلفة لمدة طويلة من الزمن حتى اصبحت تلك المناطق تعرف باسم القبائل المستقرة فيها . وكانت بعض هذه القبائل كبيرة ، وتشغل مناطق واسعة سميت باسمها ، الا ان بعض المناطق استوطنتها عدة عشائر ولم يطلق عليها اسم عشيرة بالذات ، وكانت اساس تنظيم الكتب القديمة التي درست احوال اليمن ، وبالنظر لشيوع هذا التقسيم لليمن ، وعمق اسسه فاننا سنسير عليه في تنظيم فصلنا الحالي عن وصف احوال اليمن الجغرافية .

ا ـ الهضبة الوسطى

١ ـ منطقة حمير

لقد كونت حمير دولة سيطرت على كل اليمن وامتد سلطانها الى خارج اليمن ، ثم زال سلطانها السياسي ، وبقيت القبائل المنتسبة اليها في قول النسابين المسلمين ، وكانت هذه القبائل تسكن في المنطقة الواقعة من البون شمال صنعاء الى عدن جنوبا ، ومن حافات الهضبة الغربية عند تهامة الى شبوة في حضرموت . وهذه المنطقة هضبة جبلية عريضة في الوسط ، تبرز فيها قمم وعرة تفصلها اودية عميقة وضيقة تتجمع مع بعضها وتنحدر اما نحو الغرب الى البحر الاحمر او تنحدر جنوبا لتصب في البحر بين عدن والمندب او تنحدر باتجاه الشرق فيما يعرف بنجد اليمن . (٢)

ومن اهم الاودية التي تنحدر نحو البحر الاحمر وادي مور ووادي سردد ووادي سهام ووادي رمع ووادي زبيد وهو مجمع مياه اودية السحول وبلد الكلاع . ثم وادي نخلة ووادي الملح اللذان يلتقيان في الحيس ثم يخرجان الى البحر . وتليها الى الجنوب مجموعة اودية الجسيد ورسبان والشقاق التي تصب في الموزع وتنتهي في البحر قرب مخا ثم وادي حرازة . وجميع هذه الاودية تنتهي قرب موضع صحاره . (٣)

اما الاودية التي تجري الى الجنوب وتصب في البحر العربي بين المندب ولحج فهي من الغرب وادي اتحم وهو من اودية السكاسك ويصب عند « العارة والعميرة » شرقي المندب ، ووادي اديم ووادي لحج الذي يأخذ مياهه من اودية كثيرة تجري في القسم الاسفل من الهضبة في المنطقة المعروفة بالمعافر حيث تتصل مجاري كثيرة من الوديان الصغيرة مكونة اودية اكبر تلتقي مع بعضها لتكون بدورها واديا كبيرا مثل مسايل وغيول وادي الجنات وادي الكثيرة الدائمة الجريان ووادي ورزان وعبدان ومسايل خدير التي تلتقي في موضع « كرش » حيث يلتقي بها وادي حرز واودية السكاسك مثل حقب وذابة ، وتلتقي هذه الوديان جميعا في رأس لحج مشكلة مجرى مائيا كبيرا وواسعا ينحدر نحوالبحر حيث يصب قرب عدن . والى الشرق من عدن تصب اودية بنا وابين التي تنحدر من ارض رعين (٤) .

اما في شرق الهضبة فتنحدر اودية صغيرة وكثيرة فتجتمع مشكلة واديا اسمه اذنه الذي يمر بمدينة مأرب ويقع عليه سدها المشهور . (٥)

وقد عرفت في الهضبة مناطق مسماة باسماء محلية مستمدة من القبائل التي سكنتها مثل المعافر ، السحول ، الشراعب ، الكلاع ، جبلان ، الهان ، حراز ، هوزن ، رعين . (٦)

ان هذه المنطقة من اغزر مناطق اليمن مطرا حيث يبلغ معدل الامطار الساقطة عليها من ٥٠ ـ ١٠٠ سم سنويا ، غير ان الامطار تقل كلما ابتعدنا شمالا او جنوبا حيث لا تتجاوز ٥ سم في عدن . (٧) وهي ايضا من المناطق التي تتوفر فيها المياه الجوفية التي تقرب في بعض الاماكن من سطح الارض كما في ذمار . (٨) كما تكثر فيها العيون والينابيع التي تسيل في الاودية كما في وادي السر في مخلاف ذي جره وخولان ، (٩) واودية العشة والبطنة ولاعة في جبل ابذار ، (١٠) ومجموعة وادي الجنات ووادي ظهر ومصدر مياهها ريعان ، (١١) وفي اودية ذو جزب ودالان وشرود وشراد وبنا وماوية والموفد وجمع وبصيد واودية رعين ، وفي جبلة والاهجر وحلتب بجبل ذخار .

ومشكلة مياه الاودية الجارية انها متفرقة وفي مناطق منعزلة . كما ان كمية المياه الجارية فيها قليلة ، فهي لا تكون انهارا كبيرة دائمة الجريان ، انما تشكل ما يعرف بالغيول ، فمساحة الارض التي ترويها محدودة ، ورغم اهميتها الا انها ليست الاساس في الزراعة .

ان سقوط الامطار في موسم الصيف فقط ، حمل سكانها على الاهتمام بها وتنظيم خزنها ، والافادة منها طول العام ، وادى هذا الى نمو نظام الري الدقيق بواسطة السدود والذي اشتهرت به قديما . وكان له دور كبير في ازدهارها الاقتصادي . وقد ادرك الحميريون اهمية السدود في الزراعة واعمار البلاد فعنوا بانشائها وصيانتها . وينسب الى اسعد تبع انشاء مجموعة السدود في يحصب العلو في الشمال الشرقي من بلد الكلاع ، والتي بلغت ثمانين سدا منها سد قصعان وسد ريواب وهو سد قتاب الذي يجهز وادي نخلة بالمياه ، وسد شحرار وسد طحان ، وسد عاد ، وسد لحج وهو سد عراس ، وسد سحر في وادي التناعم بمخلاف ذي جرة وخولان ، وسد ذي سهل ، وسد ذي رعين عند قرية ذي ربيع ، وسد نظار في الشعر ، وسد الشعباني ، وسد المليكي ، وسد النواسي في سرو حمير المعروف فيما بعد بسرو مذحج وهي من سدود يحصب وسد الميهاد ، وسد لصاف ، وسدود بلد رعين ، وفي بلد رعين من الاودية الكبيرة مثل ميتم وشراد وبنا وشرعة وماوة وكلها من اودية المطاحن والتي يفترض انها تحرك بالماء ، اي يفترض ان عليها سدودا ، ومن السدود ايضا سد ريعان في مخلاف مأذن ويصب في الخارد ويجهز وادي ضهر بالماء ، وسد هران بسواد ذمار ويصب في وادي اذنه . وقد ساعد تنظيم استغلال مياه الامطار على ان تصبح اودية منطقة حمير من المناطق الزراعية الغنية التي عرفت بانتاج الحبوب كالذرة والقمح والشعير ، والتي اشتهرت بزراعتها مناطق كوادي الجنات [١٢] ومخلاف ذي جره وخولان الذي وصف بانه خزانة اليمن ، [١٣] وكذلك منطقة ذمار ومنطقة رعين والسحول التي وصفت بمصر اليمن لشهرتها بزراعة الحبوب [١٤] ومنطقة وادي ذابة . [١٥]

وكانت تشتهر ايضا بانتاج الفواكة كالعنب والموز والتين والكمثري وقصب السكر . وقد اشتهرت منطقة صنعاء وحدها بانتاج سبعين نوعا من العنب[١٦] .

وتنتج منطقة حمير الورس في الكلاع بيحصب السفلا في واديي الصنع وشيعان ووادي الجنات ، في جبل صبر ومذيخره وعدن وزبيد[١٧] ، وتنتج الزعفران في جبل صبر ووادي نخلة[١٨] .

وقد عرفت المنطقة التي تسكنها حمير بتربية الابقار كالخديرية والجبلانية والكرارية والجندية في مناطق المعافر[١٩] ، وجند[٢٠] ، وجبلان بين واديي رمع وسهام وفي حراز وهوزن[٢١] .

وتربي هذه المنطقة الابل المهرية كالعيدية نسبة لبني العيد من مهرة في المعافر والهّجانية في المعافر ايضا كذلك السكسكية والمجيدية[٢٢] .

ويتوفر في هذه المنطقة عدد من المعادن المختلفة ، فقد ذكرت المصادر ذمار كمركز قديم لانتاج الذهب وقد سميت بعض قراها باسمه مثل « سامة العليا » و « سامة السفلى » كما اشارت الى مغارة سيّة كواحدة من مغاور المعادن في ذمار[٢٣] ، وتكثر فيها معادن العقيق والجزع واشهر مناطق استخراجه منطقة صنعاء في الهان ومقري وشهارة وظفار قرب صنعاء[٢٤] . ويستخرج من هذه المنطقة ايضا العقيق الأحمر والاصفر والجزع بانواعه المتعددة ، كالجزع النقمي في نقم وضهر وسعوان والسر وفي عذيقة والشزب جنوب صنعاء[٢٥] ، والجزع السهاوي او العشاري في وادي عشار قرب صنعاء[٢٦] ، والجزع البقراني في انس واشهره المثلث الالوان ، وهو ان يكون وجهه احمر فوق عرق ابيض فوق عرق اسود وتعمل منه الفصوص الغالية للطبقة الثرية[٢٧] .

ومن المعادن التي تشتهر بها حمير الحديد في نقم وغمدان حول صنعاء[٢٨] . وكان التجار يبتاعونه عند نزولهم صنعاء[٢٩] . كما يوجد الحديد في

جبل الحديد بعدن[٣٠] .

استغلت حمير امكانات منطقتها وما فيها من ثروة معدنية وزراعية وحيوانية ، فازدهرت فيها الصناعة وقامت صناعات معدنية متعددة كصناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب في صنعاء وظفار[٣١] ، كما انتشرت فيها صناعة الاواني والاطباق ونصال السكاكين والخزف والفخار ، وبخاصة في قرى المعافر كحرازة وذو جبلة اسفل جبل التعكر وبعض الاواني حيث كانت تصنع من حجر الهيصمي الشبيه بالرخام[٣٢] ، كما كانت تصنع الاقداح الجيشانية في جيشان[٣٣] .

ومن الصناعات في منطقة حمير الاسلحة ، وتنسب الروايات الى ذي يزن تطويره صناعة الرماح من الحديد[٣٤] ، ولا بد ان نمو هذه الصناعة ساعد على زيادة قوة حمير العسكرية حيث وفرت لها اسلحتها فلم تعتمد على استيراد الاسلحة على ما في ذلك الاستيراد من اخطار . ويذكر ابن سيده الرماح الردينية منسوبة الى ردينة من آل ذي يزن[٣٥] .

استغلّت حمير الثروة الحيوانية في منطقتها فكانت تنتج الجلود واشتهرت بعض المناطق مثل المعافر وجبلان[٣٦] بانتاج انواع متعددة من جلود البقر والحمير . ومن المعلوم ان للجلود استعمالات متعددة ، وكانت تصدر بعد دبغها ، او بعد ان تصنّع في انتاج الاحذية والسروج وادم الكتابة وجلود الافرشة والدروع وغيرها ، ومن اشهر مراكز صناعة الجلود مدينة صنعاء التي عرفت بانتاج النعال المشعّرة[٣٧] . وتصنع النعال الترخمية في قرية خاو على وادي بنا[٣٨] ، ولكثرة من اشتغل من حمير بصناعة الجلود وصفت القبيلة بكثرة الخرازين فيها[٣٩] .

ومن الصناعات التي ازدهرت في عدة اماكن من منطقة حمير هي صناعة النسيج والثياب[٤٠] . كالبرود والاردية والمصمت[٤١] . غير ان البرود

تأتي في المقدمة ، ومن المعلوم ان اليمن مشهورة بالبرود التي تنتجها بكثرة وتصدرها الى البلاد الاخرى ، وظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري ، وقد ذكرت المصادر انواعا كثيرة من البرود اليمنية وكل منها تقريبا منسوب الى بقعة او مكان في هذه المنطقة او الى قبيلة من القبائل التي تسكنها مما يدل على ان هذه المنطقة هي الرئيسة في انتاج البرود[٤٢] .

وبرعت حمير في انتاج نسيج من خلط مواد اولية متعددة كما اشتهرت بالتحبير والوشي[٤٣] والتلوين[٤٤] . كما عرفت ايضا بصناعة العطور واشتهرت بها عدن ، حتى ان الزمخشري قال عنها : « وطيب الخلق جميعا بها يعبأ ولم يكن احد يحسن صنعه من غير العرب ، حتى ان تجار البحر لترجع بالطيب المعمول تفخر به في السند والهند وترتحل به تجار البر الى فارس والروم وان بالناس على ذلك اليوم ما يحسن اليوم عمله الا اهل الاسلام بعدن[٤٥] » . ووصف الهمداني صنّاع الطيب بالحكماء وخصهم بمعرفة نباتات اليمن مما يدل على ان صناعة العطور كانت تعتمد بالدرجة الاولى على النباتات[٤٦] .

كما اشتهرت منطقة حمير بانتاج الخمور كخمر سخيم[٤٧] ونبيذ البتع والمرز في صنعاء والمعافر[٤٨] .

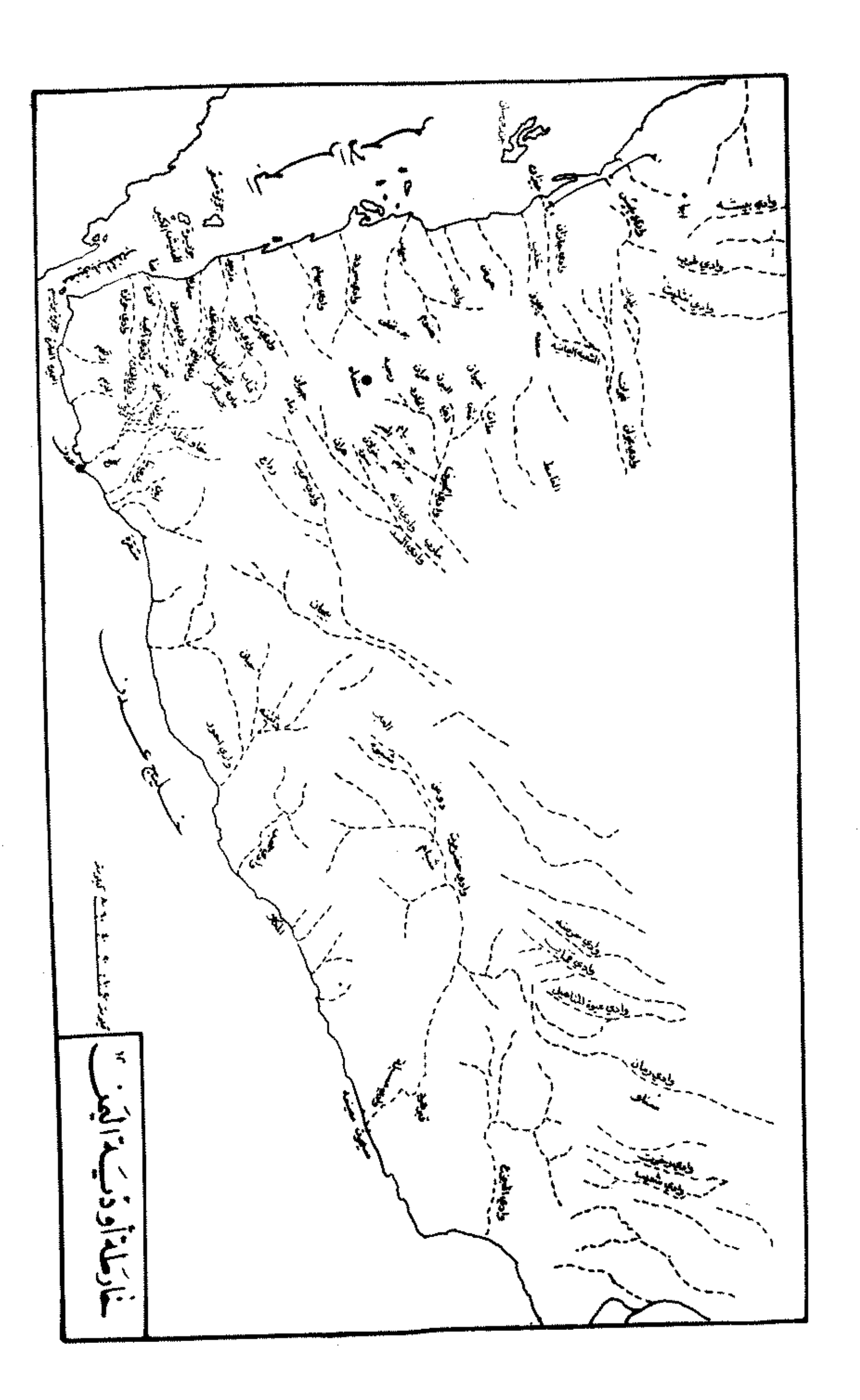
سكنت منطقة حمير قبائل نسبها النسابون الى حمير وسميت بعض الاماكن الجغرافية باسماء تلك القبائل ومنها الاصابح في عدن ولحج[٤٩] . والمعافر بن يعفر في جبل صبر[٥٠] والكلاع وهي بطون عدة من حمير وغيرها تتركز في منطقة الكلاع وفي اعالي وادي زبيد وفي السحول ومع رعين[٥١] . وذي رعين في المنطقة المعروفة برعين وفي مأذن وجيشان[٥٢] ، وآل ذي يزن بين لحج ومرخه وحول وادي خاو[٥٤] . وعبد كلال في ذمار[٥٤] ، والاوزاع في ذمار[٥٥] وحراز وهوزن[٥٦] .

غير ان بعض قبائل حمير يرد ذكرها في اماكن خارج منطقة حمير فتذكر الكلاع ويرسم في صعدة[٥٧] ، ويذكر العواسج في مدينة جرش[٥٨] ، كما ان قسما كبيرا من حمير كانوا يسكنون حضرموت ، والراجح ان هذا الانتشار الواسع يعود الى الفترة التي كانت فيها حمير دولة مسيطرة على اليمن .

غير ان قبائل حمير لم تنفرد وحدها في استيطان هذه المنطقة انما خالطتها فيها قبائل اخرى فالسكاسك والسكون من كندة وبعض مهرة والاشاعرة في قرى المعافر ورعين[٥٩] وآل ذي مران الهمدانيون في المعافر[٦٠] ، وآل ذي لعوه مصاهرين لحمير مع الكلاع[٦١] وجماعات عرفوا بالاملوك في ردمان[٦٢] ، وقسم من خولان عرفوا بخولان العالية في مخلاف ذي جره وخولان ينتسبون الى حمير منذ القدم[٦٣] .

يتبين من هذا ان حمير ، اذا اضفنا اليها املاكها في حضرموت ابتداء من مدينة شبوة باتجاه الغرب ، فانها تسيطر على الطريق التجاري القديم الذي يخترق وادي حضرموت الى شبوة ، حيث يتفرع الى فرعين فرع يتجه الى نجران مباشرة وفرع يتجه عبر بيحان غربا ثم يصعد شمالا الى مأرب ، بينما يستمر منه فرع باتجاه الغرب يتصل بمينائي اليمن عدن ومخا[٦٤] .

ومع ان حمير استغلت منطقتها زراعيا عن طريق السيطرة على المياه من خلال نظام ري دقيق اعتمد على شبكة من السدود واستطاعت ان توفر انتاجا زراعيا وحيوانيا جيدا ، الا ان الراجح ان المصدر الرئيسي لثرائها هو الصناعة والتجارة ، وبخاصة الانسجة والثياب وصناعة العطور والجلود والصناعات الدقيقة التي تعتمد على المعادن الثمينة والمجوهرات ، ولا شك انها كانت تصدر كثيرا من انتاجها الصناعي ، ويبدو ان ابرز ما في التجارة الداخلية هو ما يتعلق بنقل الانتاج الصناعي من الملابس والجلود والمجوهرات من مناطق انتاجها من المعافر ورعين وخاو وحرازة وذمار والجند وجيشان الى سوق صنعاء[٦٥] . وكذلك نقل المواد الاولية لصناعة العطور من حضرموت الى عدن[٦٦] . ولا شك ان



وارداتها من عشور التجارة في عدن كانت كبيرة رغم عدم ذكر المصادر معلومات دقيقة عن تلك العشور ومقاديرها في فترة دراستنا[٦٧] .

ادى النشاط الاقتصادي دوره في التطور الاجتماعي والحضاري في عصور قديمة سابقة ، وتمثل في نشوء مستوطنات ومراكز حضارية متطورة ، تسميها المصادر مدنا مثل الجند وجبأ وجيشان ومنكث وذمار ورداع وحصي وصنعاء وعدن[٦٨] . وتذكر المصادر ايضا ان سكانها خليط ، ولا بد ان هذا الخليط ناتج عن تطور النشاط الاقتصادي والاستخدام الواسع للايدي العاملة . وتكثر هذه المدن في منطقة حمير وبعضها اتخذ له جماعات من الاعراب اطلق عليها اسم « بادية » فسبأ الصهيب كانوا بادية لمدينة جيشان[٦٩] .

٢ ـ منطقة همدان

ومن المناطق المهمة في اليمن المنطقة التي تقيم فيها همدان وتمتد من الرحبة شمال صنعاء الى صعدة ، وهي مقسمة بخط ما بين صنعاء وصعدة شرقية لبكيل وغربية لحاشد ،[٧٠] ، وتشمل ايضا ما بين صعدة ونجران شرقا ، حيث تستوطن قبائل نسبت الى همدان مثل شاكر ووادعة ويام[٧١] .

ومنطقة همدان الرئيسية ـ فيما بين صنعاء وصعدة ـ هي جزء من هضبة اليمن الوسطى وهذا الجزء اقل تعقيدا من القسم الواقع جنوبي صنعاء ، واكثر اتساعا واوديتها قليلة وغير عميقة ، وتنحدر باتجاه الغرب نحو البحر الاحمر ، او باتجاه الشرق نحو الجوف[٧٢] .

اما امطارها فهي اقل من القسم الواقع جنوبي صنعاء ، وقد استغل اهل المنطقة مياه الامطار بانشاء الخزانات ، وتذكر المصادر سد بيت كلاب في ارض همدان[٧٣] .

ويكثر في الأقسام الشمالية حول خيوان وحتى جنوبي صعدة القرض وهو نبات يستخدم في الدباغ[٧٤] وفي منطقة همدان مواضع اشتهرت بالزراعة

مثل هنوم ، حيث تزرع الحبوب من حنطة وشعير وذرة[٧٥] ، وحقل البون الذي اشتهرت قراه بانتاج الفواكه وفي مقدمتها العنب في ريده وأثافت[٧٦] . ويزرع الموز في جبل تخلى[٧٧] ، والخوخ في هنوم[٧٨] ، وقصب السكر في وديان جبل تخلى[٧٩] . واشتهرت هذه المنطقة بما فيها من الابل الارحبية[٨٠] .

وتكثر في منطقة همدان مناجم بعض المعادن وأشهرها معدن ذهب « المخلفة » من ارض حجور في أعالي وادي مور غرب البون[٨١] ، كذلك فيها معدن فضة « الرضراض » بين ارض نهم ومخلاف يام من ارض سبأ شرقي صنعاء ، وفي المعدن قرية عظيمة ، وهو معدن جاهلي تدل آثار استغلاله في الجاهلية على اهميته فهو يوصف بالغزارة وقد استغله الفرس عند استيلائهم على اليمن[٨٢] . وفي هذه المنطقة ايضاً من معادن الجزع والعقيق الذي يكثر في شهارة وعيشان من بلد حاشد شمال صنعاء قرب هنوم وظليمة وفي الجمش من شرق همدان[٨٣] ، وفيها الزاج الأبيض المرتكي والحاري في حارة يام من بلد همدان[٨٤] .

ولم تذكر المصادر للمنطقة شهرة بصناعة الأنسجة ، سوى انتاجها البرود القدمية نسبة لقبيلة قدم[٨٥] مما يدل على ان القبيلة لم تعمل بالصناعة كثيراً .

لقد انتشرت قبائل همدان في هذه المنطقة ، والراجح انها لم تتجاوز منطقة عمران البون ، اي انها لم تقرب من صنعاء،ومن المنطقة الواقعة بين عمران البون شمالا وصنعاء جنوباً عرفت بأسماء حميرية وكانت مأذن من حمير تسكنها وتستثمرها[٨٦] . اما شمال عمران فقد كانت المستوطنات الموجودة مأهولة بقبائل همدان من حاشد وبكيل ، ولكن توجد مناطق يسكنها خليط من القبيلتين ومن قبائل اخرى من همدان ، فسكان الخشب هم خليط من وادعة وغيرها من حاشد وبكيل[٨٧] ، والبون سكانه خليط[٨٨] ، وعموماً تبدو المناطق المحصورة بين عمران جنوباً وصعدة شمالا اكثر تحضراً من باقي مناطق همدان في الجوف وشمالاً

حتى نجران ، وقد اشار وفد همدان الى هذا الوضع الحضاري للقبيلة[٨٩] عندما وفدوا على الرسول ﴿ﷺ﴾ ، وأغلب الظن ان ارحب ونهم وشاكر ووادعة ومرهبة ودالان وخارف وعذر وحجور كانوا اعراباً[٩٠] . وتشير الروايات الى امتلاك همدان للعبيد في خيوان ومناطق اخرى[٩١] .

يبدو ان النشاط الاقتصادي لمنطقة همدان لم يتطور كثيراً ، وان السائد فيها هو الزراعة والرعي ، لهذا لم تظهر فيها مستوطنات كبيرة كالتي ظهرت في منطقة حمير .

اما القبائل التي نسبت الى همدان واستوطنت ما بين صعدة ونجران شرقاً فأغلبها بدو اذ لا توجد اشارة الى نشوء المستوطنات الزراعية فيها .

٣ ـ منطقة خولان « صعدة »

ومن القبائل اليمنية ، قبيلة خولان ، التي يذكر النسابون انها قسمان ، يعرف احدهما بخولان العالية ومساكنها مع حمير في مخلاف ذي جرة وخولان جنوب شرق صنعاء[٩٢] ، وهؤلاء كانوا ينسبون منذ القدم الى حمير[٩٣] . اما القسم الآخر فيسكنون مدينة صعدة وما حولها ، ومدينة صعدة تقع في ارض غير مرتفعة قليلة المطر ينبت حولها « القرض » وهو شجر الدباغ وينتشر في منطقة واسعة تبدأ من خيوان في بلاد وادعة جنوباً الى مهجرة في رأس المنضج شمالا ، ومن مساقط برط في الغائط شرقاً الى معدن قفاعة من بلد الأخدود في خولان غرباً[٩٤] . وقد انشئت في هذه المنطقة السدود للافادة من مياه الأمطار، وتشير المصادر الى سد الخانق بصعدة الذي بناه نوال بن عتيك والي سيف ذي يزن[٩٥] . واشتهرت صعدة بزراعة العنب وبخاصة في وادي علاف[٩٦] .

واشتهرت صعدة بانتاج جلود الأبقار وأكثر ما استخدمت في انتاج اديم الكتابة المعروف بالأديم الخولاني[٩٧] ، وفي منطقة خولان معدن ذهب القفاعة ويقع غربي صعدة قرب مدينة الخصوف ويعرف بمعدن البار ، كذلك معدن بني

سابقة بين صعدة ونجران ، ووصف ذهب هذه المعادن بأنه من أحسن انواع الذهب[٩٨] . ومن معادنها ايضاً الحديد في رغافة[٩٩] .

وعرفت خولان بصناعة القسي والنبل المصنعة من شجر النبع الذي يعتبر من أجود النباتات المستخدمة في صناعة القسي والنبل ، ولهذا اشتهرت السهام الصاعدية[١٠٠] .

يبدو ان خولان لم تنفرد بمنطقتها او بمدينة صعدة ، فقد كان يسكنها ايضاً بنو شهاب بن العاقل من كندة محالفين لآل ربيعة في عفارة وحيدان[١٠١] ، وسكنها ذو الكلاع ويرسم من حمير . وقد اعتبر الهمداني سكان صعدة جماع ليس من ولد الصلب ، عرفوا باديم خولان ، تحالفوا وكتبوا حلفهم في اديم احمر فعرفوا بالأديم . وربط بين هذا الجماع وبين اسم صعدة القديم « جماع »[١٠٢] .

٤ ـ منطقة نجران

ومن مناطق اليمن نجران الواقعة الى الشمال من صعدة في المنخفض الشرقي لسراة اليمن ، وهي منطقة يخترقها وادي نجران بفروعه المتعددة . ولا تتوفر عن امكانات نجران الاروائية معلومات ولكن انتاجها الزراعي يدل على توفر المياه فيها ، وقد اشار الرسول ﴿ﷺ﴾ في معاهدته مع اهل نجران الى انظمة ري يستفاد منها في الاستدلال على ذلك[١٠٣] .

تنتج منطقة نجران الورس[١٠٤] ، وتزرع الحبوب كالقمح والذرة والشعير[١٠٥] بالاضافة الى اصناف متعددة من العلس والبر العربي ، وهما على ما يبدو من انواع الحنطة[١٠٦] . وتزرع فيها ايضاً الفاكهة وبخاصة العنب[١٠٧] والنخيل وتشتهر نجران بانتاج اصناف من التمور كالرئيس والقسب والمدبس[١٠٨] . وذكرت المصادر انتاج الجلود في نجران ، مما يدل على وجود الأبقار والابل . ويوجد الذهب فيما بينها وبين صعدة « معدن بني سابغة »[١٠٩] ، وليست لدينا معلومات عما اذا كان لنجران فيه شيء ام لا .

واشتهرت نجران بالانسجة ، وبخاصة البرود النجـرانية ، حيث كان انتاجها واسعا بدليل ان الرسول «ﷺ» صالح اهلها على الفي حلة تدفع على مرحلتين[١١١] .

ويبدو ان منطقة نجران تمتعت بوضعية اجتماعية وسياسية خاصة ومما لاشك فيه ان مدينة نجران كانت لها منطقة واسعة تشرف عليها ، فقد دعاها الرسول «ﷺ» « بنجران وحاشيتها »[١١٢] ، واشار الى سكانها من العرب وغير العرب[١١٣] ، وتدلل تشكيلة مدنها وانتماءات اعضائها القبلية الى انها خليط من عدة قبائل ففيها من ربيعة و**كندة** ومذحج[١١٤] ولا عجب في ذلك فهي مدينة صناعية وحاجتها الى الايدي العاملة تفرض هذه الوضعية ، وفيها العبيد ايضا[١١٥] مما يشير الى نشاط زراعي . واستوطنها بنو الحارث بن كعب من مذحج . وعملوا بالتجارة وكانوا يسلكون الطريق بين حضر موت ونجران واليمامة[١١٦] .

ب ـ منطقة حضر موت

وهي المنطقة الواقعة جنوب شرق هضبة اليمن الوسطى الا انها اقل تعقيدا منها ، وتنحدر اوديتها في القسم الداخلي نحو وادي حضر موت الذي يتجه من الغرب الى الشرق ، ثم ينحرف عند قبرهود جنوبا نحو البحر ويعرف بوادي مسيلة ، وتكثر فيه المياه الجوفية التي ربما ظهرت في اقسامه الشرقية فوق الارض .

اما اقسامها السفلى ، وبخاصة حول شبوة ، فانها تنحدر جنوبا نحو البحر[١١٧] . ويصل معدل المطر في حضر موت الى ٣٥ سم في السنة[١١٨] ، وقد ادى توفر المياه الى ازدهار الزراعة ، ومن ابرز محاصيلها القمح والشعير والذرة في خودون ودمون[١١٩] ، ويزرع النخيل في قرى حضر موت واودية العبر ودوعن ومثوب[١٢٠] . كما يزرع القطن (العطب) في وادي يرامس بالكور ووادي قوب[١٢١] . غير ان ابرز انتاجها هو البخور الذي ينمو في اودية حضرموت[١٢٢] .

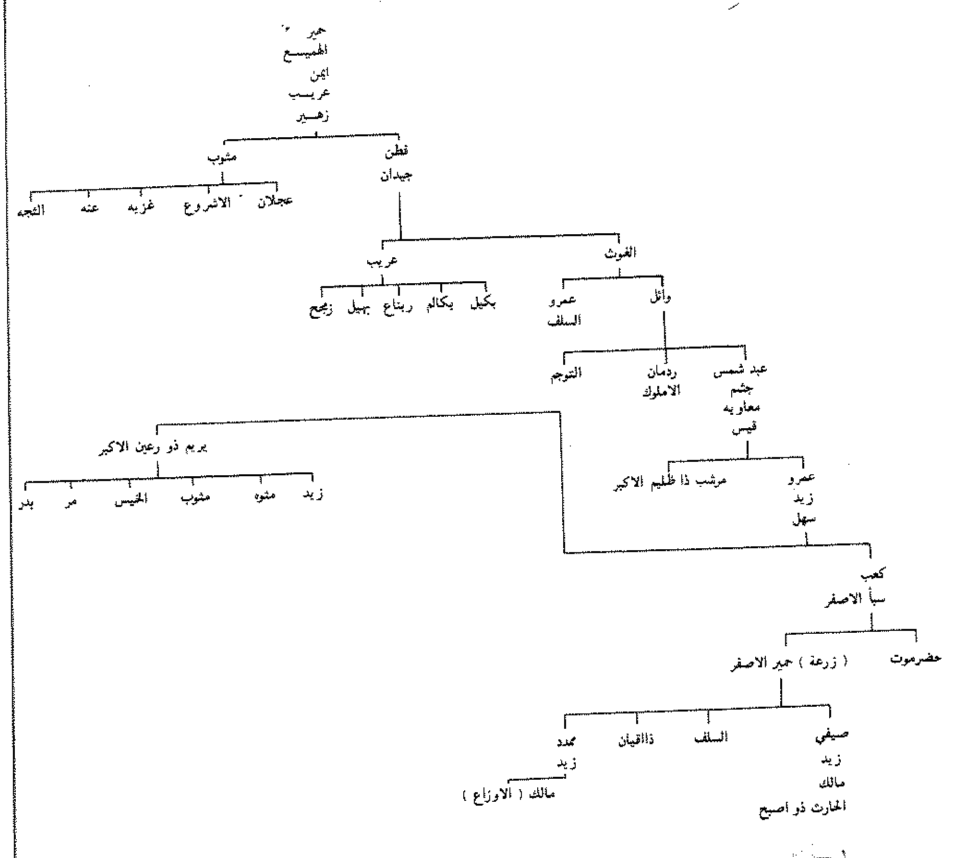
واللبان[١٢٣] . والمر[١٢٤] والتي كانت مدينة شبوة من مراكز تجميعها وتصديرها . ويبدو ان حضرموت احتكرت انتاجه وتجارته عالميا مما ترتبت عليه ثروة كبيرة لاهميته وكثرة استعمالاته[١٢٥] .

وتربى في حضر موت الاغنام السيبانية[١٢٦] ، والابقار والابل المهرية كالعيدية والسكسكية وابل الصدف والابل الصيعية في ريده[١٢٧] . كما تكثر فيها الحمير[١٢٨] .

ومن القبائل التي استوطنت حضر موت قبائل عرفت باسم حضر موت ونسبها النسابة لقبيلة حمير ، ومن ابرز مناطق استيطانها الاقسام المحيطة بوادي حضر موت ووادي العبر ، ومركزها مدينة شبوة ، والراجح ان هذه المنطقة كانت قديما لحمير وانها خرجت منها وتوغلت غربا عندما بسطت نفوذها السياسي على اليمن ، وكان من ابرز قبائلها عند ظهور الاسلام بنو المراحب بنو معشر الذي منهم وائل بن حجر الوافد على رسول الله «ﷺ» ، وقد راسل الرسول «ﷺ» ، كلا القبيلتين[١٢٩] .

غير ان من اعظم القبائل التي سكنت حضر موت قبيلة كندة ولعل سكناها هناك يرجع الى ازمنة قديمة ، اذ يروى ان اصل ملوكهم كانوا منها ، ولعل فريقا منهم انتقل وسكن مع ملوكها في الدولة التي اتخذت مقرها في غمر ذي كندة شرقي الحجاز وامتد سلطانها على معظم الجزيرة ، فلما سقطت الدولة اقتصرت كندة على سكن حضر موت دون غيرها من المناطق .

سكنت كندة الاقسام المرتفعة من حضر موت فمساكنها سراة تحتضن وادي العبر ووادي دوعن وتصب اوديتها في وادي حضر موت ، وفي اعلاها الحصون واسفلها الزرع والنخيل[١٣٠] . ومن القبائل التي سكنت حضر موت ونسبت الى كندة تجيب والسكاسك والسكون وكان لكندة عند ظهور الاسلام لها فرعان رئيسيان هما بنو وليعة ومنهم الملوك الاربعة وبنو معاوية ومنهم الاشعث بن قيس .



ج ـ منطقة الجوف ومأرب « ارض سبأ »

وهي المنطقة الممتدة شرقي صنعاء ، فيما بين حضر موت جنوبا ونجران شمالا ، واقسامها الغربية اكثر ارتفاعا وتنحدر نحـو الشرق ، وتتخللهـا بعض الجبال مثل جبل برط[١٣١] وجبل يام[١٣٢] وجبال نهم[١٣٣] وجبال خولان[١٣٤] وتنحدر اوديتها من الغرب الى الشرق وهي من الشمال وادي الخارد[١٣٥] ووادي اذنه[١٣٦] ووادي حريب[١٣٧] .

ولا تسقط عليها امطار تذكر ولذلك شحت مياهها واقتصرت على ما ينحدر اليها من سيول الاودية او المياه الجوفية ، ومن اشهر مناطقها مأرب حيث يزرع النخيل[١٣٨] والقطن[١٣٩] والسمسم[١٤٠] .

غير ان المنطقة غنية بمناجم معادن الذهب والفضة ، ومن اشهرها منجم ذهب السر في ارض سبأ وهي مناجم جاهلية كثيرة الانتاج يملكها في الاسلام ابن الروية رئيس مذحج[١٤١] كذلك منجم فضة في السر من ارض مذحج[١٤٢] ، وفيها الملح في مأرب[١٤٣] .

اشتهرت هذه المنطقة بالطريق التجاري القديم الذي يمر بها ، وهو يبدأ من شبوة ويسير عبر وادي حريب الى مأرب فنجران[١٤٤] . وكانت له أهمية في التجارة العالمية ، وبسببها قامت فيه ممالك قديمة تركت آثار مدنيتها في شكل مدن عامرة كمأرب وبراقش (معين) وقرنا شرقي صعدة وغيرها .[١] .

اما عند ظهور الاسلام فان هذه المنطقة لم يكن لها نفس ازدهارها القديم ، كما ان طريق التجارة تحول الى الغرب ، وظهرت عليه مدن تجارية ، وصارت المنطقة منطقة صراع بين القبائل التي تحوم حول المنطقة من الشرق وبين تلك التي استوطنت المنطقة واستثمرتها . وقبيل الاسلام كانت القبائل التي تنتسب الى مذحج مثل مراد وعنس وسعد العشيرة وبطون جلد بن مذحج تحوم حول هذه المنطقة بين حضرموت ونجران من وادي العبر او من الجوف محاولة

التوغل نحو الداخل . والراجح ان ضغطها ازداد من منطقة الجوف ، بدليل انها هددت همدان والفرس ، لهذا نجد الطرفين الاخيرين يلجئان الى التحالف ، وهو امر يحدد منطقة الخطر بانها شمال شرق ارض همدان وليس بعيدا ان يكون هذا الضغط بتحريض نجران ، حيث استوطنت بعض قبائل مذحج « بنو عبد المدان » ، لهذا وجد الفرس ان خير حليف هي همدان ، لأن ارضها تقع بين نجران وصنعاء .

د ـ منطقة تهامة

ومن مناطق اليمن الاخرى تهامة وتشمل ساحل اليمن من حده الشمالي عند « ام جحدم » الى المندب ، وتشتمل على ما يعرف ببلاد حكم وعك والاشعريين وبني مجيد[١٤٦] . فهي سهول ساحلية محصورة بين البحر والهضاب الوسطى ، تنحدر نحو البحر حيث تصبح عند السواحل بمستواه تقريبا ، فيما تكون اطرافها الشرقية اعلى ، لأنها استمرار لانحدار الهضاب الوسطى ، ولانها واقعة بين جبال السراة في الشرق والبحر الاحمر في الغرب ، فقد قطعتها الاودية التي تنحدر من السراة باتجاه البحر ، واهمها من الشمال اودية جازان ، وخلب ، وحرض ، ومور ، وسرود ، وسهام ، ورمع ، وزبيد[١٤٧] ، وتكون هذه الاودية مجاري لمسيل مياه الامطار الساقطة على الهضبة ، وفيها كثير من الينابيع مما ساعد على ارواء الاراضي المحيطة بها خاصة قرب البحر . وامطار تهامة قليلة الا ان الرطوبة فيها عالية جدا .

وتنتج الورس في زبيد[١٤٨] ، كما تنتج الزعفران في وادي نخلة[١٤٩] والصبر في ام جحدم[١٥٠] . وتنتج من المحاصيل الزراعية العنب في وادي رمع[١٥١] والموز في وادي نخلة[١٥٢] . كذلك قصب السكر[١٥٣] . وتربى فيها الابقار المجيدية .

لقد سكنت تهامة قبائل عك في اقسامها الشمالية ، والاشعريين في اقسامها الجنوبية . ويبدو انهم خالطوا حمير في سكناها ، فقد كانت لحمير اراض

حول زبيد ، وليست لدينا معلومات تفصيلية عن تطور ملكية تهامة او عن تجارتها .

*** *** *** *** *** *** *** *** *** **

قائمة ثياب اليمن

المعافرية ، نسبة الى مدينة وقبيلة من حمير[١٥٤] .

السحولية ، مدينة وقبيلة من حمير[١٥٥] .

الشرعبية ، قبيلة من حمير[١٥٦] .

الحضرمية ، اقليم وقبيلة من حمير[١٥٧] .

الجيشانية ، مدينة وقبيلة من حمير[١٥٨] .

بز صنعاء ، مدينة في منطقة حمير .

بز الجند ، مدينة في منطقة حمير[١٥٩] .

العمائم العدنية ، مدينة في منطقة حمير[١٦٠] .

القدمية ، قبيلة من همدان[١٦١] .

الاتحمية ، موضع[١٦٢] .

النجرانية ، مدينة ـ بلحارث بن كعب[١٦٣] .

التزيدية ، تزيد بن حلوان[١٦٤] .

السديرية ، موضع في اراضي كندة[١٦٥] .

القلانس اليمنية[١٦٦] .

هوامش الفصل الاول

(١) جرش : مدينة من مدن اليمن الشهيرة ، وفيها الكعبة اليانية المعروفة بذي الخلصة وقد اندثرت المدينة ولم يبق منها اليوم سوى آثارها على الحافة الغربية لوادي بيشة على بعد ١٥ كم جنوب شرق خميس مشيط و ٤٤ كم عن ابها الى الشمال من خط العرض ١٨ عند خط الطول ٤٣ .
مجلة العرب : كانون اول ١٩٧١ ، ج ٢٤١/٤ ، انظر ايضا ج ٢٩/١ .
ملاحظة : سوف استعمل في الهامش اسم الكتاب فقط ، واكتفي بذكر المعلومات الاخرى في قائمة المراجع باستثناء كتاب الازدي ، فتوح الشام الذي سوف استعمل اسم المؤلف لوجود كتاب اخر يحمل نفس اسم كتابه .

(٢) انظر خارطة اودية اليمن . الصفة : ٧١ ـ ٧٥

(٣) المصدر السابق ، حيث تتابع الاودية من الشمال الى الجنوب .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر خارطة اليمن الطبيعية .

(٧) الوطن العربي : ١٧٩ ، ١٨٦ .

(٨) الصفة : ١٠٤ .

(٩) الصفة : ١٨٠ .

(١٠) الصفة : ١١٤ .

(١١) الصفة : ٧٦ ، ١٩٤ .

(١٢) الصفة : ١٠١ . الاكليل : ١١٥/٨ .
لقد بحث الهمداني سدود اليمن في كتأبيه الاكليل والصفة وذكر عنها معلومات مفصلة شملت تحديد مواقع بعضها ونجدها وبالتتابع في الصفحات ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٨٢ ، ٢٤٨ من الصفة وفي ١١٥/٨ من الاكليل . انظر ايضاً الاعلاق النفيسة : ١٠٩ .

(١٢) الصفة : ٧٦ .

(١٣) المصدر السابق : ١٠٧ .

(١٤) المصدر السابق : ١٠٤ ، ١٠٧ .

(١٥) المصدر السابق : ٧٧ .

(١٦) الاعلاق النفيسة : ١١١ .

(١٧) الصفة : ٦٨ ، ٧٦ ، ١٠٤ . الاكليل : ٩/٨ . المخصص : ٢٠٩/١١ . شرح اشعار الهذليين : ٧٢٥/٢ . الاعلاق النفيسة : ١١١ . نهاية الارب : ٣٤٨/١١ . معجم البلدان : ٤٧٢/٤ .

(١٨) الصفة : ٧٥ . معجم البلدان : ٤٧٢/٤ .

١٩) الصفة : ١٠٠ ، ٢٠١ .

٢٠) المصدر السابق : ١٩٨ ،٢٠١ .

٢١) الصفة : ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٠١ . معجم البلدان : ٢٠/٢ .

٢٢) الصفة : ١٥ ، ١٠٠ ، ٢٠١ . الاكليل : ١٩٣/١ ، ٤٠/٢ . معجم البلدان : ٢٢١/٣ . حياة الحيوان الكبرى : ٢١/١ ـ ٢٢ . صبح الاعشى : ٣٢/٢ .

٢٣) معجم البلدان : ٢٢/٣ ، ٢٢٤ وسامة مشتقة من السام وهو عرق الذهب .

٢٤) الصفة : ٢٠٢ . الاكليل : ٣٠/٨ . معجم البلدان : ٥٧٧/٣ ، ٦٠٣/٤ ، ٩٤٧ . الاعلاق النفيسة : ١١٢معجم ما استعجم : ٩٠٤ تاج العروس : ٣٠٠/٥ احسن التقاسيم : ٩٨ ،١٠١ تقويم البلدان : ٩٧ .

٢٥) الاكليل : ٣٠/٨ . معجم ما استعجم : ٩٠٤ .

٢٦) الصفة : ٢٠٢ . الاكليل : ٣٠/٨ . معجم ما استعجم : ٩٠٤ .

٢٧) الصفة : ١٠٥ . الاكليل : ٣٠/٨ . الاعلاق النفيسة : ١١٢ . تاج العروس : ٥٦/٣ . الاشارة : ١٨ .

٢٨) الجوهرتين : ١٧١ . معجم البلدان : ٢٥٠/٣ .

٢٩) الامتاع والمؤانسة : ٨٤/١ . الازمنة والامكنة : ١٦٤ .

٣٠) ثغر عدن : ١٨ .

٣١) الصفة : ٢٠٣ . الاعلاق النفيسة : ١١٢ . تقويم البلدان : ٩٧ .

٣٢) الصفة : ٩٩ ، ٢٠٢ . معجم البلدان : ٢٧/٢ ، ١٢٩ . عدها ياقوت اسفل جبل صبر وهذا وهم .

٣٣) معجم البلدان : ١٧٧/٢ .

٣٤) الاكليل : ٢٥٤/٢ . شرح اشعار الهذليين : ٢٩/١ .

٣٥) المخصص : ٣٣/٦ .

٣٦) الصفة : ٢٠١ . الاعلاق النفيسة : ١١٢ . تاج العروس : ٥٢١/٥ ، ١٨٠/٨ .

٣٧) الاعلاق النفيسة : ١١٢ . تاج العروس : ٥٢١/٥ .

٣٨) المصدر السابق .

٣٩) النبات : ٣٤٨ .

٤٠) فيا يتعلق بموضوع مناطق الانسجة والثياب تراجع مقالات الدكتور صالح العلي .

٤١) الاعلاق النفيسة : ١١٢ .

٤٢) انظر قائمة ثياب اليمن .

٤٣) ديوان حمير بن ثور : ٨٢ .

٤٤) المخصص : ٤/ ٧٣ . نهاية الارب : ٢٨٦/١٨ . معجم البلدان : ١٧٧/٢ . الصفة : ٢٠٢ . شرح اشعار الهذليين : ٢٥/١ .

(٤٥) الازمنة والامكنة : ١٦٤ . وعن شهرة عدن بالطيب انظر : الامتاع والمؤانسة : ٨٤/١ . صبح الاعشى : ٤١١/١ . ثغر عدن : ٥٥ . تخصص رجال عدن ببيع العطر .

٤٦) الصفة : ١٣٣ .

٤٧) تاج العروس : ٥/ ٣٦٩ .

٤٨) معجم ما استعجم : ٧٢٨ . معجم البلدان : ١١٥/١ . الخراج : ١٣٧ . مسند ابي داود : ٢/ ١٢٩ ، ١٣٠ . تاج العروس : ٥/ ٣٦٩ .

٤٩) الصفة : ٩٧ .

٥٠) المصدر السابق : ٩٩ .

٥١) المصدر السابق : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

٥٢) المصدر السابق : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ .

٥٣) الاكليل : ٢/ ٢٦٢ .

٥٤) الصفة : ١٠٤ .

٥٥) المصدر السابق

٥٦) المصدر السابق : ١٠٥ .

٥٧) المصدر السابق : ١١٤ .

٥٨) المصدر السابق : ١١٧ .

٥٩) الصفة : ٩٩ ، ١١٧ .

٦٠) المصدر السابق : ٩٩ . الاكليل : ٨/ ١٠٢ ، ١٠/ ١١١ .

٦١) المصدر السابق .

٦٢) الصفة : ١٠٧ .

٦٣) الاكليل : ١/ ٢٠٤ .

٦٤) The Southren gates of Arabia. P .P .209 ,210

٦٥) الصفة : ١٧٩ . الامتاع والمؤانسة : ٨١/١ .

٦٦) انظر هامشنا (٤٥) عن صناعة العطور في عدن .

٦٧) ثغر عدن : ٥٩ . و The Southren gates , P P. 218 —19 وردت في المصدرين معلومات عن عشور التجارة في عدن في عصور لاحقة لفترة بحثنا تفيد في اعطاء فكرة عن الارباح المترتبة على التجارة .

٦٨) الصفة : ٥٤ ـ ٥٥ ، ذكرت هذه المدن بالتتابع .

٦٩) الصفة : ٥٤ ، ٥٥ ، ١٠٢ .

٧٠) المصدر السابق : ١٠٩ ، ١١١ ذكر الرحبة اول بلاد حاشد .

٧١) المصدر السابق : ٨٣ ، ١١٥ .

٧٢) انظر خارطة الاودية .

٧٣) الاكليل : ٨/ ١١٥ .

٧٤) الصفة : ٦٧ ، ١١٤ . معجم البلدان : ٣ / ٧٨٦ ، ٤ / ٦١ .

٧٥) المصدر السابق : ١٩٤ .

٧٦) المصدر السابق : ٦٦ ، ١٩٣ . الاكليل : ٨ / ٦١ .

٧٧) المصدر السابق : ١٩٣ .

٧٨) المصدر السابق : ١٩٤ .

٧٩) المصدر السابق : ١٩٣ .

٨٠) المصدر السابق : ٨٥ ، ١٠٠ ، ٢٠١ .

٨١) الجوهرتين : ١٣٩ . الصفة : ٦٧ ، ١١٤ . معجم البلدان : ٤ / ١٤٧ .

٨٢) الصفة : ٨١ . الجوهرتين : ١٣٩ ، ١٥١ . الاكليل : ٨ / ٨٤ .

٨٣) الصفة : ١٠٥ ، ٢٠٢ . الاكليل : ٨ / ٣٠ . الاعلاق النفيسة : ١١٢ . تاج العروس : ٣ / ٥٦ .

٨٤) الجوهرتين : ١٧١ .

٨٥) جمهرة اللغة : ٢ / ٢٩٣ . معجم ما استعجم : ١٠٥٢ .

٨٦) انظر خارطة اليمن .

٨٧) الصفة : ١١١ .

٨٨) المصدر السابق .

٨٩) سيرة ابن هشام : ٤ / ٢٤٤ . العقد الفريد : ١ / ١٣٤ .

٩٠) طبقات ابن سعد : ٦ / ١٦٢ . نهاية الارب : ١٨ / ٩ .

٩١) الوثائق السياسية : ١٥٤ ، ١٥٦ . الاكليل : ١٠ / ١٦ . صفين : ٢٠٥ . كتاب الفتوح ، ٣ / ٥٢ ، ١٩٧ .

٩٢) انظر خارطة اليمن .

٩٣) الاكليل : ١ / ٢٠٤ .

٩٤) الصفة : ٦٧ ، ١١٣ . معجم البلدان : ٣ / ٧٨٦ ، ٤ / ٦١ .

٩٥) الاكليل : ٨ / ١١٥ .

٩٦) الصفة : ١١٣ .

٩٧) الدارات : ١٢ . تقويم البلدان : ٩٥ . الاكليل : ١ / ١١٩ ، ٢٩٥ ، صحيح مسلم : ٤٥٧ . مسند احمد بن حنبل : ١ / ١٤١ ، ٥ / ٢٨٥ . تاج العروس : ٦ / ٣٥٨ .

٩٨) الجوهرتين : ١٣٩ . الصفة : ٦٧ ، ١١٤ . معجم البلدان : ٤ / ١٤٧ .

٩٩) الصفة : ٢٠٢ . معجم البلدان : ١ / ٩٧٣ .

١٠٠)الاكليل : ١ / ٣٢٥ .

١٠١) الصفة : ١١٤ .

١٠٢) الصفة : ٦٧ . الاكليل : ٢ / ٢٩٤ . اسم صعدة القديم « قرنان » .

١٠٣) الوثائق السياسية : ١١١ .

١٠٤) الصفة : ١٩٨ .

١٠٥) المصدر السابق : ١٩٩.

١٠٦) الصفة : ٨٦ ، ١٩٩ .

١٠٧) الاكليل : ٨ / ٦١ .

١٠٨) الصفة : ٢٠٠ .

١٠٩) المصدر السابق : ٢٠٢ .

١١٠) المصدر السابق : ١١٤,٦٧ . الجوهرتين : ١٣٩ .
١١١) الوثائق السياسية : ص ١١١ .
١١٢) المصدر السابق
١١٣) المصدر السابق
١١٤)
١١٥) الوثائق السياسية : ص ١١١ .
١١٦) الصفة : ٩٠ . الجوهرتين : ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٧٤ .
١١٧) انظر خارطة اودية اليمن .
١١٨) الوطن العربي : ١٨٦ .
١١٩) الصفة : ٨٦ .
١٢٠) المصدر السابق
١٢١) المصدر السابق : ٩٧ .
١٢٢) The Southren Gates, pp. 215, 216, 217.
١٢٣) Ibid., pp. 212, 213, 216.

١٢٤) Ibid., P. 211.
١٢٥) Ibid., PP. 211-212, 213.
١٢٦) الاكليل : ٢/ ٢٥٠ .
١٢٧) الصفة : ٨٥ ، ١٠٠ ، ٢٠١ . الاكليل : ١/ ١٩٣ ، ٢/ ٤٠ .
معجم البلدان : ٣/ ٢٢٦ . حياة الحيوان الكبرى : ١/ ١١ .
١٢٨) الصفة : ٢٠١ .
١٢٩) الاكليل : ٢/ ٣٧٨ .
١٣٠) الصفة : ٨٦ .

١٣١) المصدر السابق : ١٢٦
١٣٢) المصدر السابق : ٨١ ، ٨٣ .
١٣٣) المصدر السابق : ٨١ .
١٣٤) الصفة : ١٠٧ . تاريخ الطبري : ٣/
١٣٥) الصفة : ٨١ .
١٣٦) المصدر السابق : ٨٠ .
١٣٧) المصدر السابق : ٨٠ ، ٩٥ .
١٣٨) المصدر السابق : ١٠٢ .
١٣٩) صحيح سنن المصطفى : ٢/ ٤٢ .
١٤٠) الصفة : ٩٩ .

١٤١) الصفة : ١٠٨ . الاعلاق النفيسة : ١١٣ .

١٤٢) الصفة : ٨١ . الجوهرتين : ١٣٩ ، ١٥١ .

١٤٣) الصفة : ٥٣ ، ٨٧ ، ١٠٢ .

١٤٤) The Southren Gates, PP. 209, 210.

١٤٥) The Southren Gates, PP. 259 -210.

١٤٦) ان هذه النسبة للقبائل اسلامية تعبر عن اوضاع القرن الرابع الهجري اما في صدر الاسلام فليس لدينا معلومات سوى عن عك والاشعريين .

١٤٧) الصفة : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٧١ ـ ٧٣ ، حيث ذكر هذه الاودية بالتتابع وانظر ايضا خارطة اودية اليمن .

١٤٨) المصدر السابق .

١٤٩) المصدر السابق : ٧٥ . معجم البلدان : ٤٧٢/٤ .

١٥٠) المصدر السابق .

١٥١) الاكليل : ٦١/٨ . الاعلاق النفيسة : ١١١ ، ١٩٩ .

١٥٢) الصفة : ٧٥ .

١٥٣) المصدر السابق .

*) انظر مقالة الدكتور صالح احمد العلي عن الانسجة في القرنين الاول والثاني ، مجلة الابحاث ، ج ٤ لسنة ١٩٦١ .

١٥٤) الاشتقاق : ٣٨٠ . جمهرة اللغة : ٤٤٧/٣ . الخراج : ١٣١ . تاريخ الطبري : ١٠٨/٢ . معجم ما استعجم : ١٢٤١ .

١٥٥) الاشتقاق : ٥٣٥ . جمهرة اللغة : ١٥٤/٢ . طبقات بن سعد : ٦٧/٤/٢ . معجم ما استعجم : ٤٥٦ ، ٧٢٧ . المخصص : ٧٣/٤ .

١٥٦) الاشتقاق : ٣٧١ . معجم البلدان : ٢٧٥/٢ . ديوان الاعشى : ١٠ .

١٥٧) الدر المكنون : ٥٢ . عن سبل الهدى للشامي .

١٥٨) معجم ما استعجم : ٤١٠ .

١٥٩) المصدر السابق : ٣٧٨ . امتاع الاسماع : ٨/١ . الازمنة والامكنة : ١٦٤/٢ .

١٦٠) معجم ما استعجم : ٨٤٨ .

١٦١) جمهرة اللغة : ٢٩٣/٢ . معجم ما استعجم : ١٠٥٤ .

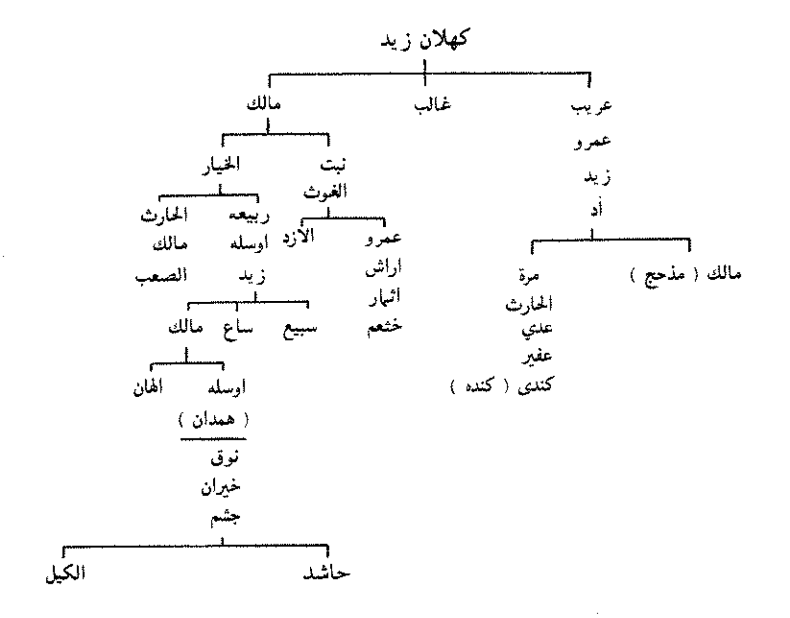
١٦٢) معجم ما استعجم : ١٠٤ . المخصص : ٧٣/٤ .

١٦٣) امتاع الاسماع : ٥٠٤ ، ٥٤٩ .

١٦٤) الاكمال : ٢٢٩/١ .

١٦٥) ديوان الاعشى : ١٥ .

١٦٦) الدر المكنون : ٥٢ عن ابن عساكر .



الفصل الثاني

الأحوال الاجتماعية في اليمن عند ظهور الاسلام

يتبين من وصف الهمداني لجغرافية اليمن ، وهو أوسع وصف وصل الينا عن هذا الاقليم في القرن الرابع الهجري ، ان معظم المناطق والأماكن الجغرافية فيه مسماة بأسماء القبائل ، وهذا يدل على قوة النظام القبلي وتأثيره في اليمن وفي تنظياته الاجتماعية ، وحياته الاقتصادية ، كما ان بقاءه حتى القرن الرابع الهجري يدل على مدى تغلغله وعمق جذوره ، رغم انتشار الاسلام ومبادئه ، ورغم تثبيت السلطة العليا والدولة التي ضمنت الأمن والأستقرار للجميع .

وهذا المظهر واضح ايضاً في روايات النسابين الذين رووا لأهل اليمن انساباً تلتقي جميعاً في قحطان ، وأغفلوا كلياً المظاهر الأخرى للعلاقات الاجتماعية . غير ان المؤرخين عندما تكلموا عن ماضي اليمن لم يذكروا قبائله ، ولم يظهروا في كلامهم المقتضب والمليء بالأساطير عن تأريخه قبل الاسلام ان المجتمع اليمني كان قائماً على النظام القبلي بل قدموا لنا اخبارهم على اساس ان اليمن مقسم الى دول ، ولكن الدول التي تكلموا عنها كانت مسماة بأسماء قبائل يمانية مثل معين وسبأ وحمير رغم تأكيدهم ان الدولتين الأولبين قديمتين نسبياً ، أما حمير التي كانت دولتها قريبة العهد من ظهور الاسلام فان روايات النسابين عنها تختلف عن اخبار المؤرخين ، فقد صورها النسابون قبيلة واسعة كبيرة ولم يذكروا دولتها قط . اما المؤرخون فصوروها دولة عظيمة ، ولم يظهروا لها صلة بالقبيلة سوى الاسم ، وبالطبع بين روايات النسابين وكلام المؤرخين فروق جوهرية تتعلق بتصورهم لطبيعة البناء الاجتماعي والتأريخ السياسي ولنظام الانتاج ، أي بايجاز

في التطور الحضاري العام .

وقد بقيت الدولة الحميرية حتى القرنين الأخيرين قبل الاسلام فظلت اخبارها والكثير من نظمها وتقاليدها ماثلة للأذهان مما مكن من اظهار الفروق الجوهرية بين روايات النسابين وكلام المؤرخين . وقد ادى سقوط الدولة الحميرية في القرن الخامس الميلادي الى فقدان اليمن لسلطة سياسية عليا وطنية توحدهم وتلم شملهم ، فأخذت عوامل كثيرة تعمل على تفكيك وحدتهم وإضعاف آثار النظم الموحدة التي وضعها الحميريون والى اظهار صيغ اجتماعية جديدة قبلية على الأغلب . ولعبت الطبيعة الجغرافية الجبلية والمعقدة دوراً كبيراً في تفكيك اليمن وفي قيام التجمعات البشرية على أسس قبلية في معظم ارجاء اليمن . غير ان مناطق أخرى ، كالمنطقة الواقعة بين صنعاء وعدن ـ منطقة حمير ـ حيث كانت النظم الحميرية قوية ، وحيث بقيت حمير تتمتع بنفوذ قوي ، لم تظهر فيها تلك الصيغ القبلية للتجمعات البشرية وبقي المجتمع في تلك المنطقة يسير على نمط المجتمع القديم الذي كان سائداً ولو بشكل محدود .

اظهر الشكل القديم للمجتمع استمراريته في بقاء لغة سكان المنطقة لغة حميرية سواء كانوا ينتسبون الى حمير أم الى قبائل أخرى . ويذكر الهمداني ان سكان سرو حمير في كلامهم شيء من التحمير ووصف سكان المعافر بالغتم والسكاسك وسط بلاد الكلاع فيهم عسرة في اللسان الحميري وسراتهم فيها تعقد . سحلان وجيشان ووراخ وخضر والصهيب وبدر قريب من لغة سرو حمير . جبلان في لغتهم تعقد . حقل قتاب الى ذمار حميرية قحة متعقدة . حراز والاخروج وشرق اقيان وواضح والمعلل فيها ما هو ادخل الى الحميرية المتعقدة لا سيما الحضورية من هذه القبائل . بلد همدان البون يخلط حميرية . خيوان فيهم حميرية كثيرة الى صعدة . شبام اقيان والمصانع وتخلى حميرية محضة[١] .

وهناك ظاهرة اخرى تدل على استمرار الأنماط القديمة للمجتمع في بعض المناطق تلك هي وجود كلمة « ذو » الى جانب الاسم « اسم العلم » وهذه الكلمة

تعبر عن واقع ملكية اقتصادية ، وقد بينا في الفصل السابق عن جغرافية اليمن كثرة الأشخاص وكثرة الأماكن التي اقترنت بكلمة « ذو » وبخاصة في منطقة حمير ، غير ان استخدام كلمة « ذو » يتناقص اذا توجهنا شمالا او شرقاً ما عدا همدان التي تنفرد بوجود بعض الأسماء التي اقترنت بكلمة « ذو » .

اما المناطق الأخرى في حضرموت ، وما بين صنعاء ونجران ، والأقسام الشمالية من تهامة فقد ضعفت فيها التنظيمات القديمة وحلت محلها صيغ جديدة للمجتمع البشري طابعها قبلي بحت . وعموماً فالتنظيم الاجتماعي في اليمن يقوم على اساس بشري وليس جغرافي لأن اسماء الأماكن مستمدة من اسماء تجمعات السكان وكان معظم هؤلاء السكان كما تدل التعابير التي تصفهم قبائل . غير ان التعابير التي تتعلق بالنظام القبلي في اليمن لم تكن واحدة ، بل كانت متعددة ، أي ان النظام القبلي لم يكن واحداً ، اضافة الى ان هذه التعابير المتعددة معظمها خاص باليمن ، ولم يستعمل في وصف سكان المناطق الأخرى من الجزيرة . وقد اورد العهد الذي كتبه الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لمالك بن النمط الهمداني عدداً من هذه الأنماط القبلية حيث ورد فيه : « وكتب له عهده على همدان أحمورها وغربها وخلائطها ومواليها »[٢] .

والاشارة الواردة الى عرب همدان تعني البدو ، وهذا المعنى تؤيده رواية عن وفد همدان عندما قدموا الى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ حيث قالوا له « يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد »[٣] فالتمييز هنا صريح بين المتحضرين والبدو من همدان وهو يعني نفس المعنى الوارد في النص السابق « احمورها وعربها » . وقد فسر عمرو بن يحيى بن سلمة الهمداني كلمة « عربها » الواردة في العهد المذكور بأنها تعني اهل البادية[٤] . وهكذا وردت في النقوش اليمانية القديمة[٥] . وفي القرآن الكريم الآية « قالت الأعراب امنا ... » إشارة الى البدو[٦] . فالنص اذا يعبر عن وضعية حضارية وعن نمط من انماط الانتاج « رعوي » ترتب عليه نمط اجتماعي .

وذكر ابن الكلبي اعراب همدان وهم قبائل ارحب ، ونهم ، وشاكر ، ووادعة ، ومرهبة ، وَدالان ، وخارف ، وعذر ، وحجـور[٧] ، وفي رواية اخـرى ذكرت قبائل عذر ويام ونهم وأرحب وشاكر فقط[٨] . ومن البادية ايضاً بني رازح ورشوان والأزمع من خولان[٩] .

ولم يقتصر البدو على اولئك الذين فرضت عليهم علاقات الانتاج ان يكونوا بدواً ، بل ذكرت لبعض المدن بادية لا بمعنى الصحراء انما بمعنى حاشية من الأعراب فرداع باديتها الربيعيون والزياديون وبنو حبيش من زبيد[١٠]. والكدراء مدينة باديتها من عك[١١] وجيشان باديتها سبأ الصهيب[١٢]، والمهجم مدينة لها بوادي وزبيد لها بوادي ايضاً[١٣]. أي ان الأعراب توغلوا الى داخل اليمـن وسكنوا حول بعض المدن .

ويبدو ان اهل اليمن قبلوا الاعراب منذ ازمنة قديمة في الدولة، وفي نقوش ما قبل القـرن الخـامس الميلادي اشـارات كثـيرة الى اعـراب مرتبطـين ببعض القبائل . فلكندة اعراب ، ولمذحج اعراب ، ولمراد اعراب[١٤]، كما وردت الاشارة الى « شعب همدان هجرهم واعرابهم »[١٥]، فهذه القبائل اتخذت اعراباً ومع ان سبب ذلك غير واضح ، الا ان تمتع الاعراب بروح قتالية عالية هيأهم عنصراً اساسياً في الحرب في وقت كانت الصراعات الدولية والداخلية في اليمن نشطة ، اي ان قبائل اليمن فقدت روحها القتالية فاستعانت بالبدو ، او ان تكون تمتعت بنفوذ ذاتي واسع بسبب ضعف السلطة المركزية بحيث احتاجت الى تشـكيل جيوش خاصة بها . فاستخدمت الاعراب الذين كانوا يحومون على حدود اليمن ووجهت روحهم القتالية لخدمة مصالحها بدل التصادم معهم ، ان هذه الاحتمالات تفسر لنا سبب وجود جماعة من السكان وصفوا بالبادية قرب مدن ليست ذات بيئة بدوية ، وهي تفسر لنا سبب تغلغل البدو الى داخل اليمن ، ويبدو انهم شكلوا عنصرا مهما حتى ان ملوك اليمن في القرن الخامس الميلادي اشاروا الى الاعراب في القابهم الملكية[١٦].

احتك الاعراب باليمن من اطرافها الشمالية والشمالية الشرقية فيما بين حضرموت ونجران ، اي انهم كانوا يأتون الى اليمن من تلك الجهات ، ولا بد ان الدافع الرئيسي لقدومهم هو فقر بلادهم ، وغنى اليمن الاقتصادي الذي جعلها تجذب اهل الصحراء . وقد اشارت بعض النقوش الى ان الاعراب دخلوا اليمن من منطقتي العبر وردمان[١٧] . ومن جهة تهامة المجاورة لارض حاشـد غرب المنطقة الممتدة بين صنعاء وصعدة[١٨]. كما انهم في اواخر ايام السيطرة الساسانية على اليمن كانوا يضغطون على منطقة مأرب وارض سبأ من منطقة الجوف[١٩]. وانها لذلك كانت منطقة صراع بين مذحج وخولان من جهة وبين الفرس وهمدان من جهة ثانية .

كما ان قبائل مذحج تسللت من العبر وردمان الى المنطقة المحصورة بين شبوة بحضرموت وبلد المعافر التي كانت تعرف بسرو حمير ، فاستوطنتها واجلت عنها حمير في الاسلام، وعرفت هذه الارض فيما بعد بسرو مذحج وقد اشار الهمداني الى توغل مذحج في منطقة ذمار ورداع[٢٠].

كون الاعراب نسبة كبيرة من مجموع سكان اليمن ، ويمكن معرفـة اماكن وجودهم من لغتهم[٢١]، ومن افتقار اسماء مواضعهم او قبائلهم لكلمة « ذو » التي تعبر في اليمن عن الملكية الاقتصادية ، فقبائل مذحج وخولان من القبائل التي لم تذكر المصادر وجود اذواء بها وحتى همدان ، فالكثير من قبائلها كانت اسماؤهم تخلو من كلمة « ذو » وقد وصفت بالبداوة[٢٢]. وثمة دليل آخر ، فالمناطق التي تسكنها هذه القبائل تقل فيها المستوطنات من القرى وتكاد تخلو من المدن

طبقات المجتمع اليمني : -

الفلاحون

اما المناطق الداخلية من اليمن التي تمتعت بامكانات اقتصادية زراعية وحيوانية وصناعية ، استغلها السكان ، وبخاصة بعد تطوير نظام الري بالسدود ،

الذي ساعد على زيادة الانتاج الاقتصادي وتنوعه[٢٣]، وازدهار التجارة . فقد اقتضى الازدهار الاقتصادي ان يتجه المجتمع نحو نوع من العمل المتخصص[٢٤]، وزيادة استخدام العبيد في المجتمع على نطاق واسع بسبب الحاجة الى الايدي العاملة في عدد من جوانب الحياة الزراعية والصناعية وفي الجيش[٢٥]. ان قيمة واثر الازدهار الاقتصادي ليسا في زيادة الثروة فحسب بل في ظهور اساليب وتنظيمات وطرق عمل جديدة ، وكل هذه الظواهر التي اشرنا اليها (تنوع النشاط الاقتصادي ـ العمل المتخصص ـ ظهور العبيد ـ الاساليب والتنظيمات ـ طرق العمل الجديدة) لابد ان تحدث تأثيرا في البناء الاجتماعي باتجاه تخفيف حدة النظام القبلي المطلق ، وتحول الانسان الى الاستقرار ونشوء المستوطنات البشرية وظهور علاقات اجتماعية جديدة وتبلور صيغ اجتماعية للتجمع البشري اكثر تماسكا وانسجاما مع ضرورة استمرار النظام السياسي .

لقد تركزت المستوطنات في الهضبة الوسطى (السراة) ، وبخاصة في قسميها الاوسط والاسفل اللذين استوطنته قبائل انتسبت الى حمير . كذلك في حضرموت وبنسبة محددة شمالي صنعاء[٢٦]، اي ان سكان اليمن كانوا قد الفوا التحضر واعتادوا على الاستقرار، وعملوا في الزراعة . لقد اطلق على هذه المستوطنات اسم (القرى) . اما المستوطنات التي قطعت شوطا في تنوع وازدهار الانتاج بسبب ظهور الصناعة او اهمية الموقع الجغرافي للتجارة فقد اطلق عليها اسم (مدينة) اما سكانها فقد عرفوا باسماء متعددة . ومن هذه الاسماء (الاحمور) وورد أيضاً « الاخمور »[٢٧] والواقع ان هذه التسمية تنطبق على سكان القرى من همدان ، فهم مستقرون واسماؤهم فيها كلمة « ذو » وهم يتكلمون الحميرية[٢٨] ، ومنهم كثيرون دخلوا في قيالة حمير وصاهروها واشير لهم في لقب القيل الحميري النعمان قيل رعين ومعافر وهمدان[٢٩] . ومن قبائل الاحمور قدم والي ذي مران وآل ذي لعوة واذواء همدان[٣٠]. وفي رواية اخرى انهم خارف والصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حدان وآل ذي رضوان وآل ذي مران وآل ذي لعوة[٣١]. وقد استخدمت كلمة (الاحمور) في اماكن اخرى من

اليمن . مثل احمور المعافر واحمور الهان وهما من مناطق حمير[٣٢]، والاحمور بمدينة يشبم بحضرموت مع الايدوع والايدوم من آل ذي يزن[٣٣] . مما يدلل على اطلاقه على سكان القرى . وبما ان هذه القرى زراعية فمن الممكن الاستنتاج ان الحمور هم الفلاحون ، الا ان المصادر لم تقدم تفاصيل عنهم ولا عن نظام الملكية الزراعية او احوالهم الاقتصادية او تنظيماتهم الاجتماعية .

غير أن نصا ورد في رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ الى بني عبد كلال من حمير جاء فيه : « وليس في رقيق ولا مزرعة ولا عمالها شيء ... وليس في عبد مسلم ولا فرسه شيء . »[٣٤] ويتبين من هذه الرسالة ان مزارع بني عبد كلال كانت فيها ثلاث فئات « رقيق وعمال وعبيد فرسان » غير اننا نجهل اصول هذه الفئات واحوالها وحقوقها ونظام العمل الذي تمارسه او علاقتها بالارض وبالمالك ، رغم ان وجود هذه الفئات في مجتمع زراعي يعتمد على الزراعة يقتضي ان يكون الرقيق للاعمال الصعبة والثقيلة ، والعمال للري اما العبيد الفرسان فعلى الارجح انهم جيش محلي يقوم باعمال الامن . ويذكر جروهمان انه في بعض مناطق الجنوب العربي (عدن وحضر موت) توجد الى الان جماعات تسمى العساكر وهم كالاتباع لاصحاب السلطة في المدينة ، ويوجد منهم الحر والعبد .[٣٥]

ويشبه هذا الوضع الاجتماعي اشارة اخرى الى ربيعة بن ذي مرحب من حمير بحضر موت حيث ميز بين « نحلهم ورقيقهم » .[٣٦]

يبدو ان الفلاحين كانوا يعانون من سوء الاوضاع فذكرت الروايات انهم « مغلوبون مغمورون بما عليهم من الخراج والكلف والاثقال » .[٣٧] والظاهر انها كانت ضرائب متعددة وباهظة وان الرسول ﴿ﷺ﴾ ادرك سوء حالتهم ، لهذا اعفاهم من تلك الضرائب .

ويفسر النويري النص الوارد في رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ « ومن اجبى فقد اربى » بالذين يشترون المحاصيل الزراعية قبل نضجها باثمان واطئة مما يشير الى وجود طبقة من المرابين .[٣٨]

ويرتبط بالاراضي الزراعية المعروفة بحقول اليمن كحقل جهران في مخلاف ذمار وحقل قتاب في شمال السحول وهما من منطقة حمير قوم عرفوا « بوضيع تبع »[٣٩] وفي مخلاف العود وذي رعين من منطقة حمير ايضا « اقباض حمير واقباض خولان » .[٤٠] ولبني سفيان بن عبد كلال ثمانون مملوكا يقال للرجل المملوك « دمي » وهم « الدمم » .[٤١]

وتشير المصادر الى الرقيق ، كذلك الاشارة الى سكان المزارع عند بني عبد كلال او رقيق بني ربيعة بن ذي المرحب ، والواقع ان الاشارات الى الرقيق كثيرة ، فذو الكلاع كان له عدد كبير من العبيد يتراوح بين ٤ ـ ١٢ ألف عبد[٤٢] ولبني طريف من كندة عبيد .[٤٣] ولعك ذي خيوان عبيد ،[٤٤] ولهمدان رقيق .[٤٥]

ان ارتباط هذه الفئات بالزراعة سواء كانوا احمورا او رقيقا او عمالا ، كما وصفوا تصور لنا المجتمع الزراعي وكأنه واحد امام القانون بغض النظر عما اذا كان عبدا او ابن قبيلة ، وانه ليس له حق في الملكية انما هو مجرد مأجور للعمل في الارض ، وهو وضع كان سائدا في اليمن قديما ، وينشأ عندما تستطيع قبيلة من القبائل ذات الامكانات المتقدمة من السيطرة على القبائل الاخرى التي لم تبلغ قوتها وامكاناتها وفي هذه الحالة تخضع القبيلة التابعة الى القبيلة القائدة وتتخلى لها عن ارضها ، ويتحول ابناؤها الى عبيد ، بينما يمارس ابناء القبيلة القائدة امور الحكم والادارة .[٤٦]

سكان المدن ـ الصناع : ـ

لقد توفرت لبعض المستوطنات الزراعية عوامل غير الماء والزراعة ، كتوفر المعادن او الحيوانات مثلا ، فظهرت فيها اوجه جديدة للنشاط الاقتصادي كالصناعة ، وربما ايضا تمتعت هذه المستوطنات بموقع جغرافي مهم عن طريق التجارة فتحولت بمرور الزمن الى مدن ،[٤٧] وبسبب حاجة نشاطها الاقتصادي

الى ايدي عاملة فان مزيدا من السكان انتقلوا اليها . وان هؤلاء السكان تحت ضغط الحاجة تنوعت اصولهم القبلية ، والظاهر انه لتنظيم العلاقة بين هؤلاء السكان توصل اهل اليمن الى صيغ اجتماعية تقوم على مبدأ التنوع القبلي ، وقد ذكرت المصادر مناطق متعددة سمت سكانها « خليط » ، وقد يكون الخليط من بطون قبيلة واحدة ، فجيشان مدينة يسكنها خليط من حمير من رعيني ورداعي وصراري وغير ذلك .[٤٨] والخشب سكانه خليطي من قبائل وادعة وغيرها من حاشد وبكيل .[٤٩] وقد يكون الخليط من قبائل مختلفة فذو حلفان لبني مر من مراد وفيهم اخلاط من بني غيلان من جنب . وقرن سبعة اودية اهلها كلها اخلاط من مراد ومن حمير[٥٠] وممن وصف بالخليط سكان منطقة البون في منطقة همدان[٥١] ، ورداع مدينة في منطقة حمير يسكنها خلط من حمير من الاسوديين ومن خولان وبلحرث وعنس ، ومدينة ثات ايضا .[٥٢] والكدراء بتهامة مدينة يسكنها خليط من عك والاشعر .[٥٣] فالخليط اذا ليس تنوعا اجتماعيا مقصورا على مكان بعينه، فقد يكون سكان قرية وقد يكون سكان مدينة .

ولا نعرف العلاقة بين الخليط وبين وضعية اجتماعية اخرى هي « الجماع » وهي كلمة استخدمت لوصف مجموعات قبلية تتكون من عشائر ذات اصول نسبية مختلفة ، فأديم خولان جماع ليس من ولد الصلب تحالفوا وكتبوا حلفهم في أديم احمر فسموا بالاديم ، ولقدم هذا التكتل فقد اختلف فيه[٥٤] ، ويرتبط الجماع بمدينة فأديم خولان في صعدة حتى ان الهمداني ذكر ان اسمها القديم « جماع » فكأنه يربط بين اسم التكتل والمدينة[٥٥] . كما ان شبام وصفت بمدينة الجميع[٥٦] . ولدينا صورة اخرى للجماع هي قبيلة ذي الكلاع من حمير التي تتكون من بطون متعددة اجتمعت مع بعضها ، والتفت حول زيد بن شهال بن وحاظة منها « عرنة وصرنة والاشروع ونخلان وبكالم وشقحب وزنجع وبهيل والقفاعة وذي مناخ وبعدان وريمان وعروان ونعيمة وعلانس والخباير والسحول ودمت وحميم وجبأ والسلف بن زرعة والصرادف والمواجد وبنو علقان والتباعيون من همدان . »[٥٧] ويرى الهمداني ان الكلاع اخذت اسمها من التكلع أي

الاجتماع[٥٨] .

لقد وجدت هذه التكتلات نفسها ضمن تكتلات اوسع مثل يرسم ويذكر عبد الملك بن يغنم ان يرسم القديمة بيتان من حمير اتحدا ثم انضاف لهما العميرات من ذي سخيم ، ثم توسع التحالف فأصبح يشمل ثلاثة عشر بيتاً ترسمت على يرسم بن كثير وعلى بقية يرسم الأولى ، اي ان يرسم بن كثير قام بتجديد هذا الاتحاد وتطويره ومن قبائل يرسم حاشد من همدان ، وسعد بن سعد من خولان ومن باقي بطون خولان والخولي[٥٩] . وبيت من بني هلال ، وبيت من كنانة وبيت من بني حنيفة ، وبيت من اهل نجران ، وبيت من مذحج وبيت من قحافة من خثعم ، وبيت من عوير . كما دخلها بيت من الأبناء وهذا يعني ان هذا الاتحاد استمر حتى ظهور الاسلام وربما بعده[٦٠] .

وقد وصفت يرسم بأن لها لفيفاً[٦١] . ووصفت بالجلائب ، قال عبد الله بن عباد الاكيلي الشاعر :

جلائب من كل البلاد تجمعت   علينا بقايا من ثمود ويرسم[٦٢]

وتقيم هذه الكتلة في صعدة .

يبدو ان الخليط كالجماع كلاهما ، يعبران عن صيغة اجتماعية تظهر لنا احتفاظ النظام القبلي بكيانه في المدن رغم ان ظروف الحياة تستوجب جلب قبائل مختلفة وتفرض عليها السكنى المشتركة في مكان واحد وفي نظام عمل واحد ، الا ان هذا النظام القبلي فقد بعض ملامحه ولا بد ان يكون فقد الكثير من تقاليده ونظمه البدوية التي اقتضتها حياته السابقة انسجاماً مع الأحوال التي تقتضيها حياة المدن . غير ان الغريب ان كتب التاريخ والنسب لم تسم ما يستلزم ظهور الحياة المدنية من عمال او صناع او غير ذلك ، ولعل ذلك راجع الى وضع المؤلفين الذهني وليس الى عدم وجود مثل هذه التجمعات في المدن لأن تلك المدن كانت المراكز الرئيسية للصناعات الواسعة ولمبادلة السلع والتجارة فلا بد ان يكون فيها

عدد كبير من العمال والصناع لأن طبيعة الصناعات التي اشتهر بها اهل اليمن تتسم بتعدد العملية الصناعية واعتمادها على الانسان كصناعة النسيج والجلود والعطور ، وتستلزم وجود العمال، وظهور تنظيمات تخالف النظم القبلية ومستمدة من العلاقات الانتاجية الجديدة . وقد عرف اهل اليمن بألقاب هي من القاب المجتمع الصناعي ، فقد لقّب محمد بن ابي بكر معاوية بن حديج بابن اليهودية النّساجة[٦٣] . ووصف الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بابن الحايك[٦٤] . ووصف خالد بن صفوان اهل اليمن بقوله : « ما منكم الا دابغ جلد او ناسج برد او سايس قرد او راكب عرد »[٦٥] . وتذكر المصادر كثرة الخرّازين في حمير[٦٦] وأشتهر آل ذي يزن بصناعة الأسلحة[٦٧] .

هوامش الفصل الثاني

١) الصفة ١٣٤ ـ ١٣٦ .

٢) **طبقات ابن سعد** : ١ / ٢ / ٧٣ . اسد الغابة : ٤ / ٢٢٤ . الاصابة : ٣ / ٢٤٠ . الاكليل ٢ / ١٠٣ ، ٢٦٣ . ٢٩ ذكر « اخمور همدان وأخمور المعافر وأخمور الهان والأخمور بمدينة يشبم بحضرموت مع الأيدوع والأيدوم من آل ذي يزيد . النهاية في غريب الحديث ١ / ٣٢١ . نهاية الارب : ١٨ / ٩ نقل رواية ابن سعد وخالفه في الضبط كلمة « غربها » حيث ضبطها «عربها » . واعتمد الدكتور خالد العسلي على رواية النويريّ في ترجيح ضبط الكلمة على اساس أنها (عرب) وليس (غرب) مجلة العرب . كانون الثاني ١٩٧١ . ج ٥ / ٤١٠ .

ومثلما نرى ان الكلمة مختلف في ضبطها ومع ذلك فان معناها متقارب سواء ضبطت « غرب » او « عرب » ، فكلمة غرب تعني الزراعة على الابار وغرب تعني المفارقة والابتعاد ، وغربوهم انفوهم او ابعدوهم أي قد تعني البدو المتغربين لترحالهم وهو مقارب لمعنى الكلمة اذا اعتبرناها (عرب) وليس (غرب) .

٣) سيرة بن هشام : ٤ / ٢٤٤ . العقد الفريد : ١ / ١٣٤ .

٤) اسد الغابة : ٤ / ٣٢٤ .

٥) مجلة العرب : ٥ / ٤١٠ .

٦) سورة الحجرات : ١٤ .

٧) طبقات ابن سعد : ٦ / ١٦٢ . نهاية الارب : ١٨ / ١٩ .

٨) المصدر السابق رواية عبد الله بن محمد بن مرة الشعباني من اشياخ بني شعبان منهم محمد بن ابي امية العالم بالأنساب .

٩) الاكليل : ١ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ .

١٠) الصفة : ٥٠ .

١١) المصدر السابق : ٥٣ ـ ٥٤ .

١٢) المصدر السابق : ١٠٢ .

١٣) المصدر السابق ٥٣ / ٥٤

١٤) مجلة العرب : ٥/ ٤١٠ Ja 1028

١٥) المصدر السابق . Ry 508. Ja 1028
والهجر بلغة الجنوب العربي القرية وهي تعطي معنى مقاربا لكلمة احور .

١٦) مجلة العرب ٥/ ٤١٠

١٧) تأريخ اليمن الثقافي : ١٠١ . تأريخ اليمن القديم : ١٦٩ .

١٨) المصدر السابق .

١٩) تأريخ صنعاء : مخطوط . ورقة ١٤ أ و ب ، ١٥ أ و ب .

٢٠) الصفة : ٩٠ .

٢١) انظر ص : ٦٦ .

٢٢) راجع توزيع القبائل في الفصل الاول .

٢٣) راجع الفصل الاول عن الانتاج الاقتصادي لليمن .

٢٤) انظر صناعة الانسجة والجلود والعطور في الفصل الاول .

٢٥) سترد الاشارة الى العبيد لاحقا .

٢٦) انظر الفصل الاول .

٢٧) طبقات ابن سعد : ٦/ ١٦٢ . نهاية الارب : ٩/١٨ .
« والاحمور» سكان القرى وتقترن اسماؤهم بكلمة «ذو» ويطلق على من تكلم الحميرية ايضا . تاج العروس : ١٥٨/٣ . اسد الغابة ٢٢٤/٤ . « والاخمور» الكثرة وعن ادريس الخولاني قال : دخلت المسجد والناس في اخمر ما كانوا . واستخمره استعبده بلغة اليمن وفي حديث معاذ بن جبل : من استخمر قوما وهم جيران مستضعفون فله ما قصر في بيته . وقال الازهري : اراد من استبعد قوما في الجاهلية ثم جاء الاسلام فله ما حازه في بيته . لسلن العرب : ٢٥٧/٤ . تاج العروس : ١٨٩/٣ . النهاية في غريب الحديث : ٣٢٠/١ .
اما الدكتور خالد العسلي فيعتقد ان الاحمور اشارة الى قبائل حمير المتحالفة مع همدان في حين ان القبائل التي وصفت بانها احمور همدان لاتمت بصلة نسب الى حمير اطلاقا ولم يرد في اي من كتب النسب التي بين ايدينا من اشار الى هذا الامر . راجع مجلة العرب . كانون الثاني ، ١٩٧١ ، ج ٤١٠/٥ .

٢٨) انظر ص : ٦٦ .

٢٩) سيرة بن هشام : ٤/ ٢٣٥ . انظر الفصل الاول :

٣٠) طبقات ابن سعد : ٦/ ١٦٢ . نهاية الارب : ١٨/ ٩ .

٣١) المصدر السابق .

٣٢) الاكليل : ١٠٣/٢ ، ٢٩٠ . طبقات بن سعد : ٦/ ١٦٢ . تاجّ العروس : ٣/ ١٩٠ .

٣٣) الاكليل : ٢/ ٢٦٣ .

٣٤) الوثائق السياسية : ص ١٥١ .

٣٥) التأريخ العربي القديم : ١٢٣ .

٣٦) الوثائق السياسية : ١١٢ . تأريخ الطبري : ٢٣٢/٣ .

٣٧) النهاية في غريب الحديث : ٣٢١/١ .

٣٨) نهاية الارب : ٣٧١/٦ . ٣٧٣ .

٣٩) الصفة : ١٠٤ .

٤٠) المصدر السابق : ١٠١ الاكليل : ٢٩٥/٢ .

٤١) الاكليل : ٣٦٦/٢ . وبنو سفيان عاصروا الهمداني . والراجح ان كلمة دمي ودمم تحريف لكلمة « ادوم » و « ادمت » التي وردت في النقوش القديمة كتسمية لطيفة من العبيد الفاقدين حريتهم والتابعين للارض . ويرى جروهمان ان هذه الطبقة الاجتماعية كبيرة وانها لا تملك الارض انما تستغلها وتسكنها في نطاق ما من الحرية انظر التاريخ العربي القديم : ص ١٣٠ ـ ١٣٣ . وراجع ص ١٢٤ .

٤٢) الاصابة : ٤٢٨/٢ .

٤٣) فتوح الشام : ١٦٦/١ .

٤٤) الوثائق السياسية : ١٥٢ .

٤٥) المصدر السابق .

٤٦) التأريخ العربي القديم : ١٢٦ .

٤٧) انظر خارطة اودية اليمن .

٤٨) الصفة : ٥٤

٤٩) المصدر السابق : ١١١ .

٥٠) المصدر السابق : ٩٥ .

٥١) المصدر السابق : ١١١ .

٥٢) المصدر السابق : ١٠٢,٥٥ .

٥٣) المصدر السابق : ٥٤ .

٥٤) الاكليل : ٢٩٤/٢ ـ ٢٩٥ .

٥٥) الصفة : ٦٧ . انظر The Southern gates ,pp. 209 —210. اسم صعدة القديم « قرنان »

٥٦) الصفة : ٨٦ .

٥٧) انظر نسب حمير .

٥٨) الصفة : ١٠٠ . الاكليل : ٢٦٦/٢ .

٥٩) يميز عبد الملك بين بطنين من الخولي « خولي » من خولان و « خولي » من حمير والخول اسم يقع على العبد والأمة مأخوذ من التخويل والتمليك ، والخول العبيد والأماء وغيرهم من الحاشية وخول فلان اذا اتخذهم كالعبيد وقهرهم . لسان العرب : ١٣ / (مادة حول) .

٦٠) الاكليل : ١ / ٢٩٤ . الصفة : ١١٤ .

٦١) المصدر السابق .

٦٢) المصدر السابق : ٢ / ٢ .

٦٣) طبقات بن سعد : ١ / ٢ / ٧٩ . تأريخ الطبري : ٥ / ١٠٤ .

٦٤) طبقات بن سعد : ٦ / ١٨٠ .

٦٥) معجم البلدان : ٤ / ١٠٣٦ . عيون الأخبار : ٢ / ٤٣٤ . البيان والتبيين : ١ / ٢١٩ .

٦٦) الاكليل : ٢ / ٢٥٤ .

٦٧) شرح اشعار الهذليين : ١ / ٢٩ .

الفصل الثالث
أحوال اليمن السياسية

استطاع الحميريون ان يوحدوا اليمن في دولة واحدة مدة طويلة من الزمن وقد مكنتهم هذه الوحدة من ممارسة سياسة نشطة في جميع انحاء الجزيرة العربية . ومن خلال نشاطهم التجاري وحدوا الجزيرة اقتصادياً . وكانت طرق التجارة ممراً للمؤثرات الثقافية اليانية والتي وجدت في القبائل اليانية التي استوطنت انحاء متعددة في الجزيرة فرصة للنضوج واكتساب ابعاد اجتماعية جديدة كان لها اثرها في اتجاهات التوحيد الثقافي والديني . وبسبب عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية متعددة لعل في مقدمتها ارتباك التجارة بدأت الدولة تضعف وتدريجياً اخذت سلطة الاذواء تحل محل السلطة المركزية وتظهر تدريجياً سلطات محلية شبه مستقلة . لهذا عندما تعرض اليمن للغزو الحبشي لم تكن عند السلطة المركزية قوة تدافع بها فلم يستطع ذونواس الدفاع عن الحكم ولم يستطع الاذواء ان يفعلوا شيئاً حتى ولا حماية نفوذهم المحلي فاستطاعت الغزوة الحبشية انهاء السيادة الحميرية وضربت ايضاً المقاول والاذواء والقوى التي اعتمدت عليها الدولة الحميرية وخربت قصورهم ومقراتهم[١] .

عانى نظام الحكم الحميري في عهد ذي نواس من ظهور طبقة من الأذواء الذين استقلوا في مقاطعاتهم . فلما خضع اليمن للاحتلال الحبشي برز من هؤلاء الأذواء ثمانية كبار حكموا اليمن عرفوا بالمثامنة . ولو ان بعض الروايات ذكرتهم في عهد ذي نواس واعتبرته واحداً منهم[٢] ولكن الراجح انهم لم يصبحوا كقوة إلا بعد سقوط الدولة . وتختلف المصادر في اسماء بعضهم والثابت في الروايات ان ذا خليل وكان مقره في بيت محفد في صنعاء . وذا عثكلان وذا ثعليان وذا سحر في حوت شمال صنعاء وذا جدن من المثامنة[٣] اما ذو مقار فذكرته

الروايات إلا أن ابا نصر لم يذكره . اما ذو حزفر فذكره علقمة وورد في شعر لحمير وذكره نشوان . كذلك ذو صرواح ذكره ابو نصر ونشوان وورد في الشعر المنسوب لعلقمة اما ذو قيفان ومقره حول في البون شمال صنعاء[٤] فذكر في شعر علقمة وشعر حمير كما ذكر ابو نصر ذومناخ وورد في الشعر المنسوب لعلقمة . اما ذو نواس فلم يذكره سوى ابي نصر .

ومع اننا لا نعرف مقراتهم بالضبط إلا أن أغلبهم يذكر في منطقة حمير وحضرموت وشمال صنعاء .

وقد قاوم العديد من المثامنة الحملة الحبشية . فبعد مقتل ذي‌نواس قاد المقاومة بعده ذو جدن احد المثامنة إلا أنه قتل[٥] . ثم تصدى للسلطة الحبشية اقيال سبأ في منطقة العبر وكندة بحضرموت . وتمرد رؤساء ذي جره وذي‌خليل احد المثامنة وكان مقره في بيت محفد قرب صنعاء[٦] . بعد هذا لم نعد نسمع عن المثامنة انما برزت اسماء اسر جديدة بعضها ذكر في الجيش الحبشي الذي قاده ابرهة الحبشي الى حضرموت عندما ثارت كندة بقيادة يزيد بن كبشة[٧] مثل ذو فايش وذو رعين وذو همدان وذو الكلاع وعلكم ذو يزن وكبير حضرموت وذو ثات وذو شعبن وذو ذرانح بينما ذكرت الروايات ان بعض الأسر صاهرت الأحباش[٨] فالصباح بن شرحبيل من ذي اصبح تزوج ابنة ابرهة وأنجبت له ابنه ابرهة بن الصباح الذي كان متنفذاً في تهامة[٩] وقصره في لحج[١٠].

ان تعاون بعض الأسر الحميرية مع الاحتلال محتمل ومتوقع لأن غياب السلطة المركزية افاد اولئك الذين كانوا يتطلعون الى النفوذ ولم يكونوا قادرين على تحقيقه . خاصة وان طبقة الأذواء وهي واحدة من اركان النظام الحميري القديم قد بدأت تتحول الى طبقة اقطاعيين منذ القرن الثاني ق . م[١١] . فغياب السلطة المركزية ادى الى بروز اولئك المتنفذين من حملة لقب « ذو »[١٢] . وعند ظهور الاسلام لم يكن حامل هذا اللقب محدوداً بنفس الوضعية القديمة وانما اصبح مركزاً محلياً بحتاً ونفوذه محدود وربما استطاع اي متنفذ في منطقته ان يطلقه

على نفسه لأن هذا اللقب استمد مكانته من ارتباطه بنظام يعتمد عليه . فلما انهار النظام على يد قوة اجنبية فان صورة التعاون بين القوة الجديدة وحملة هذا اللقب تستند الى نوع من الخضوع للأمر الواقع وبالتالي عدم التطلع الى امتيازات كبيرة . ان تدني مكانة الأذواء . يعني اتاحة المجال للقبائل ان تتحرر من الكثير من اشكال ارتباطها بالنظام القديم وان تبرز في احيان كثيرة قوى فاعلة في المجتمع سياسياً وان اتساع نفوذها يتم على حساب نفوذ الأذواء . وهكذا اصبح النظام الذي ورثته اليمن عن الدولة الحميرية وبالتالي مجتمع اليمن نفسه مقبلا على مرحلة من التفكك ليس سياسياً واداريا فحسب انما اجتماعياً ايضاً ولا بد في مثل هذه الحالة ان يتحرك انصار النظام القديم وأولئك الذين تتضرر مصالحهم الخاصة ومصالح بلادهم بالأزمة الجديدة . والواقع ان عهد ابرهة الحبشي شهد تمردات قبلية كثيرة . ويبدو أن حضرموت كانت من المناطق المعارضة[١٣] كما قاومه ذو نفر الهمداني ومقبل بن حبيب الخثعمي عند توجهه الى مكة[١٤]. إلا ان المعارضة التي واجهها الحكم الحبشي هي معارضة ذي يزن . وهي اسرة حميرية تسكن السرو ولحج ومرخة وأحور وتنسب لها صناعة الرماح الحديدية اي انها قبيلة لها تقاليد في الصناعة العسكرية[١٥] . ابتدأت مقاومة ذي يزن[١٦] في عهد النعمان بن عفير المعروف بذي يزن الأصغر . وتركزت مقاومته في منطقة السحول من منطقة حمير[١٧] حيث تستوطن قبيلته إلا أن حالة التفكك والانقسام التي سادت الأذواء عرقلت جهوده فلم يوفق . ولما كانت الحملة الحبشية قد زادت من ارتباط اليمن بالصراع بين القوتين الرئيسيتين آنذاك ـ الدولة الساسانية والدولة البيزنطية ـ فقد لجأ ذو يزن الى الفرس . واستعان بهم لطرد الأحباش من اليمن . وتختلف الروايات فيمن استعان بالفرس بين النعمان بن عفير وابنه سيف والراجح ان سيف هو الذي طلب عون الفرس لأننا في عهده نجد الفرس يرسلون قواتهم الى اليمن لطرد الأحباش[١٨] واستطاع التعاون الفارسي ـ اليمني من تحقيق ذلك بعد معارك محدودة[١٩].

حكومة سيف بن ذي يزن .

اصبح سيف حاكماً على اليمن مقابل جزية يدفعها للفرس بسبب مساعدتهم له في طرد الأحباش . غير ان سيطرته على اليمن لم تكن تامة فقد عارضه آل ذي مناخ ولكنه صالحهم وأنهى الخلاف[٢٠] . وأصبح آل ذي مناخ مع بني صيفي الحميريين من ابرز اعوان سيف ، كما انه حالف خولان وبني شهاب وانه انزل بني شهاب في منطقة صنعاء لموالاتهم له[٢١] . ولكنه لقي معارضة من قبائل حضرموت والأشباء والصدف وهي من قبائل منطقة حضرموت ، وترأس المعارضين مالك بن يزيد الصدفي إلا ان سيفاً تمكن من التغلب على المعارضين في يوم غيمان وقتل رئيسهم[٢٢]ـ وبذلك مد سلطانه الى حضرموت .

حاول سيف توحيد اليمن تحت سلطة مركزية ، وإنهاء حالة التفكك والانقسام التي سادت اليمن بعد انهيار السلطة الحميرية . لهذا مارس رجال ادارته قسوة شديدة في تنفيذ سياسته[٢٣]، ادت الى الاستياء ولم تلق الترحيب العام في اليمن ، ربما لأنه ليس من ابناء ملوك حمير ولا من بيوتها الثمانية ، التي ساهمت في السلطة قبل عهد غزو الأحباش ، وربما لأن سياسته في هذه الوحدة لم تلق رضا الفرس وانهم حرضوا قبائل كندة في حضرموت[٢٤] . وقد اتسع نطاق المعارضة وتشجعت اطراف متعددة على الافادة من الاستياء واغتيال سيف ولو ان رواية اغتياله وضعت المسؤولية على خدمه الأحباش[٢٥] غير ان اقحام الاحباش في الرواية قد يكون تم لأبعاد مسؤولية الاغتيال عن الفرس . وقد تكون الرواية صحيحة اذ لا يستبعد ان يستخدم الفرس الأحباش في عملية الاغتيال . ازداد سلطان الأذواء ، وتمتع عدد غير قليل منهم بسلطة مطلقة في منطقته . فأصبح كل منهم مستقلا وازدادت حدة الانقسامات الداخلية ، بعد مقتل سيف ، وقد وصف ابن قتيبة اذواء اليمن في هذه الفترة بملوك الطوائف حيث لم يتول اليمن حاكم بعد سيف ، انما اتفق اهل كل ناحية على واحد من حمير نصبوه حاكماً[٢٦] . وفي هذه الأثناء جاءت الحملة الفارسية الثانية[٢٧] لتضع حداً لاستقلال اليمن وتحولها الى اقليم تابع للدولة الساسانية يديره نائب عن الملك بمساعدة جيش من الأساورة .

السيطرة الفارسية وعلاقتها بأهل اليمن

تركز الفرس في صنعاء وعدن ، وانتشروا في مدن اليمن الأخرى ، وأصبحوا قوة اساسية في اليمن ، ولم تذكر المصادر معلومات عن مدى سيطرتهم او علاقتهم ببقية القوى الأخرى في البلاد ، وأفاد الفرس من حالة الانقسام التي سادت الوضع الداخلي في اليمن وثبتوا سيطرتهم من خلال القوة العسكرية التي سيطرت على اليمن ، كما شجعوا الفرس على الهجرة الى اليمن فالتحق بالحملة عدد كبير من الفرس انتشروا في المدن الرئيسية والمراكز الاقتصادية مثل عدن[٢٨] والجند[٢٩] ورداع وثات اللتين عرفتا بمدينتي الفرس في اليمن[٣٠] . كما انتشروا في ذمار[٣١] والبون في عفار وصبيحة ومساك وبيت الفواقم وجوب[٣٢] وفي صعدة[٣٣] وفي نجران[٣٤] ومدن الرضراض[٣٥] . إلا أن معظمهم تركز في صنعاء .

واشتهرت من الفرس اسر عديدة مثل اسرة باذان التي كانت لها املاك في صنعاء وذمار[٣٦] وأسرة بني سردوية وبني مهروية وبني زنجوية وبني بردوية وبني جندوية وبني داودي وبني بزرج وآل فيروز وكانوا جميعاً في صنعاء وكان لهم وكلاء من الأبناء يستثمرون معدن الرضراض لهم مثل بني الأشرف[٣٧] . وكان بنو خرة في نجران[٣٨] وبعض اسر لا نعرف مقرها مثل دارامنوش وبني خرزاد وبني زامرد وبني سردنوش وآل خسر وآل سابور وأسرة الترجمان وآل لقس وبني دغيش[٣٩] . وبني ليف وكانوا فرقتين فرقة في رداع وفرقة في صنعاء[٤٠] .

ليست هناك اشارات الى علاقة الفرس بالأطراف الأخرى في اليمن كنجران او حمير غير ان الاشارات المتكررة الى اليهود وكتب اليهود التي قرأها كعب الاحبار او وهب بن منبه توحي وكأن الفرس تحالفوا مع اليهود في اليمن او على الأقل لم يمنعوا نشاطهم . وكانت اليهودية منتشرة في كندة وحمير وهمدان واعتنقها بعض الأبناء ايضاً وفي اعتقادي ان هذا يكفي لأن يجعل علاقة الفرس بنجران غير طيبة فنجران مدينة مسيحية وكان لها اسقف هو احد اعضاء الحكومة التي تنظم الحياة في نجران مع السيد والعاقب[٤١] .

وكان السيد من بني الحارث بن كعب التي استوطنت مدينة نجران وتحالفت مع القبائل المحيطة بها وكانت لها القيادة . لهذا فهي التي تشرف على اقتصاد المدينة الذي يقوم على الزراعة والتجارة فكانت تؤمن سير القوافل[٤٢]. اما العاقب فهو المسؤول عن الأمن الداخلي .

اما حمير فيبدو انها احتفظت ببعض نفوذها في منطقتها التي استوطنتها وحيث مقرات اذوائها . ومن الأذواء الذين ذكرتهم الروايات في هذه الفترة ، سلامة ذو فائش في حصن ارباب[٤٣] ، وذو الكلاع في منطقة الكلاع[٤٤] وذو يزن زرعة بن عامر[٤٥] وذو اصبح في لحج[٤٦] ، وذو رعين في منطقة رعين[٤٧] ، وبعضهم استطاع ان يوسع نفوذه مثل ذي الكلاع بدليل امتلاكه العبيد بأعداد كبيرة[٤٨]. غير ان بني عبد كلال من ابرز الأسر الحميرية وفي مقدمتهم النعمان قيل رعين والمعافر وهمدان . وكان مقره في حصن حب جنوب غربي يريم وتذكر الروايات انه كان يجبي بلد الحبش زيلع وجزيرة بربرة[٤٩]. وكانت حمير في صعدة التي تركزت فيها قبيلة ذي الكلاع ويرسم . كما كان العواسج في جرش[٥٠].

أكدت رسالة للرسول « ﷺ » نفوذ حمير في هذه المنطقة عندما خوطب النعمان بلقبه السياسي (قيل ذي رعين ومعافر وهمدان) وهذا اللقب يدل على وجود همدان ضمن نفوذ حمير كما يدل على استمرار هذا النفوذ في جزء مهم من اليمن ، رغم وجود السلطة الفارسية . وقد وردت اشارات كثيرة الى وجود علاقة بين همدان وحمير فالمرانيون كانوا يسكنون مع حمير في المعافر ومنهم عمير ذو مران في « الجوه »[٥١] وآل ذي لعوة دخلوا في قيالة حمير وصاهروها[٥٢]. ويذكر الهمداني جهود الزبرقان بن اظلم بن النعمان بن ابي كرب التي بذلها مع خاله الحرث بن عبد كلال الحميري في تثبيت الاسلام مما يدل على وجود تحالف سياسي بينهما[٥٣].

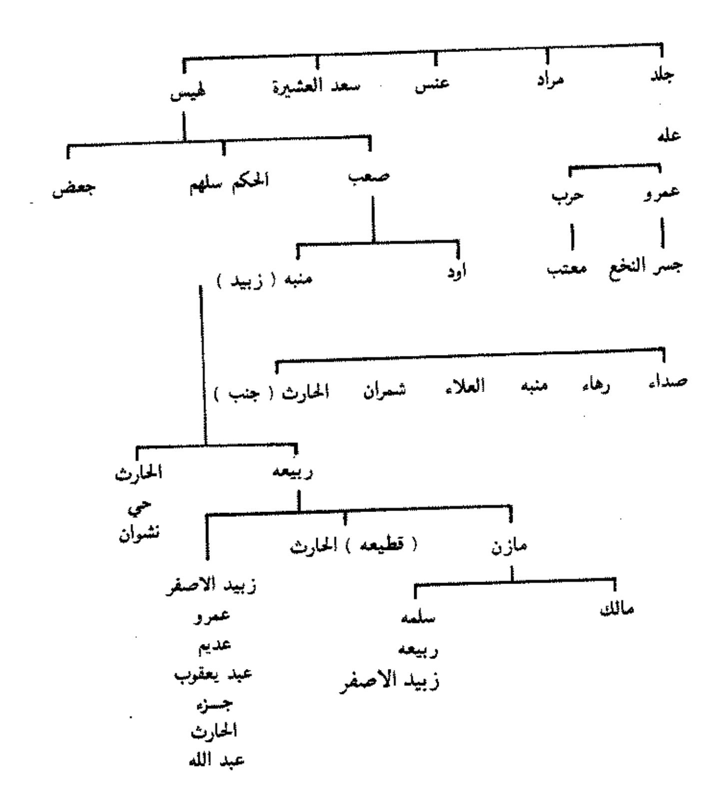
اما عن علاقة حمير بالفرس فلم تذكر المصادر شيئا والراجح ان القبيلة اعتمدت مبدأ العزلة والاقرار بالامر الواقع والاكتفاء بنفوذها في منطقتها ، كما ان

الفرس لم يعترضوا على هذا الواقع طالما انه لم يهددهم فقد اشارت الروايات الى وجود جاليات فارسية في منطقة حمير وان كان زمن تواجدها غير مثبت بدقة[٥٤]. غير ان الذي يدقق في اجابة ذي الكلاع لقيس بن عبد يغوث المرادي عندما طلب منه مؤازرته لطرد الابناء يلاحظ ان اجابته لا تكشف عن مودة او رضا اتجاه الفرس فقد قال له : « لسنا مما هاهنا في شيء ، انت صاحبهم وهم اصحابك »[٥٥].

اما القبائل الاخرى فلم تكن علاقتها ببعضها جيدة ففي حضرموت عادت كندة الى منازلها القديمة في اواخر القرن السادس الميلادي[٥٦]. ويبدو انها لم تكن تحكم في حضرموت ولم تكن سوى قبيلة كبيرة وان رؤساءها كانوا مجرد رؤساء قبائل[٥٧] كما ان قيادتها تبدلت وانتقلت الزعامة لبني الحارث بن معاوية بدلا من آل اكل المرار[٥٨] ولم تظهر عليها الوحدة انما كانت متوزعة متفرقة وكان بعض السكاسك والسكون مع حمير في المعافر . الا انها ابتدأت مشاكلها مع قبائل حمير التي في حضرموت فقد ذكر وائل بن حجر عندما وفد الى الرسول « ﷺ » خلافة مع الاشعث بن قيس على وادي بحضرموت[٥٩] . كما اظهر الرسول « ﷺ » عدم رضاه عن اقصاء وائل بن حجر عن السيادة[٦٠]. وعند ظهور الاسلام كانت السيادة في بني وليعة الذين وصفتهم الروايات بالملوك وهم مخوس وجمدة وابضعة ومشرح[٦١]. بينما نجد الاعشى في شعره يذكر قيس الكندي سيد كندة وهو والد الاشعث[٦٢]. والظاهر ان حمير كانت تعطف على قبائلها في حضرموت فقد شهد وفدها لوائل بن حجر في نزاعه مع الاشعث امام الرسول « ﷺ »[٦٣].

اما القبائل البدوية ، فقد ظهرت من خلال الاحداث قوة مؤثرة وكانت تضغط على اليمن من اطراف متعددة ، ومن ابرز الكتل التي شكلها الاعراب في اليمن هي الكتلة التي نشأت عن تحالف القبائل المنتسبة الى مذحج مثل زبيد بقيادة عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، والحارث بن كعب بقيادة الحصين بن قنان

(مذحج) مالك بن ادد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان الكليل



بن يزيد الحارثي وبني عبد المدان بقيادة يزيد بن عبد المدان . وخولان بقيادة عنبسة بن يزيد الخولاني وشهاب بن الحصين . وكان اجتماعهم بمذاب في الجوف [٦٤].

اصطدمت هذه القوة بالسلطة الفارسية وخاصة في منطقة مأرب والجوف ونجران حيث كانت معظم قبائل هذا الحلف ما تزال تحوم على التخوم الشمالية الشرقية لليمن وهي منطقة صحراوية قليلة الماء . وفقيرة نسبيا تستوطنها قبائل همدان ، وفيها للفرس استثمارات في منطقة سبأ والرضراض حيث مناجم الذهب والفضة [٦٥].

اشتد تهديد هذه القوة للسيطرة الفارسية في زمن باذان حيث كان الفرس يعانون من اضطراب الاوضاع الداخلية للدولة الساسانية وظهور تحركات معادية للفرس تمثلت في اغارة قبائل تميم على طريق التجارة الشرقي في منطقة اليمامة [٦٦] وفي الحركات العسكرية التي كان يقودها المثنى بن حارثة الشيباني في العراق . يضاف لهذا ان قوة الاذواء الحميريين تطورت وازداد نفوذهم بدليل كثرة العبيد الذين كانوا يمتلكونهم وقد ذكرت الروايات ان ذا الكلاع وحده كان يمتلك ما بين ٤٠٠٠ ـ ١٢٠٠٠ عبد [٦٧]. كما ان سكان القرى في اليمن كانوا يعانون من كثرة الضرائب التي يدفعونها [٦٨]، ومن استغلال طبقة المرابين لهم والذين كانوا يشترون الحاصل قبل نضجه [٦٩] . لهذا فقد كانوا مستائين ومهيئين لاثارة المشاكل ومن المحتمل ان بعض القوى افادت من اوضاعهم هذه ووجهتها ضدالسيطرة الساسانية .

عمل الفرس على التحالف مع همدان [٧٠]. تأمينا لحليف داخلي يعوض عن ضعف اتصالهم بالدولة الساسانية . ولكن الظروف التي دفعت همدان للحلف غير واضحة ولعل همدان التي كانت تشكو من الانقسام والتفكك ارادت الافادة من التحالف لتعزيز مكانتها وانتزاع مكاسب للقبيلة . كما ان تحالف الفرس مع همدان يظهر ان الخطر الذي واجهه الفرس كان آتيا من

الشمال[٧١] . مما يدل على ان تحالف مذحج كان يحظى بتأييد نجران . خاصة وان بعض اطراف الحلف (بنو عبد المدان) كانو متوطنين في نجران . وقد يكون الفرس يهدفون من تحالفهم مع همدان ابراز قوة موالية لهم بمواجهة قوة حمير المتزايدة . حيث ان توحيد همدان قد ينتزع من حمير من كان معها من قبائل همدان .

اجتمع باذان مع عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري البكيلي . وعمرو بن يزيد بن الربيع الحاشدي واتفقوا على عقد حلف ضد القبائل المجتمعة في مذاب من الجوف والتي كانت تحاول استالة اطراف اخرى الى جانبها . ونص الحلف كما يلي في رواية الرازي .

« باسمك اللهم ولي الرحمة والهدى .

هذا كتاب ما اجتمعت عليه همدان وفارس باليمن بمحضر المرزبان باذان بن ساسان ومشاهدة الرئيسين عمرو بن الحارث وعمرو بن يزيد من بكيل وحاشد ورضي من حضر وكفالة بعضهم لبعض عمن غاب من الحيين جميعا انا تحالفنا جميعا على عهد الله وميثاقه واجتماع الهدى واتفاقه وقتال المخالف وفراقه وعلى ان كل واحد منا من الحيين جميعا انا تحالفنا فيما عقد وخالف او نكث او خالف عما عهد وشدد وكد فعليه العهد من الله تعالى المكور الوثيق المؤكد الشديد ابد الابد الاشد ما دام ولد وولد ابدا وعهدا مؤكدا ما اطلت السما واقلت الغبراء وجرا الما ونزل المطر واخضر الشجر واكل الثمر وبقي البشر وما بقي في البحار رفق وفي الاشجار ورق وفي الايام رمق وما بقيت الرواسي الشامخات في مواضعها وظهرت النجوم السابحات في مطالعها وسرحت الانعام المتحرزة الى مراعيها . عهدا تؤكده العهود وحلفا يشدده القود بعقد مبرم محكم شديد لا يضمحل امره ولا يبيد خبره . »[٧٢] .

ومع أن نتيجة الاصطدام غير معروفة الا ان حالة التوتر قد استمرت بين همدان ومذحج بعد الحلف . وانضمت مراد الى بطون مذحج . وحدث بينها وبين

همدان اشتباك في يوم الرزم انتصرت فيه همدان[٧٣] . والظاهر ان بين مراد وكنده علاقات تحالف بشكل ما لان الروايات تذكر عن فروة بن مسيك المرادي انه هجر ملوك كنده لعدم نجدتهم قومه يوم الرزم[٧٤] . وقد تكون كندة اتخذت هذا الموقف لانها لم تشأ ان تصطدم بالفرس او تعاديهم[٧٥] . اما تحالف مذحج وخولان فقد توسع وتطور وظهرت له قيادة جديدة تمثلت في عبهلة بن كعب من عنس من مذحج . وقد بقي مع عبهلة قادة الحلف السابقون وقبائله الا ان مراد التي انضمت الى الحلف لم تكن برئاسة فروة بن مسيك المرادي انما برئاسة قيس بن هبيرة الذي يعرف احيانا بقيس بن عبد يغوث واحيانا قيس بن المكشوح المرادي[٧٦] . ومثل هذا التوسع والتطور دليل نضج في تطور الاوضاع السياسية وتعزيز للمعارضة اليمنية للسيطرة الفارسية وتذكر الروايات ظهور محالفات جانبية بين قبائل مذحج وقبائل اخرى كحلف جعفي وجزء وزبيد وانس الله الذي اشار له عمرو بن معدى كرب الزبيدي في شعره[٧٧] . كذلك حلف أود وزبيد وحكم[٧٨] .

في هذه الاثناء طرأ على الاوضاع في اليمن عامل جديد حيث امتدت دولة الاسلام بحدودها الى اليمن بعد تحرير مكة سنة ٨ هـ وابتدأ رسل ودعاة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ يصلون اليمن مبشرين بالدين الجديد . كما ان وفود اهل اليمن اتجهت الى المدينة معلنة دخول الاسلام لتعود ومعها عمال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ يعلمونها الدين ويشرفون على تنفيذ سياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وهو امر كان له تأثيره على اوضاع اليمن السياسية وعلى جميع الاطراف وبخاصة ان سياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اتضحت من خلال صلحه مع نجران . وفي رسالته الى حمير حيث ركز على الاسلام وايفاء ما كتب على المؤمنين[٧٩] . الا ان المصادر التي روت احداث تلك الفترة لا تقدم صورة دقيقة لتطور الاوضاع . ولكن يبدو ان باذان ادرك تعقيد الاوضاع الداخلية وما ستؤول اليه وليس بعيدا انه فكر في الافادة من ظهور المسلمين كطرف جديد في احداث اليمن وربما فكر بالاتصال بالرسول ﴿ ﷺ ﴾ الا ان اية اشارة عن اتصال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ به لم ترد

باستثناء ما ذكره ابن سعد بخصوص طلب كسرى الى باذان ان يرسل الى المدينة من يأخذ الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اليه . ولكن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اخبر وفد باذان الذي حضر لتنفيذ طلب كسرى بأن الاخير قد قتل فلما عادوا الى اليمن وتأكد لهم صحة ما اخبرهم به الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اسلموا واسلم باذان[٨٠] .

واضح ان هذه الرواية بعيدة عن الصحة لانها لا تتضمن اية اشارة مباشرة الى تفكير الرسول ﴿ ﷺ ﴾ بالاتصال بالابناء ، بل تؤكد تجاهله لهم . وقد يكون عبهلة فكر في احتمال محاولة باذان للافادة من المسلمين لهذا فكر في الاستيلاء على صنعاء . وتذكر احدى الروايات مقتل باذان على يد عبهلة[٨١] . بينما ذكرت الثانية انه قتل لما كان متوجها الى الرسول ﴿ ﷺ ﴾[٨٢] مثلما نرى لم يعزز تحالف الفرس مع همدان موقفهم ولم يمنع توغل نفوذ قبائل مذحج داخل اليمن وقتل باذان والاستيلاء على السلطة في صنعاء . اما همدان فان موقفها بعد هذا الحلف غير واضح فقد وصفتها رواية بانها معادية للفرس[٨٣]. ووصفها الرازي بانها كانت ترى رأي الاساورة[٨٤]. وهي روايتان متناقضتان تدلان على ضعف تماسك همدان القبلي وبالتالي اختلاف ولاءاتها ومواقفها . وبقيت تعاني من الانقسام وآخر انقساماتها استمر الى زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان بين آل لعوة البكيلين وآل السبيع الحاشدين في منطقة البون شمال صنعاء[٨٥].

هوامش الفصل الثالث

١) الاكليل : ٨ / ٦٠ . الروض الأنف : ١ / ٢٥٥ .

٢) الاكليل : ٢ / ٢٩٤ رواية ابي نصر .

٣) الاكليل : ٢ / ٢٩٤ . ٢٩٥ والروايات اعتماداً على شعر لعلقمة ذي جدن ، وشعر منسوب لعلقمة وعن ابي نصر وشعر لحمير ملوك حمير : ١٥٦ . وعلى هذه المصادر ستعتمد دراسة المثامنة .

وبالنسبة لمقر ذو سحر انظر الاكليل : ١ / ٢٢١ / ٣١٧ . الصفة : ١١٢ .

٤) الاكليل : ٢ / ٣٠٢ . الهامش .

٥) الروض الأنف : ١ / ٢١٩ .

٦) تأريخ اليمن الثقافي : ٣ / ١٠١ . الاكليل : ٢ / ٢٥٩ . ٢٦٢٠ . ٢٩٤ . ٨ / ٥٢

٧) تأريخ اليمن الثقافي : ١٠١ . تأريخ اليمن القديم : ١٦٩ .

٨) المصدر السابق

٩) الروض الأنف : ١ / ٢١٩ . الاكليل : ٢ / ١٤٨ .

١٠) الاكليل : ٢ / ١٤٦ .

١١) جروهمان : ١٢٤ .

١٢) المصدر السابق : ١٢٣ .

١٣) تأريخ اليمن الثقافي : ١٠١ . تأريخ اليمن القديم : ١٦٩

١٤) الاكليل : ٢٥/١ البدء والتاريخ : ١٨٦/٣ الدر المكنون : ١١ .

١٥) انظر الفصل الأول : ص ٤٥ .

١٦) الاكليل : ٢ / ٢٥٨ .

١٧) ملوك حمير : ١٤٩ .

١٨) البدء والتأريخ : ٣ / ١٩٠ . الاكليل : ٢ / ٢٥٨ . ذكر سيف . مروج الذهب : ٢ / ٩ .

١٩) نزلت الحملة الفارسية في عدن والمندب . معجم ما استعجم : ١٢٦٩ ويقال نزلت في ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب ومن هناك سلكت الطريق البري الى اليمن ومثوب من مصائد اللؤلؤ . مروج الذهب : ٢ / ٩ .

٢٠) الاكليل : ٢ / ١٦٣ .

٢١) المصدر السابق : ١ / ٤١٣ ، ٢ / ١١٦ .

٢٢) المصدر السابق : ٢ / ١١٨ .

٢٣) المصدر السابق : ١ / ٢٨٢ .

٢٤) ملوك كندة : ٢٠٧ . يشير اولندر الى التوافق بين انهيار دولة كندة ورجوع القبيلة الى الجنوب وبين بداية التوسع الفارسي باتجاه اليمن . وكندة عند رجوعها نزلت مع الصدف فهل ان نزاع الصدف والاشباء مع سيف بتحريض هذه الأوضاع .

٢٥) الروض الأنف : ١ / ٢٢١ .

٢٦) المعارف : ٦٣٩ . الروض الأنف : ١ / ٢٢١ .

٢٧) مروج الذهب : ٢ / ١٥ ، جاءت الحملة براً وقوامها اربعة آلاف من الأساورة .

٢٨) الامتاع والمؤانسة : ١ / ٨٤ .

٢٩) طبقات بن سعد : ٥ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ .

٣٠) الصفة : ٥٥ ، ٢٣٥ . معجم البلدان : ٢ / ٧٧٢ .

٣١) المصدر السابق : ٥٥ .

٣٢) المصدر السابق : ١١١ .

٣٣) الصفة : ٦٧ ، ١١٤ .

٣٤) الاكليل : ٢ / ٣٦ .

٣٥) الجوهرتين : ١٤٣ ، ١٤٧ .

٣٦) تاريخ صنعاء : مخطوط . ورقة ٣١ ب . ٥٤ آ .

٣٧) الجوهرتين : ١٤٣ ، ١٤٧ .

٣٨) الاكليل : ٢ / ٣٦ .

٣٩) الاكليل : ١ / ٤٠١ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٢ / ٣٦ .

٤٠) الصفة : ٢١٥ .

٤١) Yazid,pp. 336-338, 340, 341. La Mubahala, pp. 552, 558 .

٤٢) الأغاني : ١ / ١٥٥ . التنبيه والاشراف : ٢٦١ . معجم البلدان : ٣ / ٤٦٧ ، ٥١٦ .

٤٣) ديوان الأعشى .

٤٤) انظر الفصل الأول : ص ٣٨ منطقة حمير

٤٥) الاكليل : ٢ / ٢٥٩

٤٦) المصدر السابق : ٢ / ١٤٦ .

٤٧) انظر الفصل الأول : ص

٤٨) الاصابة

٤٩) طبقات بن سعد : ٣/٢/١ . سيرة بن هشام : ٢٣٥/٤ . الاكليل ٣٣٥/٢ ، ٣٦٣ .الوثائق السياسية : ١٥٢ ، ١٥٦ . ويقال ان حامل اللقب في هده الفترة هو فهد بن النعمان نادمة الأعشى وعاصره عمرو بن معدى كرب الزبيدي .

٥٠) الفصل الأول : ص ٤٨ .

٥١) انظر الفصل الاول . ايضا الاكليل : ٢/ ٢٨٨ ، ورد في شعر اسماعيل بن محمد بن زيد الحميري قوله :

لي منزلان بلحسج منزل وسط منها ولي منزل بالعسر من عدن
حولي به ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن

٥٢) الاكليل : ١٠/ ١١١ .

٥٣) المصدر السابق : ٨/ ١٠٢ .

٥٤) الباب الاول : الفصل الثاني .

٥٥) تأريخ الطبري : ٣/ ٣٢٣ .

٥٦) ملوك كندة : ٢٠٦ .

٥٧) ملوك كندة : ٢٠٧ .

٥٨) النقائض : ٤٤١ . ديوان الاعشى ، قصيدة ٤ ، البيت ١٥ . ذكر سيد كندة قيس . انظر الباب الاول . الفصل الاول . ص ٥٨ .

٥٩) طبقات بن سعد : ١/ ٢/ ٣٥ . الدر المكنون : ١٠٨ رواية الطبراني .

٦٠) المصدر السابق . ايضا طبقات بن سعد : ١/ ٢/ ٣٥ ، ٨٠ .

٦١) طبقات إبن سعد : ١/ ٢/ ٧٩ .

٦٢) طبقات إبن سعد : ١/ ٢/ ٣٥ . ديوان الاعشى : قصيدة ٤ . البيت ١٥ .

٦٣) طبقات إبن سعد : ١/ ٢/ ٣٥ .

٦٤) تأريخ صنعاء : مخطوط : ورقة ١٤ آ .

٦٥) انظر الفصل الاول : ص ٥١ .

٦٦) الاشتقاق : ٢٩٦ .

٦٧) الاصابة : ٢/ ٤٢٨ .

٦٨) النهاية في غريب الحديث ٠ ١/ ٣٢١ . تأريخ الطبري :٣/ ٢٢٩ .

٦٩) نهاية الارب : ٦/ ٣٧٣ شرح كلمة اجبا التي وردت في رسالة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ الى وائل بن حجر بانها تعني بيع الزرع قبل بدو صلاحة . انظر الوثائق السياسية : ص ١٦٩ .

٧٠) الاكليل : ١٠/ ١٤٣ . تأريخ صنعاء : مخطوط : ورقة ١٤ أ ـ ب ، ١٥ أ ـ ب .

٧١) الاكليل : ١٠/ ١٤٣ . تأريخ صنعاء : مخطوط ، ورقة ١٤ أ ـ ب ، . ١٥ أ ـ ب .

٧٢) تأريخ صنعاء : ورقة ١٤ آ ـ ب ، ١٥ أ ـ ب . يتضح من لغة الاتفاق انها اسلامية متأخرة وما يهمنا منه هو المعلومات الاساسية الى الحلف واطرافه التي وردت لها الاشارة في مصادر اخرى .

٧٣) الصفة : ١٠٧ ، ١١٧ . تأريخ الطبري : ٣/ ١٣٤ ، ٣٢٦ .

٧٤) تاريخ الطبري : ٣/ ٣٢٦ . الاصابة : ٥/ ٣٦٨ .

٧٥) ملوك كندة : ٢٠٧ . يشير اولندر الى التوافق والتفاهم غير المعلن بين عودة كندة الى حضرموت وبين تقدم الفرس نحو اليمن .

٧٦) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ .

٧٧) تأريخ الطبري : ٣/ ٤٨٤ .

٧٨) معجم البلدان : ٢/ ٣٨١ .

٧٩) الوثائق السياسية : ١٤٥ ، ١٥٠ .

٨٠) طبقات إبن سعد : ١/ ٢/ ٢٦ .

٨١) الاصابة : ٢/ ١٩٧ . رواية يعقوب بن سفيان عن النعمان بن برزخ

٨٢) المصدر السابق : ١/ ٣٣٨ .

٨٣) طبقات إبن سعد : ١٧/٦ .

٨٤) تأريخ صنعاء : ورقة ١٤آ ـ ب .

٨٥) الاكليل : ١١٥/١٠ .

الباب الثاني

الاسلام وأهل اليمن

الفصل الأول

إسلام أهل اليمن

يتضح من دراسة الأحوال السياسية في اليمن قبيل الاسلام ، ان الفرس لم يشكلوا سلطة مركزية ، وانما اقتصروا على التمركز في صنعاء وبعض مناطق اليمن ذات النشاط الاقتصادي كعدن وذمار والرضراض ، واكتفوا بالنفوذ الاسمي ، بينما كان لأذواء اليمن سلطاتهم المحلية التي ربما تكون توسعت فشملت حدوداً اوسع من اراضي قبائلهم . ولا يبدو ان القبائل الأخرى وبخاصة تلك التي تتجول فيما بين حضرموت ونجران قد اعترفت بسلطة معينة في اليمن بالاضافة الى ان نجران تمتعت بوضعية خاصة اشبه بالاستقلال وانها اشرفت على ما حولها من اراض .

ان اليمن عند ظهور الاسلام لم تكن موحدة سياسياً ولم تكن فيها سلطة عليا يتعامل معها الرسول ﴿ ﷺ ﴾ . وكتبه التي كتبها الى عدة افراد وجماعات وذكرتها المصادر ، وكثرة وتعدد الوفود التي قدمت الى المدينة تدل على عدم وجود هذه الوحدة .

غير ان اهل اليمن سمعوا بالدين الاسلامي ووصلتهم اخبار الرسول ﴿ ﷺ ﴾ في الحجاز من اليمانيين المقيمين في مكة والمدينة والطائف ، او من التجار الذين يترددون على اليمن او من الذين يزورون المدينة من اهل اليمن . ومن المحتمل ان بعضهم اسلم . إلا أن اول جماعة من اهل اليمن ، تروي المصادر انهم قدموا الى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ واسلموا هم رهط ابي موسى الأشعري . وانهم وصلوا المدينة عندما كان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ في خيبر سنة ٧هـ[١] .

ان الاتصال الواسع بين الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وأهل اليمن تم بعد تحرير مكة سنة ٨هـ . الذي خلق ظروفاً جديدة ، حيث دخل أهل مكة ومن كان فيها من اهل اليمن في الاسلام وأصبحت دولته تشمل كل الحجاز ولها حدود مشتركة مع اليمن ، علماً بأن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لم يقم بعمل استفزازي ضد اهل اليمن كأن يتعرض للتجارة معها ، لذا لم يثر التوسع في دولة الاسلام مخاوف اهل اليمن ، بل الراجح انه اشعرهم بأهمية وضرورة الارتباط به لما في ذلك من منافع مادية غير قليلة ، كما انه اصبح يمتلك سلطة واسعة بالاضافة الى ان افكار التوحيد كانت منتشرة في اليمن منذ مدة قديمة لذلك لم تصطدم معتقداتهم بالدين الجديد .

ويبدو ان اشارات كثيرة تؤكد اتصال الاسلام باليمن في هذه الفترة وقد ورد بعض هذه الاشارات في اخبار المراسلات بين الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وبين قبائل اليمن ، وورد بعضها من خلال اخبار الوفود التي قدمت الى الرسول من اليمن ، يضاف الى ذلك السرايا التي ارسلها لبعض اطراف اليمن ، ولكنها كانت اشارات مقتضبة يكتنفها الغموض والتناقض ويجدر بنا تناولها بحذر .

مراسلات الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مع اهل اليمن :

حددت المصادر اول المراسلات عامة بعد عودة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ من الحديبية ، إلا انها لم تذكر انه ارسل الى اليمن أو من فيها كتباً(٢) ، غير ان ابن سعد يذكر ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ارسل الى كسرى ، فكتب هذا الى باذان عامله في اليمن يأمره ان يرسل الى محمد من يحضره الى المدائن ، وان الذين ارسلهم باذان عادوا دون ان يصحبوا محمداً معهم لأنه اخبرهم بأن الله قد قتل كسرى بأن سلط عليه ابنه شيرويه . فلما ثبت لهم صحة ذلك اسلموا وأسلم باذان وأسلم الأبناء الذين باليمن(٣) .

وأول رسالة بين الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وأهل اليمن ذكرتها المصادر ترجع لما بعد عودته من الجعرانة حيث تذكر المصادر انه كتب الى بني عبد كلال ،

وهم الحارث ونعيم ومسروح والنعمان قيل معافر ورعين وهمدان ، والى زرعة ذي يزن وهم جميعاً من حمير . وقد ورد في الرسالة ما يلي : « سلم انتم ما امنتم بالله ورسوله . وان الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى بكلماته وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : الله ثالث ثلاثة عيسى بن الله »(٤) .

وبعد هذه الرسالة وصل وفد حمير برئاسة مالك بن مرارة الرهاوي في رمضان سنة ٩هـ . أي بعد عودة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ من تبوك(٥) . ولم تذكر المصادر معلومات تفصيلية عن طبيعة المراسلة وأسباب اختيار مالك بن مرارة وهو ليس من حمير كما انها لا تذكر معلومات قاطعة عن نتائج المراسلة او الوفادة ، غير انها تذكر اخباراً عن ارتباط هذه المراسلة والوفادة بأحداث وفادة عمير ذي مران الهمداني ، وقد رأينا انه يسكن في الجوه من المعافر مع حمير(٦) ، كما يرتبط بها اسلام عك ذي خيوان(٧) الذي نجهل هويته ومنطقة اقامته إلا اننا لا نجد رسالة موجهة لهم جميعاً انما هناك رسالة لعمير ذي مران ومكاتبة لعك ذي خيوان بالاضافة الى رسالة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لحمير .

وقد ارسل الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وفداً برئاسة معاذ بن جبل ومعه رسالة الى اذواء حمير الذين ذكرناهم ، وقد تضمنت الاشارة الى وصول وفد حمير بعد عودة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ من تبوك كما انها اشارت الى اسلام اذواء حمير وقتلهم المشركين ، وانهم رضوا بدفع الصدقة ، وان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ارسل لهم معاذ بن جبل وصحبه(٨) ، أي أن معاذاً اصبح ممثلا للرسول ﴿ ﷺ ﴾ عند حمير وهذا يستلزم ان يكون معاذ مسؤولاً عن صياغة سياسة الاسلام في اليمن . وان ابتداء الرسول ﴿ ﷺ ﴾ بحمير يعني انه يعتبرها القوة الأساسية التي يجدر التفاهم معها . ولم تقتصر مهمة مالك بن مرارة على تمثيل حمير انما مثل عمير ذا مران وعك ذا خيوان .

ويذكر ابن سعد ان معاذاً ذهب الى اليمن في ربيع الآخر سنة ٩هـ .

وقيل ذهب هو وأبو موسى الأشعري في ربيع الأول سنة١٠هـ .وتفيد الرواية بأن معاذ بن جبل بدأ بصنعاء ثم انتقل الى الجند[9] التي كانت ـ كما يبدو ـ مقر اذواء حمير . وليس واضحاً لماذا ذهب معاذ الى صنعاء وما اذا كان قد اتصل بالابناء ام لا ؟ كذلك نجهل اسباب تركه لها واستقراره في الجند . ولا عن علاقته بباذان الذي نجهل من امره الكثير في هذه الفترة .

كذلك راسل الرسول ﴿ﷺ﴾ اساقفة نجران[10]. وراسل بني معاوية من كندة في حضرموت الذين ذكر ان ملوك كندة الأربعة مخوس وجمدة وابضعة ومشرح منهم ، كما راسل بني ربيعة بن ذي المرحب من حمير بحضرموت[11]. وقد دعاهم في رسائله الى دخول الاسلام ، إلا انه لا توجد اشارة الى نتائج هذه المراسلات او اية تفصيلات تتعلق بها .

وفود اليمن :

ثبتت دولة الاسلام ، واصبحت تشمل كل الحجاز من تبوك شمالا الى جنوب الطائف جنوبا ، واصبح الرسول ﴿ﷺ﴾ في مركز سياسي قوي وادرك العرب ان من مصلحتهم الارتباط به والتفاهم معه ، فاتجهت وفودهم الى المدينة فيما بين سنتي ٩ ـ ١٠ هجرية ، ومن بين هذه الوفود وفود اهل اليمن[12].

ومن الوفود التي قدمت الى المدينة من اليمن وفد حمير برئاسة مالك بن مرارة الرهاوي الذي قدم سنة تسع هـ .وسبقت الاشارة له كما قدم وفد جيشان وهي مدينة من مدن حمير .

لدينا اشارة لوفدين من نجران . وفد بني الحارث بن كعب في ربيع الاول سنة ١٠ هـ ،ووفد نصارى نجران الذي لا نعرف تاريخ قدومه[13].

اما وفد بني الحارث فقد جاء بعد إخضاعهم بالقوة . حيث ارسل لهم الرسول ﴿ﷺ﴾ سرية من اربعمائة جندي بقيادة خالد بن الوليد سنة عشر فاسلموا وقدم وفدهم مع خالد وفيه قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد وعبد

الله بنو عبد المدان وآخرون[14].

اما وفد نصارى نجران فقد قدم بناء على دعوة الرسول ﴿ﷺ﴾ لما دعاهم الى الاسلام[15] . وكان في الوفد العاقب عبد المسيح والاشعث ابو الحارث والسيد ابن الحارث واخرون فدعاهم النبي ﴿ﷺ﴾ الى الاسلام فلم يسلموا ودعاهم الى المباهلة[16] فرفضوا وقبلوا الصلح فصالحهم .

ويظهر من الصلح ان الرسول ﴿ﷺ﴾ اعترف بمكانة خاصة لنجران اقرب الى حالة الاستقلال الذاتي بدليل :

- انه ترك لهم حاصلهم الزراعي والمعدني والصناعي والتجاري .
- ترك لهم الرقيق .
- اعترف لهم بادارة شؤون نجران وحاشيتها وامَّنهم على اموالهم وانفسهم .
- اعترف لهم بحق ممارسة ديانتهم وحرية ذلك .
- اعفائهم من كل دم جاهلية .
- لا يحشرون ولا يعشرون .
- لا يطأ ارضهم جيش .

وبالمقابل فقد اشترط عليهم الرسول ﴿ﷺ﴾ :

- الفي حلة تدفع على وجبتين الاولى في رجب والثانية في صفر كل حلة اوقية من الفضة .
- عليهم مؤونة رسل النبي ﴿ﷺ﴾ ومتعتهم لغاية عشرين يوما .
- في حالة تعرض المسلمين لكيد او تمرد باليمن فعلى اهل نجران

اعانتهم بثلاثين درع وثلاثين فرس وثلاثين بعيرا .

ـ منع الربا .

ـ ان الصلح مرهون ببقاء اهل نجران ناصحين صالحين .

ـ ان الصلح مؤقت حتى يأتي الله بأمره[17].

ان المصالحة بين الرسول ﴿ﷺ﴾ ونجران تعبر عن عدم رغبته في ان تصبح نجران عقبة في طريق دخول الاسلام الى اليمن ، كما ان اهل نجران كانوا يأملون من الاتفاق ان يحمي مصالحهم التجارية فقد كانت نجران محطة قوافل[18] ومنصب السيد في حكومة نجران وهو المنصب الاقوى مستمد من مركزه وعلاقته بالتجار ورجال المال المرتبطين بالتجارة[19]. والظاهر ان الرسول ﴿ﷺ﴾ ادرك الوضعية الخاصة لنجران لهذا عمل على تحديد هذه الوضعية لتنسجم مع الاتجاهات العامة لمبادىء الاسلام (منع الربا والاستمرار على النصح) .

ثم جاء وفد قبيلة همدان ، وهي قبيلة يبدو انها لم تكن متجانسة حضاريا ويسود علاقتها التفكك السياسي والاجتماعي . فبعض قبائلها كانت داخلة في قبيلة حمير . ويذكر ابن سعد ان همدان اسلمت في وقت مبكر من الدعوة عندما كان الرسول ﴿ﷺ﴾ في مكة يعرض نفسه على القبائل واتصل بقيس بن مالك بن سعد بن لأى السفياني الهمداني ، فأسلم وطلب من الرسول ﴿ﷺ﴾ ان يصحبه الى قبيلته ، فطلب منه الرسول ﴿ﷺ﴾ ان يستشير قومه ففعل واسلمت همدان ، ولما عاد الى مكة في العام الثاني وجد ان الرسول انتقل الى المدينة فكافأه الرسول ﴿ﷺ﴾ وكتب له عهده على همدان احمورها وعربها وخلائطها ومواليها[20].

وفي رواية اخرى لابن سعد ايضا ان الذي اتصل بالرسول ﴿ﷺ﴾ يقال له عبد الله بن ام غزال ، وانه قتل في اثناء عودته الى اليمن

فقتلته زبيد لاسباب لا تتعلق بالدين[21].

اما الهمداني فيذكر ان الذي اتصل بالرسول ﴿ﷺ﴾ في مكة قيس بن نمط بن قيس بن مالك بن سعد من مالك بن لأي ، ولم يذكر العهد المذكور في رواية ابن سعد انما يذكر ان قيساً قال للرسول ﴿ﷺ﴾ لقد خلفت في الحي فارسا مطاعا ـ او سيدا مطاعا ـ وانا اعرض عليه الاسلام واوافيك من قابل . فقيس لم يدع الرئاسة ، انما اكد تبعيته لسيد همدان وهو ابو يزيد قيس بن عمرو[22].

وتذكر المصادر ان وفد همدان كان مؤلفا من مائة وعشرين منهم مالك بن النمط الذي خاطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ بقوله : « يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد » . فكتب لهم الرسول ﴿ﷺ﴾ كتاباً بمخلاف خارف ويام وشاكر واهل الهضب وحقاف الرمل من همدان[23].

ومن الوفود ، وفد الازد ، وفي مقدمتها وفد دوس الذي صادف قدومه الى المدينة والرسول ﴿ﷺ﴾ في خيبر . ومن وفود الازد وفد برئاسة صرد بن عبد الله الازدي الذي كلفه الرسول ﴿ﷺ﴾ بمهمة في مدينة جرش فحاصرها واشتبك مع اهلها وعاد ومعه وفد من اهل المدينة . كما قدمت وفود غامد وثماله والحدان وغافق بن عك وبارق .

كما قدم وفد بجيلة وفيه جرير بن عبد الله البجلي في مائة وخمسين رجلا من قومه فبايع الرسول ﴿ﷺ﴾ على طاعة الوالي وان كان عبدا حبشيا . وبعثه الرسول ﴿ﷺ﴾ الى ذي الخلصة كعبة خثعم لهدمها فنفذ مهمته . كما قدم وفد احمس ووفد خثعم .

وقدمت وفود مذحج ومنها وفد بني انس الله بن سعد العشيرة ثم قدم وفد جعفى . فكتب رسول الله ﴿ﷺ﴾ لقيس بن سلمة يستعمله على مران ومواليها وجريم ومواليها والكلاب ومواليها ، والكلاب تحالف لقبائل أود وزبيد

وجزء من سعد العشيرة وزيد الله بن سعد وعائذ الله بن سعد وبنو صلاءة من بني الحارث بن كعب .كما قدم وفد زبيد وفيه عمرو بن معدي كرب الزبيدي في عشرة نفر من قبيلة زبيد

ومن وفود مذحج وفد عنس. ووفد مراد وفيه فروة بن مسيك المرادي وكان مع ملوك كندة الا انه فارقهم بسبب موقفهم السلبي وعدم نصرتهم قومه في حرب الرزم بينها وبين همدان[٢٤]. ووفد على الرسول ﴿ﷺ﴾ واستعمله على مراد وزبيد ومذحج وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات .

ومن وفود مذحج وفد الرهاويين وفيه خمسة عشر رجلا من الرهاويين . ووفد صداء وفيه خمسة عشر رجلا ويقال انه اقتصر على رجل واحد في اول الامر هو زياد بن الحارث الصدائي . ووفد النخع ويقال انه آخر الوفود وكان مقدمهم في منتصف محرم سنة احد عشر وفي الوفد ارطأة بن شراحيل والارقم من بني بكر . ثم وفد منهم مئتان كانوا بايعوا معاذا في اليمن وفيهم زرارة بن عمرو . كما قدم وفد الحارث بن كعب ، ويقال ان وفدهم قدم مع خالد بن الوليد وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ ارسله في اربعمائة من المسلمين في ربيع الاول سنة عشر الى بني الحارث بنجران فدخلوا في الاسلام وقدموا معه وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن عبد المدان وعبد الله بن عبد المدان ويزيد بن المجمل وعبد الله بن قراد وشداد بن عبد الله القناني وعمرو بن عبد الله .

ومن وفود اليمن وفود حضرموت ، وتذكر المصادر وفدا فيه حمير التي بحضرموت برئاسة وائل بن حجر ومعه ملوك كندة الاربعة وهم مخوس وجمدة ومشرح وابضعة بنو وليعة ، كما تذكر وفداً آخر للكنده برئاسة الاشعث بن قيس في بضعة عشر راكبا . كما قدم وفد من نجيب .

ويظهر من اخبار الوفد اهتمام الرسول ﴿ﷺ﴾ بوائل بن حجر حيث دعا الى صلاة جامعة احتفاء به وحكم له بملكية واد بحضرموت نازعه عليه

الاشعث بن قيس[٢٥]. وفي رسالته ﴿ﷺ﴾ الى اقيال حضرموت كتب لهم ان وائل بن حمير يترفل على الاقيال أي يتزعمهم[٢٦]. وقد اظهر الرسول ﴿ﷺ﴾ عدم رضاه عن اقصاء وائل بن حجر عن ملك حضرموت[٢٧].

كما قدم وفد مهرة .

لقد انعكست حالة التفكك السياسي والاجتماعي في اليمن على شكل توجه اهل اليمن نحو المدينة ، حيث لم يظهر على الوفود التي قدمت المدينة انها تمثل قبائل كبيرة او وحدات قبلية كبيرة متحدة ، وباستثناء حمير التي كان واضحا ان وفدها مثل قوتها السياسية بتأكيد الرسول ﴿ﷺ﴾ اللقب السياسي لقيلها بجانب الاشارة الى قبائل من خارج القبيلة تابعة لها ، فان بقية الوفود مثلت بطونا من القبائل واحيانا اقتصر الوفد على شخص على الاكثر مجهول الهوية كرئيس وفد همدان وفروة بن مسيك المرادي ، واحيانا له وضعية تاريخية معينة مثل جرير بن عبد الله البجلي ، ووائل بن حجر ، وعموما نحن نجهل مكانتهم في قبائلهم ، واحيانا يمثل القبيلة وفدان لا نعرف موقع كل منهما من قبيلته .

كما ان طبيعة الوفود وغموض معلوماتنا وجهلنا اماكن قبائلها بدقة لم تمكننا من الاحاطة بظروفها الاجتماعية والسياسية كوفود الازد وبجيلة خاصة . وبعضها الاخر يتناقض مع روايات اخرى فوفد همدان مثلا تناقضه رواية البراء بن عازب عن اسلام همدان كلها في يوم واحد على يد علي بن ابي طالب اثر سرية قادها في السنة العاشرة للهجرة[٢٨].

يضاف لهذا ان تمثيل بعض الوفود لقبائلها اقحم اقحاما دون ما يسنده من ادلة تأريخية او وضعية جغرافية او اجتماعية . فهمدان التي اشارت الروايات الى تمثيل وفدها لحاضرها وباديها لم تكن تسكن ارضا واحدة ولم تكن اجتماعيا موحدة وبعضها له علاقات تأريخية بقبائل اخرى نجحت في فصله عن القبيلة

الام مثل المرانيين .

وبصورة عامة ، تظهر الوفود ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اراد تطبيق سياسة تؤدي الى توحيد اليمن بجمع قبائلها في ظل سلطة مركزية عليا واحدة وعقيدة واحدة وتأمين التجارة وتنشيط الجهد الفردي واعادة تكوين كتل قبلية كبيرة بدل البطون المتناثرة . وهي نفس السياسة التي اتبعها في المدينة فأدت الى تزايد قوة الاسلام .

لقد وحد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ همدان حضرها وبدوها تحت زعامة جديدة من خارج زعامتها التقليدية . وتبع مثل هذه السياسة مع مذحج حيث استعمل فروة بن مسيك المرادي على مراد وزبيد ومذحج ، وهو ليس من زعماء هذه القبيلة ولم يكن مصاحباً لقومه انما كان مع ملوك كندة . كذلك طبق نفس السياسة في حضرموت عندما اعاد لوائل بن حجر السيادة وسيّده على اقيال حضر موت ، واذا كان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ فعلا يهدف الى توحيد هذه الكتل القبلية فان نتيجة عمله هذا حتما ستكون تعزيز شعور هذه القبائل بالقوة وكسبها الى جانبه . ولكن السؤال المهم هو لمصلحة من كان يعزز قوة هذه القبائل ؟ وهل ان تنصيب اشخاص ليست لهم مكانة كبيرة من قبائلهم او مناطقهم على تلك القبائل يخدم الهدف لتوحيد القبائل ام انه سيثير الانقسام داخل القبائل ؟ ويكتل الحاقدين والحاسدين ويدفعهم الى اعمال معارضة لسياسته ، وهو ما حصل بالفعل ، فقد وقفت مذحج ضد فروة وهو موقف محتمل جدا ان يكون حدث في حضرموت وهمدان .

ومن المرجح انه استعمل هؤلاء الاشخاص على من اسلم من قبائلهم وانه اراد بذلك ان يوحد مسلمي هذه الكتل والمناطق لكي يميزهم عن مجتمع قبائلهم او مناطقهم ولكي ينجح في جلب آخرين الى الكتل الاسلامية الجديدة باعتبارها تمثل حلا لتجاوز وضعية التفكك الاجتماعي وناتجها السلبي . ولكن في موقف مذحج من فروة ما يشير الى انه كان قد عين على مذحج مسلميها وغير مسلميها ، وفي هذه الحالة تصبح سياسة الرسوال ﴿ ﷺ ﴾ شاملة .

ولكننا لا نعلم بالضبط مدى الاثر المباشر للمراسلات والوفود والسرايا فالغموض يحيط بموقف اطراف الجزيرة العربية من الاسلام خاصة في السنتين الاخيرتين من حياة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ والمصادر التي اوردت اخبار المراسلات والوفود سكتت عن الاوضاع عموما وخاصة اوضاع ومواقف من لم ينضم الى الاسلام ، ولعلها ارادت ان تظهر بسكوتها نجاح تلك السياسة التي مورست في المراسلات او الوفود ، وتؤكد هدوء الاحوال . غير انه توجد اشارات تدل على ان الاسلام لم يلق القبول التام ، بل واجه معارضة .

لقد وردت في رسالة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مع مالك بن مرارة ومعاذ بن جبل الى اقيال حمير عبارة « انك اسلمت من اول حمير وقتلت المشركين »[٢٩]. كما ان معاذ بن جبل كتب من الجند الى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ « لقد قاتلت من كفر من اهل اليمن بتلة من الاشعريين » والسكاسك والاملوك املوك ردمان »[٣٠] . وورد في الاكمال عن عبد الله بن شفي الرعيني انه صاحب اول لواء عقده معاذ باليمن ووفده في جمع الى ذي هقرين يقاتلون اهل الردة[٣١]. وعن عبيد بن صخر وكان مع معاذ بن جبل في الجند انه قال : « فبينا نحن بالجند ، قد اقمنا المرتدين على ما ينبغي وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، اذ جاءنا كتاب من الاسود : « ايها المتوردون علينا ، امسكوا علينا ما اخذتم من ارضنا ، ووفروا ما جمعتم فنحن اولى به ، وانتم على ما انتم عليه»[٣٢] . فالاشارات التي وردت غامضة حول المشركين اتضحت ووضحت هوية هؤلاء المشركين في شخص عبهلة بن كعب .

● هوامش الفصل الاول ●

(١) حددت المصادر اول المراسلات عامة بعد عودة الرسول ﴿ﷺ﴾ من تبوك طبقات ابن سعد : ١/٢/٧٩ .

(٢) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ١٥ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ٢ / ٢٦ .

(٤) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ١٥ ، ٣٢ ، ٥ / ٣٦٦ .

وقد حمل رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ عياش بن ابي ربيعة المخزومي من مسلمي مكة الأولين ، هاجر وزوجته الى الحبشة وعاد الى مكة فكان ممن حجزتهم قريش ، وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يدعولهم . والظاهرة انه التحق بالمدينة بعد سنة ٥ هـ . راجع ايضا : ٩٦/١/٤، ٩٧، ٩٨، ٢٢١/٨ .الوثائق السياسية : ١٥٢ ، ١٥٦

(٥) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ٨٤ .

مالك بن مرارة : ويقال (مرة) من رهاء بطن من مذحج يذكر في الروايات رسولاً لأذواء حمير الى الرسول ﴿ﷺ﴾ وتذكره بعض الأحيان رسولاً لرسول الله الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام . انظر ايضاً : ١ / ٢ / ٢٠ ، ٨٤ . ٥ / ٣٨٧ . ٦ / ١٨ .

(٦) الوثائق السياسية : ١٥٢ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ٢٠ . الأموال : ٢٠١ . تأريخ الطبري : ٣ / ١٢٠ . أسد الغابة : ٣ / ٣٦٨ .

(٩) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ١٢١ . ٤ / ١ / ٨٠ . فتوح مصر وأخبارها : ص ١٢٧ . تأريخ الخميس : ٢ / ١٥٧ .

(١٠) تأريخ اليعقوبي : ٢ / ٩٠ .

(١١) طبقات ابن سعد : ١ / ٢ / ٢٠ ـ ٢١ .

(١٢) سيرة بن هشام : ج / ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ، حيث ذكر وفود حمير والازد وكندة وبعض وفود مذحج ، ايضا طبقات بن سعد ١/ ٢/ ٥٩ ـ ٨٦ . ويعتبر بحثه في الوفود من اوسع واشمل ما وصلنا وقد نقله النويري : نهاية الارب : ١٨/ ٨١ ـ ١٢١ .

(١٣) طبقات بن سعد : ١/ ٢/ ٧٢ . ٨٤ .

(١٤) نفس المصدر ، رواية محمد بن عمر عن ابراهيم بن موسى المخزومي عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث عن ابيه . تاريخ الطبري : ٣/ ١٢٦ روايته عن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر .

١٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢/ ٨٤ .

١٦) المباهلة : الملاعنة .

١٧) الوثائق السياسية : ص ١١١ .

١٨) الاغاني : ١/ ١٥٥ . معجم البلدان : ٣/ ٥١٦،٤٦٧ . التنبيه والاشراف : ٢٦١ .

١٩) Yazid, P.P 336-338, 340, 341 La Mabahala P.P 552, 558

٢٠) طبقات ابن سعد : ١/ ٢/ ٧٣ . الاصابة : ٣/ ٢٤٠ . اسد الغابة : ٤/ ٢٢٤ . سيرة بن هشام : ٤/ ٢٤٤ . العقد الفريد : ١/ ١٣٤ . صبح الاعشى : ٦/ ٣٧٤ . نهاية الارب : ١٨/ ٩ .

٢١) طبقات ابن سعد : ١/ ٢/ ٧٣ .

٢٢) الاكليل : ١٠/ ٢٢٠ ، ٢٢٥ . الاصابة : ٥/ ٥٠٧ .

٢٣) سيرة بن هشام : ٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤ . الروض الانف : ٧/ ٤٢٤ ، سماه ابو ثور ذي المشعار . طبقات بن سعد : ١/ ٢/ ٧٤ ذكر الوفد وفيه حمزة بن مالك من ذي المشعار ثم ذكر نمط بن قيس بن مالك بن سعد بن مالك . معجم ما استعجم : ٨٤٨ ، اعتبر ذو المشعار موفدا من مالك بن نمط .

٢٤) تأريخ الطبري : ٣/ ٣٢٦ . الاصابة : ٥/ ٣٦٨ .

٢٥) طبقات ابن سعد : ١/ ٢/ ٣٥ ، ٦٤ ، ٧٩ .

٢٦) الوثائق السياسية : ١٧١ .

٢٧) الدر المكنون : ١٠٨ رواية الطبراني .

٢٨) تأريخ الطبري : ٣/ ١٣٢ . وفي رواية اخرى ان عليا لم يبلغ الا اول اليمن من جهة الحجاز وهي ليست اراضي همدان . المصدر السابق : ٣/ ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٩ . بينما يذكر ابن سعد ان عليا ذهب الى مذحج وليس الى همدان . انظر : ٢/ ١/ ١٢٢ .

٢٩) الوثائق السياسية : ١٤٦ . الرسالة مؤرخة بسنة تسع من الهجرة .

٣٠) فتوح مصر : ١٢٦ .

٣١) الاكمال : ٤/ ٨٥ .

٣٢) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ . تأريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام : ١/ ٣٤٢ .

الفصل الثاني

تطـور علاقـة الاسـلام باليمن

اتضح في دراسة الحالة السياسية لليمن قبل الاسلام[١] ان حركة عبهلة لم تكن في البداية موجهة نحو الاسلام ، او نحو سياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ، وان الجماعات التي تزعمها كانت تخاصم الفـرس الساسـانيين وحلفاءهم من همدان لاسباب في مقدمتها ان مجتمع اليمن قبل الاسلام لم يكن متجانسا ، فقـد كان فيه حضر وبـدو وفلاحـون وعمال واذواء ومقـاول واسر ارستقراطية فارسية وفيه طبقات واسعة من العبيد . ولكل منهم وضع اقتصادي واجتماعي مختلف . وان اغلبية المجتمع لم تكن تعيش رفاها اقتصاديا لان ثروات اليمن آنذاك لم تستثمر اجتماعيا انما كانت تستثمر من قبل افراد ولمصلحتهـم المحدودة ، لهذا لم يترتب على استثمارها ازدهار اقتصادي او اجتماعي ، لان وجود الطبقة الغنية والمستغلة كان يعتمد بالدرجة الاولى على احتكار الانتاج المحلي وتوظيفه في نشاط تجاري مربح ، وعندما تستطيع طبقة كهذه تكوين ثروة من ارباح التجارة الخارجية واستغلال اقاليم اخرى فاستغلالها لا يستلزم بالضرورة تقدم اهل البلاد وبخاصة مع وجود طبقة العبيد التي تهيىء الايدي العاملة الرخيصة .

فالعلاقات الاجتماعية السائدة في اليمن قبيل الاسلام كانت علاقات اقطاعية ، وكانت الاسر الارستقراطية تستحوذ على معظـم الانتـاج الزراعـي والحيواني والمعدني والصناعي وتسيطر على التجارة . ويظهر ان السكان باستثناء المقـاول والاذواء والاسر الارستقـراطية كانـوا يقاسـون من تذبـذب النظـام الاقتصادي وطابعه الاستغلالي ، ولهذا فهم مغلوبون مغمورون بما عليهـم من الخراج والكلف والاثقال[٢] ، غير قادرين على تحمل نفقات اضافية تتمثل في

الجباية التي مارسها الساسانيون ، وبالاضافة الى هذا فالقوى التي تحالفت ضد الفرس وهمدان والتي تزعمها عبهلة فيما بعد ، اغلبها من مذحج مثل عنس ومراد وزبيد والحارث بن كعب وجنب واود ومسلية وحكم ، وهي قوى يحركها الولاء القبلي ، اما بقية القوى الاخرى من قبائل خولان والازد [٣] فهي قوى تحالفت مع مذحج في ظروف نجهلها تماما ، ولكن قد يكون لاحتقار العرب لقبيلة الازد لاشتغالها بالنساجة [٤] سبباً في موقفها هذا ولكننا كما لاحظنا ان اهل اليمن عموما اشتغلوا بالنساجة .

كما ان المنطقة التي تسكنها قبائل مذحج والازد وخولان في اطراف اليمن الشرقية او السراة شمالي غربي نجران من المناطق الفقيرة بانتاجها الاقتصادي ولا تساعد على نشوء الاستقرار البشري وبخاصة منطقة مذحج فيما بين حضرموت ونجران ، وقد تكون هذه القبيلة حاولت التوغل الى داخل اليمن فاصطدمت بالقوى المستقرة وهو احتمال له وجه من الصحة ، فقد تركز ضغط هذه القوى على منطقة العبر مأرب بين حضرموت ونجران ، وهي اضافة لكفاءتها الاقتصادية في مجال الزراعة فانها ايضا عقدة الطريق التجاري بين حضرموت واليمن ومنها يتفرع الطريق اما غربا نحو عير بيحان نحو مأرب فنجران ، او باتجاه الشمال الغربي نحو نجران مباشرة [٥] . لكننا لم نسمع عن اصطدامها بحمير التي كانت تتمتع بملكية هذه المنطقة انما سمعنا عن اصطدامها بهمدان والفرس والراجح ان هذا بسبب تركز ضغط مذحج على منطقة مأرب ، ومن هنا جاء تناقضهم مع الفرس وهمدان .

في اواخر مراحل الصراع بين مذحج وحلفائها من جهة وبين الفرس وهمدان من جهة ثانية حدث تطور جديد في اوضاع اليمن تمثل في وصول حدود دولة الاسلام الى اليمن وارسال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مبعوثيه الى اليمن وعلى رأسهم معاذ بن جبل الذي استقر في مدينة الجند كما سبق واشرنا اليه .

لقد واجه معاذ بن جبل في بداية الأمر معارضة من بعض الأذواء فقد

ذكر عبد الله بن شفي الرعيني ان معاذا اوفده في جمع الى ذي هقرين يقاتلون المرتدين [٦] . كما ان الروايات الاخرى اشارت الى وجود تحرك معارض لمعاذ قبل ظهور عبهلة في منطقة حمير وانه قاتلهم وانتصر عليهم [٧] ، غير انه بعد انتصاره هذا وتأمين الامور في الجند فوجيء برسالة عبهلة وفيها يقول : « ايها المتوردون علينا ، امسكوا علينا ما أخذتم من ارضنا ووفروا ما جمعتم فنحن اولى به ، وانتم على ما انتم عليه » [٨] .

لقد كانت قوة عبهلة هي نفسها قبائل الحلف القديم مذحج وبعض خولان والازد ويقال انه اتبعه اربعة الاف من حمير [٩] . ومع صعوبة تصديق هذا الرقم الا ان تطور الاحداث فيما بعد كما سنرى يجعلنا نعتقد بان لعبهلة مؤيدين في منطقة حمير .

ومن ابرز اعوان عبهلة قيس بن عبد يغوث المرادي ، وكان على الجند ويساعده معاوية بن قيس الجنبي ، ويزيد بن محرم ، ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الافكل الازدي ، وكان على مذحج عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، ولما احتل صنعاء استعمل فيروز وداذويه على الابناء [١٠] .

ويبدو ان معارضي الاسلام من مختلف القبائل والمناطق ايدوا عبهلة كذلك الذين رأوا فيه ممثلا لمصالحهم ، ولهذا ازدادت قوته وايدته نجران حيث سيطر عليها اعوانه بعد عشرة ايام من اعلانه معارضته لسياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ فدخلها في ستمائة فارس . بينما استولى قيس بن عبد يغوث المعروف (بالمكشوح) على الامور في قبيلة مراد وطرد فروة بن مسيك المرادي الذي عينه الرسول ﴿ ﷺ ﴾ . وبعد عشرة ايام من احتلاله نجران توجه عبهلة الى صنعاء بخمسمائة فارس [١١] . وفي رواية يعقوب بن ابي سفيان ان عبهلة قتل باذان [١٢] . بينما يروي الثعلبي ان باذان قتل لما كان متوجها الى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ [١٣] . اما الطبري فيرى ان عبهلة عندما توجه الى صنعاء التقى بجمع الابناء بقيادة شهر بن باذان في موضع « شعوب » فقتله عبهلة ودخل صنعاء

وكتب الى الرسول (ﷺ) يعلمه بذلك[١٤]. والراجح ان عبهلة تحرك ضد السيطرة الساسانية مباشرة بعد اعلان معارضته لسياسة الرسول (ﷺ) لكي يتم له تصفية تلك السيطرة واستخدام اليمن كلها في الصراع مع السلطة الاسلامية والراجح انه قتل باذان سواء في معركة او اثناء اتجاهه الى المدينة للتفاهم مع الرسول (ﷺ) وانه بعد قتله باذان دخل صنعاء وقتل شهر بن باذان باعتباره يقوم مقام ابيه .

وهكذا سيطر عبهلة على اليمن وانسحب معاذ بن جبل من الجند الى حضرموت حيث نزل عند السكون كما انسحب ابو موسى الاشعري من مأرب ونزل عند السكاسك في حضرموت ايضا[١٥]. وغلب الاسود على ما بين صهيد - مفازة حضرموت - الى عمل الطائف الى البحرين قبل عدن وطابقت عليه اليمن ... وثبت ملكه واستغلظ امره ودانت له سواحل من السواحل ، حاز عثر والشرجة والحردة وغلافقة وعدن والجند ثم صنعاء الى عمل الطائف الى الاحسية وعليب[١٦].

ويذكر ياقوت مواضع متعددة اقترنت بردة الاسود العنسي مثل مدر قرب صنعاء[١٧]. ورحبة قرب صنعاء[١٨] كذلك المضهار ومنقل قرب صعدة[١٩]. وخبان قرب نجران[٢٠] وشرجة وحردة من سواحل اليمن على البحر الاحمر[٢١]. ويذكر البكري كشر وهو موضع قرب جرش اشتبك به المسلمون بعمرو بن معدى كرب[٢٢]. وهي اماكن تطابق الرواية التي اوردها الطبري . ويصعب تصديق هذه الروايات لعدم وجود ما يوضح موقف سكانها من سيطرة عبهلة كما انه ليس من السهل رفضها لانه لم يصل لنا ما يناقضها .

ومع ذلك فقد واجه عبهلة معارضين تمثلوا في الجماعات المسلمة من مذحج التي انسحبت مع فروة بن مسيك المرادي الى الاحسية[٢٣]. اما في منطقة حمير[٢٤] فقد كان لجهود ذي الكلاع وآل ذي لعوه الهمدانيين المصاهرين له دور في تثبيت الاسلام[٢٥]. ووقفت ضده عك بتهامة[٢٦] .

لقد عمل الرسول (ﷺ) على تحريض اهل اليمن بالرسل واستنهاضهم للمواجهة الذاتية مع عبهلة فكتب الى ذي الكلاع وذي عمرو وقيل ذي ظليم مع جرير بن عبد الله البجلي ، وارسل الاقرع بن عبد الله الحميري الى ذي زود وذي مران[٢٧] . كما كتب الى اهل نجران الى عربهم وساكني الارض من غير العرب[٢٨]. وتابع الرسول (ﷺ) هذه السياسة الى قبل وفاته حيث ارسل الحارث بن عبد الله الجهني الى اليمن في مهمة تتعلق باحداثها[٢٩].

ويظهر ان الرسول (ﷺ) راسل في هذه الفترة اشخاصا من اهل اليمن غير الذين كان قد راسلهم واتصل بهم من قبل والذين نجهل مصيرهم . وما اذا كانوا مضمونين وانه حاول كسب اطراف جديدة ؟ ام انهم لم يستطيعوا فعل شيء ازاء الاحداث لذلك فكر (ﷺ) بالاتصال باشخاص جدد . وقد يكونون حاولوا المقاومة ولكنهم فشلوا ، خاصة وان الاتصال بالاشخاص الجدد تم في اواخر ايام حياة الرسول (ﷺ) . فجرير بن عبد الله البجلي كان عند ذي الكلاع لما توفي الرسول (ﷺ)[٣٠] .

والمصادر لا تعطي صورة واضحة للدور الذي بذله هؤلاء الاشخاص الجدد وطريقة عملهم وكيفية مساهمتهم في القضاء على عبهلة . لان آخر من ارسله الرسول (ﷺ) وهو وبر بن يحنس لم يذهب الى حمير ولا الى اولئك الذين راسلهم الرسول (ﷺ) انما ذهب الى الابناء يبلغهم بطلب الرسول (ﷺ) بضرورة الثبات على دينهم والنهوض في الحرب والعمل في الاسود اما غيلة واما مصادمة[٣١]. علما بانهم كانوا من حاشية عبهلة ولم ترد اشارة الى اسلامهم قبل هذا التاريخ حتى ان الروايات تذكر ان وبر نزل عند داذويه وان اول من اسلم كانت زوجته بنت النعمان بن بزرج[٣٢]. بالاضافة الى انهم غير مؤهلين لان يلعبوا دورا جديدا ضد عبهلة فقد فقدوا قوتهم عندما فشلوا في الدفاع عن صنعاء والحيلولة دون احتلاله لها . ويحدد ابن سعد ارسال وبر في سنة ١٠هـ[٣٣] اما الطبري فيذكر انه ارسل سنة ١١هـ[٣٤] .

استطاع وبران يجلب اليه عددا من رؤساء الابناء امثال فيروز وداذويه وجشيش وآخرين ودبر اغتيال عبهلة مستعينا بامرأة فارسية عند عبهلة قيل انها جارية وقيل انها زوجة شهر بن باذان[٣٥] .

اختار وبر ظروفا جيدة للعمل فقد كان عبهلة ارسل قواته في مهام بين صنعاء ونجران . وفي منطقة لحج قسم بقيادة عمر بن معد يكرب وقسم بقيادة معاوية بن قيس[٣٦] . كما ان علاقة عبهلة بقيس كانت متوترة[٣٧] . ومع ان قيسا ادرك خطورة تحركات الابناء على ما يبدو وانه اتصل بالقوة التي بلحج طالبا منها العودة الا ان اجراءه كان متأخرا لان اغتيال عبهلة كان قد تم فلما وصلت القوة التي بلحج استخدمها قيس في احتلال صنعاء مجددا والتنكيل بالابناء فقتل داذويه وهرب فيروز وجشيش الى جبل خولان[٣٨] .

اما الهمداني فيذكر ان الذي عمل في قتل عبهلة هو فروة بن مسيك المرادي مستعينا بقيس بن عبد يغوث[٣٩] . وهذه الرواية رغم ما فيها من ضعف بسبب الاشارة الى دور قيس الا انها تضعنا امام تناقض ليس من السهل تفسيره . ومما يزيد في صعوبته هو الاقتضاب والغموض الواضحان في الرواية . الا انها بالتأكيد تضعنا امام اتجاه جديد يعتبر ان القضاء على عبهلة تم على يد مسلمين سابقين صمدوا على عكس الاتجاه السابق الذي جعل قتل عبهلة مهمة اضطلع بها الابناء . والراجح ان فروة لا بد وان يكون قد لعب دورا بارزا الا انه اهمل في روايات المؤرخين لان فروة جمع حوله المسلمين من اهل اليمن وانسحب بهم الى الاحسية عندما سيطر عبهلة على اليمن . وقد التقى به المهاجربن ابي امية قرب نجران عندما سيره الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) على رأس جيش الى اليمن[٤٠] .

لقد تحول صراع القبائل المتحالفة على الفرس وهمدان الى صراع بينها وبين سياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ التي كان يديرها مبعوثوه وعلى رأسهم معاذ بن جبل في فترة قيادة الاسود العنسي لتلك القبائل . غير ان الظروف التي

ظهر فيها هذا التحول غامضة . ففي رواية عبيد بن صخر اشارة واضحة الى ان معاذا واجه مرتدين في الجند وانه حاربهم وتغلب عليهم وفي هذه الاثناء تلقى رسالة من الاسود يطالبه بالكف عن الجباية وترك اليمن[٤١] .

ان دوافع المعارضة غير واضحة ولو انه بالامكان القول بان سياسة الرسول[٤٢] لم تكن لتنسجم مع كثير من الاوضاع السائدة في اليمن والتي ترتبط بها مصالح اناس متعددين . غير ان تحديد أي الجوانب من تلك السياسة كان سبب المعارضة امر غير ممكن لان رسالة عبهلة تثير احتمالات متعددة منها الاتجاه الاقليمي الواضح بقوله « ايها المتوردون علينا » ومنها ان الاسلام مارس جباية اقتصادية شعر اهل اليمن بعدم قدرتهم على تحملها . وهو امر غير وارد لأن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ حدد موقفه من الطبقات الفقيرة في رسالته لبني عبد كلال عندما عفاهم من الضرائب[٤٣] كما توحي بان معاذا كان يرتب اوضاع اليمن بما يخدم السلطة المركزية التي كان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ثبتها في المدينة وان هذه السياسة تتعارض والنزعة الاستقلالية التي تحكمت لفترة طويلة بأهل اليمن . والمفروض في هذه الحالة ان لا يتحرك اولئك المعدمون الذين من عوامل غلبهم تسلط النفوذ الاقطاعي . انما المفروض ان يتحرك الأذواء الذين تهدد السياسة الجديدة مصالحهم .

الراجح ان سياسة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ واجهت كلا الاحتمالين . احتمال تحرك بعض الاذواء ضدها وان معاذاً استطاع بجهوده وجهود مسلمي اليمن وبعض المؤيدين له من الاذواء ان يصفي ذلك التحرك فبرزت المعارضة الاخرى التي شعرت بان نجاح معاذ في اخضاع المعارضين من الاذواء يعني بالضرورة انه سوف يلحق اليمن لوحدة الجزيرة .

ان فهم طبيعة القوى التي ايدت عبهلة يساعد على فهم اسباب المعارضة التي واجهها الرسول في اليمن . فهذه القوى اغلبها من قبيلة مذحج مثل عنس ومراد وزبيد والحارث بن كعب . وهذه القوى يربطها الولاء القبلي .

يضاف لها قوى اخرى مثل اود ومسلية وحكم وجنب وبعض الازد[٤٤] . وهي معظمها قبائل حليفة لقوة مذحج منذ ايام الصراع مع الفرس وهمدان . وهي جميعا قبائل بدوية تسكن مناطق ضعيفة في امكانياتها الاقتصادية .

ظلت اليمن بعد مقتل عبهلة مضطربة ولم تستقر فيها الامور للمسلمين . فبعد ايام من مقتل عبهلة سيطر قيس بن عبد يغوث قائد عبهلة على مدينة صنعاء . ولما انتشر خبر وفاة الرسول ﴿ﷺ﴾ ثارت عك والاشعرون وحكم وثارت بطون كندة في حضرموت وفي مقدمتها بنو عمرو بن معاوية ومعهم بعض السكاسك والسكون ، كما ثار الاشعث بن قيس الكندي وثارت خثعم[٤٥] . وهمت همدان بالثورة[٤٦] .

اما في صنعاء فان قيس بن عبد يغوث وجه جهوده لتصفية الابناء وهو لهذا خاطب ذا الكلاع واصحابه بقوله : « ان الابناء نزاع في بلادكم ، ونقلاء فيكم . وان تتركوهم لن يزالوا عليكم . وقد ارى من الرأي ان اقتل رؤوسهم ، واخرجهم من بلادنا . » .

وغير واضح لماذا توجه قيس بطلبه الى حمير بالذات غير انه من الممكن القول انه ادرك قيمة حمير في احداث اليمن بالاضافة الى احتمال ان تكون العلاقة بين حمير والابناء غير جيدة وانه رأى في مفاتحة حمير بامر تصفية الابناء قد يكسب قوة الى جانبه . غير ان ذا الكلاع لم يستجب له واكتفى بالرد عليه بقوله : « لسنا مما هنا في شيء ، انت صاحبهم وهم اصحابك . »[٤٧] . فلما رأى قيس ان حمير غير مساهمة قام باقصاء اسر الابناء من اليمن وقسمهم الى قسمين ، سير احدهما الى عدن ليحملوا من هناك الى بلاد فارس بالبحر ، وسير القسم الاخر برا قائلا لهم : « الحقوا بارضكم » يعني بلاد فارس .

والظاهر انه حاز رضا اهل اليمن فقد طابقه عوام قبائل الاقيال والاذواء الذين راسلهم الرسول ﴿ﷺ﴾ ، ومن بعده ابو بكر وهم عمير ذو مران ، وسعيد بن العاقب ذو زود ، وسميفع بن ناكور ذو الكلاع وحوشب ذو

ظليم ، وشهر ذو يناف[٤٨] .

سير الخليفة ابو بكر (رضي الله عليه) جيشا بقيادة المهاجر بن ابي امية . وفي الطريق التحق به بعض المسلمين . فالتقى بفروة بن مسيك المرادي بنجران وسار الى صنعاء مقسما جيشه قسمين ، سير قسما على طريق الاعلاب عبر تهامة اما القسم الثاني فسار الى صنعاء[٤٩] . واستطاع جيش الاعلاب بقيادة الطاهر بن ابي هالة ان يسيطر على تهامة بعد معركة بالغ الرواة في تقدير خسائر المعارضين بها[٥٠] .

اما جيش المهاجر فقد اتجه الى صنعاء واشتبك بجيش قيس بن عبد يغوث في موضع يدعى « عجيب » وانتصر عليه فاستسلم قيس واستسلم عمرو بن معدي يكرب ودخل المهاجر صنعاء[٥١] . اما الطبري فذكر في رواية اخرى ان فيروز استطاع الاستيلاء على صنعاء بقوته التي جمعها في جبل خولان قبل وصول جيش المهاجر[٥٢] . غير ان هذه الرواية ضعيفة ففيروز فر الى جبل خولان وليست معه قوة .

اما في حضر موت ، فان الاشعث بن قيس انضم الى من ثار من كندة والظاهر ان قوة المسلمين في حضرموت بقيادة زياد بن لبيد البياضي لم تكن كافية للسيطرة على الاوضاع هناك لذلك فقد منيت هذه القوة بهزائم متعددة[٥٣] ولكن بعد سيطرة المهاجر على صنعاء توجه لانجاد زياد في نفس الوقت الذي كان عكرمة بن ابي جهل قد وصل إلى اليمن بجيش من جهة عمان ومهرة فاجتازا مفازة صيهد باتجاه حضرموت فلما وصلا انقلبت الاوضاع لصالح المسلمين وانحاز المعارضون من كندة الى حصن النجير حيث استسلم الاشعث بن قيس وانتهت احداث حضرموت[٥٤] .

هوامش الفصل الثاني

١) راجع الباب الاول ، الفصل الثالث .

٢) النهاية في غريب الحديث : ١/ ٣٢١ . الوثائق السياسية : ١٣٣ . نهاية الارب : ٦/ ٣٧١ ، ٣٧٣ .

٣) تأريخ الطبري : ٢/ ٢٣٠ . تأريخ الاسلام : ١/ ٣٤٢ . تأريخ الخميس : ٢/ ١٧٤ .

٤) نهاية الارب في معرفة انساب العرب : ٧٩ .

٥) The Southern gates of Arabia P.P. 209

٦) الاكمال : ٤/ ٨٥ .

٧) فتوح مصر : ١٢٦ . تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ . تأريخ الاسلام : ١/ ٣٤٢ .

٨) المصدر السابق .

٩) انظر الباب الاول . الفصل الثالث . وانظر ايضا تأريخ الخميس : ٢/ ١٧٤ .

١٠) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣٠ . تأريخ الاسلام : ١/ ٣٤٢ .

١١) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ رواية يسند عن عبيد بن صخر وكان مع معاذ بالجند . تأريخ الاسلام : ١/ ٣٤٢ .

١٢) الاصابة : ٢/ ١٩٧ رواية عن النعمان بن بزرج . وقد طبع قسم من الكتاب نشره الاستاذ اكرم العمري الا انني لم اطلع عليه لحين طبع رسالتي .

١٣) المصدر السابق : ١/ ٣٣٨ .

١٤) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ . معجم البلدان : ٣/ ٣٠٠ .

١٥) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣٠ .

١٦) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣٠ عبيد الله بن سعد ـ عمه ـ سيف رواية عبيد بن صخر بن لوذان الانصاري صحابي كان فيمن بعثه الرسول ﴿ﷺ﴾ مع معاذ بن جبل وذكر ابن حجر انه لم يثبت صحة اسناد حديثه . الاصابة : ٢/ ٤٣٧ .

١٧) معجم البلدان : ٤/ ٤٤٩ .

١٨) المصدر السابق : ٢/ ٧٦٢ .

١٩) المصدر السابق : ٤/ ٥٥٩ .

٢٠) المصدر السابق : ٤ / ٦٧٠ .

٢١) المصدر السابق : ٢/ ٢٣٩ ، ٣/ ٢٧٥ .

٢٢) المصدر السابق : ٢/ ٣٩٧ .

٢٣) معجم ما استعجم : ٦٥٠ .

٢٥) الاكليل : ١٠/ ١١١ ، ٣٢٠ .

٢٦) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٢٩ . تأريخ الخميس : ٢/ ١٧١ ، ٢٢٥ .

٢٧) تأريخ الطبري : ٣/ ١٨٧ جرير عبد الله البجلي اسلم سنة عشر هجرية . انظر ص ١٨٥ .

٢٨) المصدر السابق ٢٣٢ . تاريخ الخميس ١٧٣/٢٠

٢٩) الاصابة : ١/ ٥٨٠ .

٣٠) طبقات بن سعد : ١/ ٢/ ٢٠ .

٣١) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣١ .

وقد اختلفت الروايات في تثبيت هوية وبر فعده الواقدي من سبأ واعتبره ابن سعـ من الابناء قدم على الرسول ﴿ﷺ﴾ واسلم ، وفي بغية المستفيد عد من خزاعة . انظر طبقات بن سعد : ٥/ ٣٨٨ .

الاصابة : ٦/ ٥٩٩ . بغية المستفيد : ورقة ٦ .

٣٢) تأريخ صنعاء : ٣١ ـ ب .

٣٣) طبقات ابن سعد : ٥/ ٣٨٨ . وذكرها الطبري نقلا عن الواقدي ٣/ ١٥٨ .

٣٤) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣١ عن الضحاك بن فيروز وعن جشيش الديلمي .

٣٥) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣١ . غاية الاماني : ٧٢ .

٣٦) المصدر السابق : ٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩ . ٣٢٤ .

٣٧) المصدر السابق : ٣/ ٢٣١ .

٣٨) المصدر السابق : ٣/ ٣٢٤ .

٣٩) الاكليل : ٨/ ٢١ .

٤٠)

٤١) الباب الثاني : الفصل الاول .

٤٢) انظر المقدمة .

٤٣) انظر الباب الثاني : الفصل الاول .

٤٤) تأريخ الطبري : ٣/ ٢٣٠ . تأريخ الاسلام : ٣٤٢/١ . تأريخ الخميس : ٢/ ١٧٤ .

٤٥) تأريخ الطبري : ٣/ ٣٢٠ . ٣٣٠ ـ ٣٣٢

٤٦) الاصابة : ١/ ١٢٥ . وردت الاشارة الى ذلك في شعر لعبد الله بن مالك الارحبي

لعمري لئن مات النبي محمد ... لما مات يابن القيل رب محمد

٤٧) تأريخ الطبري : ٣٢٣/٣ .

٤٨) تأريخ الطبري : ٣/ ٣٢٣ . ٣٢٤ .

٤٩) المصدر السابق : ٣٢٦/٣ .

٥٠) المصدر السابق : ٣٢٣/٣ .

٥١) المصدر السابق : ٣٢٩/٣ .

٥٢) المصدر السابق : ٣٢٥/٣ .

٥٣) المصدر السابق : ٣/ ٣٣٧ . كتاب الفتوح : ١/ ٠٦٦ .

٥٤) تأريخ الطبري : ٣/ ٣٣٧ ، كتاب الفتوح : ١/ ٧٢ .

الفصل الثالث

دور اهــل اليمــن في حروب التحرير

ادى القضاء على الردة والحركات المحلية المعارضة الاخرى ، الى ان يسود الاسلام في اليمن ، التي اصبحت جزءا من الدولة العربية الاسلامية الجديدة . وقد وحدت هذه الدولة العرب سياسيا ، وثبتت سلطة الخليفة في الجزيرة العربية ، باعتبارها السلطة العليا .

لقد ادرك الخليفة ابو بكر مزية هذه الوحدة بقوله : « فالعرب بنو ام واب وقد اردت ان استنفرهم »[١] فأخذ في استنفار العرب للجهاد وتحرير الاراضي العربية الخاضعة للنفوذين الساساني والبيزنطي ، ويبدو انه اهتم بالتوجه نحو بلاد الشام ، متابعا بذلك سياسة النبي ﴿ ﷺ ﴾ التي تمثلت في السرايا والغزوات التي انفذها حالما تأكد من زوال خطر تهديد قريش . دعا الخليفة كبار الصحابة الى الاجتماع ، واطلعهم على هذا الاتجاه بقوله : « ... واعلموا ان رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ كان عوّل ان يصرف همّته الى الشام فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه ، الا واني عازم ان اوجه ابطال المسلمين الى الشام بأهلهم وماهم فرسول الله ﴿ ﷺ ﴾ انبأني بذلك قبل موته . »[٢]

ارسل الخليفة قوة بقيادة خالد بن سعيد بن العاص وامره بالاقامة بتيماء متربصا يدعو من حوله الناس بانتظار امر الخليفة [٣] . ثم انتدب ابو بكر الناس الى الجهاد . ويرى البلاذري ان الخليفة انتدب اهل المدينة اولا : الا انه لم يرض كثرتهم للروم فاستقر رأيه على الكتابة لاهل اليمن وغيرهم[٤] . بينما يرى الازدي ان الخليفة كتب الى اهل اليمن والحجاز ونجد بعد اجتماعه بالصحابة واطلاعه اياهم على سياسته بالتوجه نحو الشام[٥] .

ويبدو ان الخليفة لاحظ جيدا ـ بعد الجهد الذي بذله اهل المدينة في القضاء على الردة وحركات المعارضة ـ انهم ارهقوا وانهم قدموا من الضحايا

الشيء الكثير وبخاصة بعد معركة عقيرباء في اليمامة . وانه من الضروري الحفاظ عليهم ، لانهم المجتمع الحقيقي للدولة الجديدة وصحابة الرسول « ﷺ » وحفّاظ القرآن . وان الامر يستوجب اشراك العرب الاخرين في الجهد الجديد ، الا انه كان يدرك ايضا ان اهل مكة تجار ، وان اقدامهم على القتال بطيء كما ان بقية الجزيرة في الشمال والشرق كانت مرتدة . لهذا تراه يخص اهل اليمن من (المؤمنين والمسلمين) اي انه لم ينتدب مرتدا من اليمن . وارسل لهم بكتاب مع انس بن مالك يدعوهم الى الجهاد [٦] . استجاب اهل اليمن لطلب الخليفة ، وخرجوا الى المدينة ، وقد صورت الروايات خروجهم في شبه كتائب ، يتلو بعضها بعضا ، وان اهل المدينة اظهروا زينتهم وخرجوا لاستقبال كتائب اهل اليمن فأشرفت تلك الكتائب قوم في اثر قوم وقبيلة في اثر قبيلة ، فكانت اول قبيلة ظهرت من قبائل حمير يتقدمها ذو الكلاع الحميري . واقبلت بعدها كتائب مذحج وامامهم قيس بن هبيرة ثم اقبلت الازد . [٧]

ان هذه الصورة لا تتفق والاشارات الواردة للقبائل في معارك التحرير . كما انها لا تتفق والروايات التي تحدثت عن ارسال الامدادات الى جبهات القتال ، ومما يزيد في غموض الصورة عدم توفر معلومات تفصيلية عن كيفية تشكيل الجيوش التي سيرها الخليفة ابو بكر الى الشام . لهذا من الصعب تحديد ما اذا كانت قبيلة من القبائل قد خرجت مع هذا القائد او ذاك مثلا ، غير ان بعض الاشارات الى القبائل التي ترد اثناء الحديث عن سير المعارك ، قد تفيد في تحديد زمن خروج القبائل ولو بشكل تقريبي .

من الواضح ان حمير كانت من اولى القبائل التي خرجت ملبية طلب الخليفة ابي بكر ومعها نساؤها واطفالها ، فقد اتجه انس بن مالك اولا الى ذي الكلاع الذي بادر الى استنفار قبيلته ، ولعل توجه انس الى ذي الكلاع يعود الى دوره في الدفاع عن الاسلام ضد حركة عبهلة (الاسود العنسي) ، اضافة الى مكانة حمير بوصفها قبيلة كانت في السلطة الى وقت قريب ، اذ رغم ان الدولة الحميرية سقطت اثر غزو الاحباش لليمن ، الا ان نظمها وتقاليدها

وكثيرا من مظاهر قوتها كانت قائمة وقد عرف الحميريون بتقاليدهم في الحرب وصناعة السلاح [٨] ، ثم ان كتلة ذي الكلاع ارتبطت بالنقوش القديمة بالحروب [٩] . وقد سبقت الاشارة الى ان تنوع التركيب القبلي لهذه الكتلة ، يوحي وكأنها جيش او بقايا جيش مشكل من قبائل متعددة يدين بالولاء لذي الكلاع الحميري . كما ان ذا الكلاع نفسه كان يتمتع بمكانة مهمة ونفوذ كبير ، فقد ذكر انه يمتلك عددا كبيرا من العبيد اختلفت الروايات في تقديره ، فقيل : اربعة الاف ، وقيل : اثنا عشر ألفاً ، كانوا معه عند خروجه من اليمن [١٠] . وليس واضحا ما اذا كان هؤلاء العبيد هم بطون القبائل الاخرى المنضوية تحت زعامته ام اناسا آخرين ؟ وفي كلا الحالتين يمكن القول انهم جيش ، وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ماورد في رسالة الرسول « ﷺ » الى ملوك حمير ، من اشارة الى العبيد في الجيش [١١] ، اضافة الى ان الروايات ذكرت ان الخليفة قد فاوض ذا الكلاع على تحرير هؤلاء العبيد لاستخدامهم في الحروب مقابل ثمن يدفع له في الشام واليمن والمدينة [١٢].

شاركت حمير في حروب التحرير في وقت مبكر من خروجها ، وترد الاشارة الى ذي الكلاع في اول معركة مع البيزنطيين سنة ١٣هـ بين « ابل وزيزاء » بقيادة خالد بن سعيد [١٣]. ومن المحتمل ان جيش حمير كان من الخيالة ، اضافة الى مشاة يرمون النبل [١٤]. ولكننا في رواية للطبري نجد ذا الكلاع في جيش يزيد بن ابي سفيان [١٥] . والظاهر ان هذا الانتقال حدث بعد فشل قائد الجيش خالد بن سعيد واستبداله من قبل الخليفة بيزيد بن ابي سفيان . وقد خرجت قبائل اخرى بعد حمير الى جبهة الشام ، ويذكر الازدي وصول خثعم في حوالي الالف مقاتل وعليها ابن ذي السهم الخثعمي وانهم التحقوا بيزيد بن ابي سفيان [١٦] كما اجتمع الى الخليفة من همدان ومراد والازد مع قبائل اخرى ، بلغ ثلاثة الاف وقيل الفاً فسيرهم الخليفة مع هاشم بن عتبة والتحقوا بابي عبيدة [١٧] ثم اعقبهم حمره بن مالك الهمداني ومعه اربعمائة من عبيده وقيل اعقبهم في اكثر من الفي مقاتل ملتحقا بابي عبيدة [١٨]، ويرى الازدي ان هذه

الامدادات كانت فيما بين خروج الامراء الثلاثة وخروج عمرو بن العاص والذي اعتبره من الامداد التي ارسلها الخليفة عندما وصلت اليه انباء من ابي عبيدة عن حشود الروم[١٩].

وفي رواية الواقدي ان اوسع خروج للامدادات كان بعد معركة اجنادين ووصول انباء الانتصار الكبير للجيش العربي الاسلامي حيث تسابق الناس بالخروج الى الشام[٢٠]. فخرج اهل مكة ثم جاءت جموع اليمن من مذحج والنخع ويوردالواقدي اسم عمرو بن معدى كرب الزبيدي مع مذحج . واصبح عدد الجمع تسعة الآف مقاتل معهم اهل مكة[٢١]. ثم اجتمع ستة الآف من اليمن من صدوان وارض سبأ وحضرموت فسيرهم نحو الشام فوصلوا اليرموك في آخر معاركها[٢٢]. ويبدو على هذه الروايات طابع المبالغة في ذكر الارقام والراجح ان هذه الامدادات كانت اقل بكثير مما ذكره الرواة وتبدو رواية الازدي عن الامداد الاخير والتي حددته بالف او الفين اكثر دقة[٢٣].

يبدو ان تأثير الانتصار الذي حققه المسلمون في اجنادين اقتصر على اهل مكة الذين تخلفوا عن الخروج الى الجبهة اما اليمن فالراجح ان اهلها كانوا قد خرجوا في بداية المعارك . وفي معركتي اليرموك ودمشق وردت اوسع الاشارات عنهم . فالازدي يذكرهم في معركة اليرموك بقوله : « وفيها الازد وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهم عظم الناس ، وفيها همدان وخولان ومذحج وخثعم ... وكندة وحضرموت ، ومعهم جماعة من كنانة ولكن عظم الناس اهل اليمن[٢٤] » وهي اشارة الى سعة مشاركة هذه القبائل في الجيش ، الا ان زمن هذه المشاركة غير محدد بدقة ، وحجم هذه القبائل غير معروف . كما ان الروايات عن خروج الجيوش او الامدادات التي لحقتها لم تكن دقيقة ولا واضحة . غير انه من المعتقد ان كتلا كبيرة من هذه القبائل خرجت مجتمعة الى القتال ، غير اننا يجب ان نتوقع ان افرادا اخرين سارعوا الى المشاركة ، وان خروجهم كان مستمرا وانهم كانوا يجتمعون في المدينة فيسيرهم الخليفة على شكل امدادات . وتدريجيا اصبح اهل اليمن عنصرا اساسيا في جيش الخلافة في الشام ، غير ان معلومات الرواة

عن حروب التحرير لا تمثل واقع مشاركة اهل اليمن تمثيلا دقيقا ، لأن الروايات التي تحدثت عن خطط الشام او خطط الفسطاط اشارت الى قبائل شاركت في حروب التحرير باحجام كبيرة ، وقدمت واقعا اوسع مما قدمته الروايات عن تشكيلات الجيوش . فذكرت كتلا قبلية اخرى اذ انها لم تذكر زمن خروجها او دورها في حروب التحرير مثل الاوزاع من حمير في الشام وهي كتلة قبلية شبيهة بذي الكلاع فهي ايضا بطون من قبائل متعددة تجمعت حول الاوزاع بين جبله[٢٥] فكأنها ايضا كتلة شكلت سابقا لاغراض عسكرية . كذلك رعين والمعافر وهما ايضا كتلتان من بطون قبلية متعددة فيها من همدان والاشعرين والسكاسك وهذه الكتلة كانت تقيم في المعافر من منطقة حمير ويبدو التنوع القبلي واضحا في توزيع قرى منطقتها .[٢٦] وكذلك آل ابرهة بن الصياح من ذي أصبح والذين خرجوا في عهد الخليفة عمر بقيادة ابرهة بن شرحبيل بن ابرهة ويقال انه كان اذا سار سار خلفه خمسمائة وقيل خمسة الاف رجل من حمير تحت ركابه .[٢٧] ومن القبائل التي تتناقض عنها روايات الخطط مع روايات مؤرخي حروب التحرير قبيلة خولان وقبيلة تجيب من كندة وهي قبائل نزلت الفسطاط وكانت لها خطط كبيرة دلالة على حجمها الكبير في الجيش . ان معلومات مؤرخي الخطط قيمة واساسية في تقدير دور اهل اليمن في تحرير مصر حيث شكلوا غالبية كبيرة في الجيش ولا بد انهم شاركوا في حروب الشام اولا لان جيش عمرو بن العاص الذي انتقل الى مصر هو جيشه الذي كان معه في الشام بالاضافة الى الامداد التي وصلت اليه من الخليفة والتي اعتمدت فيما يبدو على اهل اليمن .

موضع اهل اليمن في التنظيمات العسكرية :

لا يفهم من الروايات ان الخليفة استخدم اهل اليمن في مراكز قيادية او في مهام اساسية في جبهة الشام باستثناء المهمة التي اوكلها ابو عبيدة الى ذي الكلاع للاقامة بجيشه بين دمشق وحمص[٢٨] . اما في اليرموك فترد الاشارة الى عامر بن الطفيل الدوسي على قسم من الخيل وقيس بن هبيرة على قسم آخر تحت قيادة خالد[٢٩] . ومع ان اهل اليمن كانوا يكونون الميمنة والقلب الا ان

رؤساءهم يذكرون باعتبارهم قادة لقبائلهم وليس قادة عسكريين . والراجح ان هذا بسبب سياسة الخليفة في ان لا يولي احدا في القيادة ممن ليس له سبق في الاسلام . اما في مصر فقد تسلم العديد منهم قيادة قوات ومارسوا اعمالا في ادارة جيش التحرير فأبرهة بن شرحبيل بن ابرهة قاد عملية تحرير الفرما عندما سيطر عمرو بن العاص على مصر[٣٠] .

اهل اليمن في جبهة العراق

انتصر المسلمون في معركة اليرموك انتصارا حاسما ، ودمر جيش الروم ، وخلت بلاد الشام من المدافعين عنها ، لأن جيش الروم بدأ انسحابه وتحولت المعارك الى مطاردة ، ولم تعد جيوش التحرير في الشام بحاجة الى الامدادات الكبيرة ، الا ان وصول كتل جديدة من اهل اليمن الى المدينة ظل مستمرا ، لهذا بدأ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتنظيم شؤون جبهة العراق . والواقع ان الخليفة اظهر اهتماما بجبهة العراق منذ توليه الخلافة ، ولم تثبطه هزيمة المسلمين في معركة الجسر ، فثابر على امدادها بالرجال ، لأن القوات الاسلامية كانت قليلة ولا تستطيع القيام بعمل حاسم ضد الجيش الساساني الذي كانت عاصمته قريبة من الصحراء ، وتستطيع دفع الجيوش الى الجبهة وتمنع توغل العرب في ريف العراق . وقد ادرك الخليفة عجز الحجاز عن امداد العراق ، وظهر له هذا العجز في تشكيل جيش ابي عبيد الثقفي ، حيث تأخرت استجابة الناس للقتال ، ويعلل الطبري تأخرهم بقوله : « وكان وجه فارس من اكره الوجوه اليهم واثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم[٣١] »

لقد بدأ الخليفة اهتمامه بجبهة العراق عندما اظهر اهتماما باعادة تشكيل قبيلة بجيلة ودفعها الى جبهة العراق . وقد لاحظنا في دراستنا للوفود ان بجيلة كانت متفرقة في قبائل العرب ، وانها برزت في الاخبار بعد اسلام جرير بن عبد الله البجلي[٣٢] ، الذي كلفه الرسول ﴿ ﷺ ﴾ بمهمة عسكرية حول مدينة جرش كما ارسله الى ذي الكلاع في اواخر ايامه . وفي عهد الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) طلب جرير اعادة تجمع قبيلته ، الا ان الخليفة لم ير للموضوع

اهمية وسط مشاغل الخلافة[٣٣] . وتفيد الرواية بان هذا الطلب اثر على منزلة جرير لدى الخليفة . فلما ولي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة اعاد جرير طلبه فوافق الخليفة ، وامر باخراج من كان من بجيلة في القبائل الاخرى . فأخرج قيس كبة وسحمه وعرينه وهم رهط جرير من قبائل عامر من صعصعة[٣٤] . فلما اكتملت سيرها الى العراق ومعها نساؤها واطفالها تحت قيادة جرير في اواخر سنة ١٣ هـ فيما بين معركتي البويب والقادسية . وتذكر الروايات ان عدد النساء في بجيلة كانوا الفا .

ان المصادر التاريخية المتوفرة لا توضح سبب وجود بطون بجيلة في قبائل اخرى ، الا ان خروجها وتوجهها الى القتال يوحي وكأنها كانت تقوم بوظائف عسكرية وهو ما يفسر اهتمام الخليفة بتجميعها في وقت حاجته الى الرجال في العراق .

كما اختلفت الروايات في تقدير حجم بجيلة ، الا ان الراجح انه كبير ، ففي رواية اسماعيل بن ابي خالد مولى بجيلة عن قيس بن ابي حازم البجلي ان عدد من شهد القادسية كان بين ستة الآف او سبعة الآف ، وان بجيلة ربع الناس[٣٥] . وفي رواية اخرى انه كان مع سعد في القادسية من بجيلة الفان من المقاتلة بقيادة جرير[٣٦] ، بينما يذكر الكوفي مسير جرير الى العراق بعد معركة الجسر في سبعمائة رجل[٣٧] . ويذكر الاهدل ان بجيلة وكندة كانوا خمسة الآف في القادسية[٣٨] .

كما سير الازد وعامتهم من بارق في سبعمائة مع كنانة[٣٩] ، وسير بعض خثعم الى المثنى[٤٠] . فلما انتدب الخليفة عمر بن الخطاب سعد بن ابي وقاص كتب الى عماله : « لا تدعا احدا له سلاح أو فرس او نجدة او راي الا انتخبتموه ثم وجهتموه إليّ والعجل العجل[٤١] » . فوصلت الى المدينة امداد من النخع في اواخر ايام الحرب في جبهة الشام وكان عددهم اربعة الآف مع نسائهم وذراريهم ، سير نصفهم الى الشام ونصفهم الآخر الى العراق[٤٢] . سار سعد الى العراق في

اربعة الآف وكان معه ثلاثة الآف من اليمن والسراة وعلى اهل السراة حميصة البارقي في سبعمائة من بارق والمع وغامد وسائر اخوتهم والفان وثلاثمائة من اهل اليمن منهم النخع (المذكورين اعلاه) وكان فيهم حضرموت والصدف في ستمائة عليهم شداد بن ضمعج وكان فيهم الف وثلاثمائة من مذحج على ثلاثة رؤساء عمرو بن معد يكرب على بني منبه وابو سبرة بن ذؤيب على جعفى ومن في حلفها من اخوة جزء وزبيد وانس الله ومن لفهم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلثمائة[٤٣]. اي ان النخع لم يكونوا الفي مقاتل انما كانوا يتجاوزون الالف بقليل باعتبار ان جميع اهل اليمن مع سعد كانوا ثلاثة الاف منهم الف وتسعمائة من حضرموت ومذحج . ولو ان ابن الكلبي يرى ان النخع في القادسية كانوا الفي مقاتل[٤٤] ، ثم جاءت السكون في اربعمائة[٤٥] وجاءت كندة في الف وسبعمائة مع الاشعث بن قيس[٤٦] ثم همدان في الفي مقاتل مع سعيد بن قيس الذي كان مقيما في المدينة بسبب الخلاف بينه وبين آل ذي لعوة في اليمن فأمره الخليفة ان يستنفر قبيلته الى العراق[٤٧]. والراجح ان همدان وصلت في آخر المعركة وبعد انتصار المسلمين كما قدم اربعمائة من مراد من الشام مع هاشم بن عتبة[٤٨].

لقد حاول بعض المؤرخين تقدير حجم الجيش العربي في القادسية وفي رواية للبلاذري انه كان ما بين تسعة الآف الى عشرة الآف[٤٩]. بينما في رواية قيس بن أبي حازم البجلي الذي شهد القادسية ان الجيش كان ستة آلاف او سبعة آلاف[٥٠]. وفي رواية الطبري انه بضعة وثلاثون الفا[٥١]. ولا بد ان اهل اليمن شكلوا ثقلاً كبيراً في هذا الجيش استنادا الى الروايات التي تحدثت عن عدد القبائل اليمانية ، ومع تحفظنا على الأرقام التي ذكرت ، الا انها في الواقع تعبير عن حجم مشاركة اهل اليمن .

وضع اهل اليمن في التنظيمات العسكرية في العراق :

استخدم سعد بن ابي وقاص شرحبيل بن السمط الكندي على

الميسرة[٥٢] وعمرو بن معدى كرب على الميمنة وعبد الله بن ذي السهمين الخثعمي على الركبان وتشير الروايات الى استخدام جرير بن عبد الله في معارك اخرى[٥٣]. اي ان سياسة الخلافة تغيرت وابتدأ بعض الذين اسلموا اخيرا او كان لهم دور في معارضة الاسلام في احداث الردة ، ابتدأوا يستلمون مراكز قيادية .

ان هذا العرض لمساهمات اهل اليمن في حروب التحرير ، والكيفية التي شاركوا بها في تلك الحروب تكشف لنا عن الدور الذي لعبه اليمانيون في الحرب في ذلك الوقت المبكر ، حيث لم يتضح بعد مستقبل الحرب وهو دور شامل وواسع وغير محدد بجبهة واحدة ، على عكس ما اورده المؤرخون من ان دورهم اقتصر على بلاد الشام ولم يرغبوا في العراق الذي رغبت فيه قبائل ربيعة ومضر[٥٤] ، في حين اننا رأينا كيف ان الناس تحاشوا جبهة العراق عندما انتدبهم الخليفة عمر (رضي الله عنه) مع ابي عبيدة الى ان تقدمت بجيلة فتقدموا ، وحتى سعد بن ابي وقاص عندما سار الى العراق سار ومعه ثلاثة آلاف من اهل اليمن[٥٥]، ومن ثم لحقت به القبائل الاخرى .

فالمسألة كما يبدو ليست مسألة رغبات ، اذ مما لاشك فيه ان الجبهة التي كانت تتمتع بالاولوية هي جبهة الشام بالنظر لقيمتها الستراتيجية بالنسبة للحجاز ، ولضرورة انتشار الدين الجديد فيها ، ولأنها اكتسبت هذه القيمة منذ زمن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لهذا عندما انتدب الخليفة قبائل العرب سارع اهل اليمن الى تلبية ندائه ، فوجههم الى الشام ، ووجه كل الامدادات الاولى ، ولعل تحويل خالد بن الوليد من العراق الى الشام يعبر عن هذه الاهمية فمشاركة اهل اليمن في جبهة الشام منذ زمن ابي بكر ترجع الى خطط الخلافة في اعطاء الاولوية لجبهة الشام ، وليس لتخوفهم من العراق ، فلما تم تحرير الشام وتأمين جبهته بمعركة اليرموك ، اصبح الوضع الستراتيجي للجيش في الشام امنا حتى ان الخليفة لم يعد يمده بامدادات جديدة بل حول هذه الامدادات الى العراق الذي بدأت اهميته تزداد في سياسة المدينة . فوجه الخليفة قبيلة بجيلة في وقت مبكر ، واضعا

بذلك نواة جيش التحرير ، ثم تابع الامدادات وكان حجم اهل اليمن فيها كبيرا وفي مقدمتهم قبيلة مذحج ثم النخع وكندة وهمدان .

ويلاحظ في جبهة العراق ان دور اهل اليمن واضح كدورهم في بقية الجبهات الاخرى ، اما قبائل مضر وربيعة فقد اقتصر دورها على العراق فقط . ويعلل المؤرخون ذلك بان دارهم عراقية وانهم كانوا ينزعون الى العراق[٥٦] ، علما بان تأخر خروجهم يعني تأخراً عن الاسهام في حروب التحرير حتى سنة ١٤ هـ في حين ان جبهتي العراق والشام هي اكثر تماساً بهم بسبب الاحتكاك الجغرافي . قد يكون دور ربيعة طبيعياً ومنسجما باعتبار انها شهدت ردة مسلمة بن حبيب ، ومع ذلك نرى ربيعة وبخاصة بني شيبان منهم مبكرين في مقاومة الساسانيين على عكس قبائل مضر مثل تميم او قريش او قبائل بني اسد او غطفان التي لم نر لها دوراً في جبهتي مصر والشام باستثناء اثرياء قريش الذين شاركوا في تلك الجبهتين ، هذا بالاضافةالى ان قبائل وسط وشمال الجزيرة التي شاركت في حرب العراق كانت من القبائل التي تسكن على الطريق الذي سلكته الجيوش الى العراق مثل طي وأسد .

يتبين مما سبق ما يلي :

اولا ـ ان اهل اليمن كانوا مبكرين جدا في خروجهم الى جبهات القتال ، رغم التفاوت الزمني لخروجهم .

ثانيا ـ ان اهل اليمن انفردوا بمشاركتهم في حروب التحرير بكتل كبيرة لها وزنها بحيث اصبحت اساس الجيش العربي الاسلامي مثل كتلة ذي الكلاع والازد في الشام وبجيلة في العراق ، وذي رعين والمعافر واصبح في مصر الى جانب غافق من عك وتجيب من كندة .

ثالثا ـ كانت لهذه الكتل قبل مجيئها الى جبهات القتال اوضاع تاريخية واجتماعية خاصة ومتميزة ، فهي اما كتلة من بطون متعددة لقبائل متعددة

ارتضت لها قيادة من خارجها مثل كتلة ذي الكلاع وهي كتلة كما رأينا تتكون من بطون قبلية متعددة ارتضت ان يقودها ذو الكلاع الحميري اوذو رعين الذي كان يقود المعافر وهمدان ويافع .

أو انها بطون متعددة لقبيلة واحدة الا انها متوزعة في القبائل الاخرى مثل بجيلة .

رابعا ـ ان اهل اليمن خرجوا ومعهم اطفالهم ونساؤهم أي انهم كانوا مطمئنين مسبقا الى نتائج خروجهم وانهم كانوا مصممين على تحرير الاراضي المحتلة والاستقرار فيها وهذا يعبّر عن الايمان بهدف خروجهم وشدة تعلقهم بتحرير الأرض المحتلة . وكانت بعض قبائلهم تحوي اعدادا كبيرة من النساء فبجيلة كانت فيها الف امرأة والنخع اقل بقليل ولكثرة من صاهرهم من المسلمين عرفوا « بأصهار المهاجرين »[٥٧] .

ان انفراد اهل اليمن بهذه الاشارات ، يظهر مدى اهتمام الخليفة بهم ، ويرجع ذلك الى انهم كانوا بسبب عددهم وتدريبهم واندفاعهم قوة مهمة لدعم جهود الخليفة ، فاليمن كانت لها دولة الى ما قبل الاسلام بقليل ولا زالت تحتفظ بتقاليد ونظم تلك الدولة التي من ضمنها التقاليد والنظم العسكرية كصناعة السيوف والرماح والقسي والعرادات والمجانيق والدبابات . وكان العرب في الحجاز مطلعين على الخبرة العسكرية لاهل اليمن وقد استفاد منها اهل الطائف ، فأرسلوا عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة الى جرش يتدربان على استعمال العرادات والمنجنيق والدبابات في مدينة جرش استعدادا لمجابهة الرسول « ﷺ »[٥٨] .

وليس بعيدا ان يكون الرسول « ﷺ » قد ادرك قيمة هذه الخبرة فقد وجه الى منطقة جرش حملتين واحدة بقيادة جرير بن عبد الله سنة عشر هجرية[٥٩] ، والثانية بقيادة صرد بن عبد الله الازدي[٦٠] والراجح ان كلا الحملتين لم تكن مؤثرة بدليل ان المدينة اسلمت سلما ، واظهر الرسول

﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ اهتماما كبيرا بها[٦١].

ومن المحتمل جدا ان ورود اشارات الى مفاوضات بين الخليفة وبين بعض قادة اهل اليمن ناتجة عن تمتعهم بنفوذ خاص ، فذو الكلاع مثلا كان من كبار اذواء اليمن ومن المهمين ، وليس مستبعدا ان يكون عبيده جيشا قديما فهذه الكتلة انما هي من عدة قبائل ارتضت قيادة حمير ، ويقترن ذكرها باستمـرار بالحروب الى جانب ذي رعين . ولعل الخليفة ادرك قيمة هذه القوة العسكرية في الحرب ، وقد برزت هذه الاحتمالات في الدور الخطير الذي لعبه ذو الكلاع ليس في حروب الشام فحسب بل في تأريخها اللاحق ايضا .

كما ان بجيلة كانت بطونا متفرقة في العرب ، ومن المحتمل ايضا ان تكون بطونها توزعت على اساس عسكري وانها انما شكلت جيوشا تعمل لدى القبائل التي انتسبت لها ، وان الخليفة جمعها لما ادرك قيمة جمعها من الناحية العسكرية . والا اذا كانت هذه البطون توزعت في العرب ضعفا ، وان وضعها وضع الحلفاء فان نفسية ابنائها لا يمكن ان تكون بدرجة من السمـو بحيث تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا كالذي لعبته ، انما على العكس يفترض انهم كانوا جيوشا محاربة لصالح القبائل التي كانوا معها وان الخليفة ادرك ان جمعهم ينتج عنه قوة مؤثرة وقد كانت توقعات الخليفة في مكانها فقد كان دور بجيلة كبيرا جدا في جبهة العراق .

الواقع ان هذا قد يلقي ضوءاً على سبب وشكل خروج اهل اليمن المبكر الى الجهاد في وقت لم تتبلور فيه اتجاهات عمليات الجهاد بشكل واضح ، ولم يتضح مستقبلها ، خاصة انها موجهة ضد قوى ليست قليلة الشأن وان اهل اليمن قد خضعوا لنفوذ احداها (الدولة الساسانية) . علما ان عملية خروجهم كانت واسعة وكانت تشمل عوائلهم ايضا .

يظهر من هذا العرض ان سياسة الخلافة فيما يتعلق بحروب التحرير مرت بمرحلتين : الاولى اعتمدت على العرب الذين اسلموا ولم يرتدوا من أهل

المدينة ومكة والطائف واليمن ، وقد اكد الخليفة ابو بكر هذه الناحية في رسالته الى اهل اليمن حيث استنفر « المؤمنين والمسلمين »[٦٢] واستثنى المرتـدين من المشاركة في الجيش .

والثانية : وهي التي اتسع فيها نطاق التجنيد فشمل حتى القبائل التي ارتدت ومعها بعض زعمائها الذين قادوا ردتها فمذحج جاءت ومعها عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وجاءت مراد ومعها قيس بن عبد يغوث وكندة مع الاشعث بن قيس ، واسد مع طلحة بن خويلد الاسدي . وجاءت تميم وربيعة . لقـد استخدم المرتدون على نطاق واسع في جبهة العراق حيث وصلت الينا اشارات متعددة لهم ، وليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد ان هذا لا ينفي ان تكون هذه القبائل التي ارتدت شاركت في حروب التحرير في جبهات بلاد الشام ومصر ، وبخاصة في مراحلها الاخيرة عندما ظهر جيدا انه لا يمكن الاستمرار في الاعتماد على المسلمين الاولين ، وخطورة استنزافهم في الحروب ، والراجح أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي بدأ استخدام القبائل المرتدة في الحروب ، بعد ان نظم شؤون الجيوش المحاربة وثبت الاسس العامة لسياسة الدولة بحيث لم يعد هناك خطرا من استخدامها .

وعلى الرغم من أن سياسة الخليفتين الاولين تميزت عن بعضهما في هذه الناحية ـ استخدام من ارتد في الجيش ـ الا ان ثمة سمات مشتركة في سياستهما مع الاخذ بنظر الاعتبار ان طابع التنظيم الشامل والتصور المتكامل لدور هذه الجيوش يبدو واضحا في الروايات التي تحدثت عن حروب التحرير زمن الخليفة الثاني اكثر منها عندما تتحدث عن تلك الحروب زمن الخليفة الاول . ومن هذه السمات ما يلي :

تهيئة كتل قبلية كبيرة وقوية لها تقاليد عسكرية ودفعهـا الى جبهـة القتال مثل ذي الكلاع في الشام وبجيلة في العراق . وقد اشارت الروايات الى جهود الخليفة ابي بكر في ارسال ذي الكلاع الى الشام . ولو ان روايات اخرى

نسبت تلك الجهود الى الخليفة عمر بن الخطاب[٦٣] ، اما بجيلة فقد اشارت الروايات صراحة الى جهود الخليفة عمر ، والراجح ان سياسة الخلافة في هذا المجال راعت اعتبارات قبلية بحتة اضافة الى اعتبارات تتعلق بالدولة كانت وراء هذه السياسة في مقدمتها حاجة الخلافة الى قوة عسكرية لها تقاليد ونظم وخبرات وتمتلك الروح القتالية المتمرسة وتعتاد النظام وتحسن استخدام السلاح . ومن هنا جاء استخدام هذه الكتل والتوجه الى أهل اليمن عموما .

هوامش الفصل الثالث

١) الازدى : ٠١ انظر ايضا فتوح البلدان : ١٢٨ . التأريخ الكبير : ١/ ١٢٦ .

٢) فتوح الشام ؛ منسوب للواقدى : ١ / ٢ .

٣) الازدى : ٢ ـ ٣ . تاريخ الطبري : ٣ / ٣٨٨ .
لقد اختلفت الروايات في وضع خالد بن سعيد ، فاضافة لما ذكرنا يرى الازدى ان خالدا لم يخرج انما بقي في المدينة الى ما بعد مسير يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة ، حيث خرج مع ابي عبيدة ، فتوح الشام : ١٧ .

٤) فتوح البلدان : ١٢٨ . وانظر فتوح الشام : ١ / ٢ .

٥) الازدى : ٥ ـ ٦ .

٦) فتوح البلدان : ١٢٨ . الازدى : ٠٥ التأريخ الكبير : ١ / ١٢٨ .
فتوح الشام : ١ / ٢ .

٧) فتوح الشام ، منسوب للواقدي : ٠٣ الازدى : ٦ ـ ٧ ، ١١ ـ ١٢ .

٨) انظر الباب الاول : الفصل الاول ، ص ٤٥ .

٩) تأريخ اليمن الثقافي : نقش ابرهة ص ١٠٢ .

١٠) الاصابة : ٢ / ٤٢٨ .

١١) انظر الباب الاول : الفصل الثاني : ص

١٢) الاصابة : ٢ / ٤٢٨ .

١٣) تأريخ الطبري : ٣ / ٣٨٩ . التأريخ الكبير : ٤٥٢ . ويذكر الكوفي عن سعيد بن رفاعة الحميري انه نفر الى المدينة مع قومه حمير لما دعاهم الخليفة ابو بكر الا انهم لم يخرجوا الى الشام حتى ولي عمر بن الخطاب (١ / ٢٥٢) .

١٤) تأريخ الطبري : ٣ / ٤٠٤ . الازدى : ١٢٧ ـ ١٢٨ . التأريخ الكبير : ٥١٥ . وردت الاشارة الى خيالة حمير في معارك اليرموك وحمص . كما ان جيش ذي الكلاع الذي كان بين دمشق وحمص كان من الخيالة . واستخدم رماة النبال الحميريون في معركة اليرموك باعداد كبيرة في جميع تشكيلات الجيش .

١٥) تأريخ الطبري : ٣ / ٣٨٩ . التأريخ الكبير : ٤٥٢ .

١٦) الازدى : ٢٠

١٧) المصدر السابق : ٢٧ . كتاب الفتوح : ١ / ١٠٤ ، ١١٤ .

١٨) طبقات إبن سعد : ٤ / ١ / ٤٠ . تهذيب ابن عساكر : ٤ / ٤٣٧ صفين : ٤٧ ، ٢٠٥ . الازدي : ٣١ .

١٩) المصدر السابق : ٣٧ ـ ٤٣ .

٢٠) فتوح الشام : ١ / ٣٨ .

٢١) فتوح الشام : ١ / ٣٧ . وهذا الامر غير ممكن لان اول اشارة الى عمرو بن معدى كرب كانت في القادسية . ومن الممكن ان يكون الخبر صحيحا لو ان الواقدي ذكر توجه عمرو الى العراق وليس الى الشام . الا أن عدم بدء الحروب من جهة في هذا التأريخ وعدم وجود عمرو يجعل ذكره في الرواية نوعاً من الاقحام . انظر كتاب الفتوح : ١ / ١٧٣

٢٢) فتوح الشام : ١١٠/١ ، ١١٢ .

٢٣) الازدي : ١٦٦ .

٢٤) الازدي : ١٢ ، ١١٥ . التأريخ الكبير : ١٦٢/١ . الدر المكنون : ٤١ ، يضيف زبيد الى قبائل اليمن .

٢٥) انظر نسب حمير .

٢٦) راجع الباب الاول : الفصل الاول : ص ١٤٨ .

٢٧) فتوح مصر ، ١٢٦ : الاكمال : ٣٧٢/٣ ، ٢١/٤ . عجالة المبتدىء : ١١٦

٢٨) تاريخ الطبري : ٤٠٤/٣ . الازدي : ١٢٧ ـ ١٢٨ . التأريخ الكبير : ٥١٥ .

٢٩) فتوح الشام : ١١٨/١ . الازدي : ١٩٨ . ذكر قيس فقط .

٣٠) فتوح مصر : ١١٣ .

٣١) تأريخ الطبري : ٤٤٤/٣ .

٣٢) تتضارب الروايات حول وضع جرير في حياة الخليفتين الاولين . فقد ذكر من بين الذين شغلوا مناصب ادارية في اليمن ويذكر الطبري انه ارسل مددا لخالد بن الوليد في اليمامة وانه انتقل معه الى العراق ويقال التحق بخالد في الحيرة . وفي رواية أخرى انه ولي عمان وبقي فيها الى سنة ١٣ هـ حيث سحبه الخليفة لغزوة قام بها بالبحر ، بينما ذكر مع خالد بن سعيد بن العاص في اول طليعة عسكرية الى الشام انظر فتوح البلدان : ٢٩٦ . تأريخ الطبري : ٣٦٧/٣ . ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

٣٣) تأريخ الطبري : ٣٦٥/٣ .

٣٤) المصدر السابق : ٤٦٠/٣ ، ٤٧١ .

٣٥) تأريخ الطبري : ٤٨٥/٣

٣٦) المصدر السابق : ٤٨٤/٣ . وفي ص ٤٨٦ ذكر الالفين بعد معركة الجسر .

٣٧) كتاب الفتوح : ١٧١/١ .

٣٨) الدر المكنون : ٢٠ ، رواية الالوسي والبغوي عن ابن الكلبي .

٣٩) فتوح البلدان : ٣١٠ ، ذكر الازد في سبعمائة . تأريخ الطبري : ٤٦٣/٣ .

٤٠) المصدر السابق : ٤٦٤/٣ .

٤١) المصدر السابق : ٤٧٩/٣ .

٤٢) تأريخ الطبري : ٤٨٥/٣ .

٤٣) المصدر السابق : ٤٨٤/٣ ـ ٤٨٥ .

٤٤) المصدر السابق : ٤٨٤/٣ . الدر المكنون : ٢٠ .

٤٥) المصدر السابق : ٤٨٥/٣ .

٤٦) المصدر السابق : ٤٨٦/٣ ـ ٤٨٧ .

٤٧) الاكليل : ١١٥/١٠ . الروض المعطار **مخطوط** ، ورقة ٧٨ ب .

٤٨) تأريخ الطبري : ٤٤٠/٣ ، ٥٥٢ ، ٥٨٤ . فتوح البلدان : ٣١٤ . فتوح الشام : ١١٩/٢ .

٤٩) فتوح البلدان : ٣١٤ .

٥٠) تأريخ الطبري : ٥٧٦/٣ .

٥١) المصدر السابق : ٤٨٧/٣ .

٥٢) تأريخ الطبري : ٤٨٨/٣ .

٥٣) المصدر السابق .

٥٤) الازدي : ١٩٥ . التاريخ الكبير : ١٦٢/١ . تأريخ الطبري : ٤٨٧/٣ . الدر المكنون : ص ٤١ .

٥٥) تأريخ الطبري : ٤٨٥/٣ .

٥٦) التأريخ الكبير : ١٦٢/١ . الازدي : ١٩٥ . تأريخ الطبري : ٤٨٧/٣ .

٥٧) تأريخ الطبري : ٣/ ٥٨١ .

٥٨) طبقات إبن سعد : ١/ ٢/ ٥٢ .

٥٩) المصدر السابق : ١/ ٢/ ٧١ .

٦٠) المصدر السابق : ١/ ٢/ ٧٣ .

٦١) المصدر السابق :

٦٢) الازدي : ص ٥ .

٦٣) الاصابة : ٤/ ٤٢٨ .

الباب الثالث

استقرار اهل اليمن في الامصار

الفصل الاول

استقرار أهل اليمن في الامصار

بعد ان اتمت الجيوش العربية الاسلامية مهمتها في تحرير الاراضي العربية التي كان يسيطر عليها البيزنطيون والساسانيون ، بدأت عملية تنظيم ادارة البلاد المحررة . وكان اول عمل قاموا به هو اختيار قواعد تستقر فيها المقاتلة ، وتنظيمها بشكل يؤدي الى الحفاظ على قوة وتماسك الجيش ، وتأمين احتياجاته ، وشؤون الافراد والمقاتلة . ولارساء اسس مكينة لتنظيمات اخرى لاحقة يمكن تطبيقها وحمايتها .

كانت اكثرية جيش الشام من اهل اليمن ، وفيهم ايضا بعض قريش واهل الحجاز ، وكان هذا الجيش مكوناً من عشائر ، ويرتبط افراد كل عشيرة بروابط النسب والمصالح المشتركة ، وكان هذا التكتل القبلي قد تعمق وزاد اثره بعدما فقدت اليمن والجزيرة السيطرة العليا ، وتفككت وحدتها السياسية ، ونشبت بين هذه الكتل المنافسات . ولقد كان على رأس بعض هذه العشائر امراء اقطاعيون لكل منهم قوة عسكرية[١] ، وكانوا قد ساهموا باحداث اليمن وحروبها وكان نفوذهم يقوم على اسس حضارية ومدنية ، وعندما جاء الاسلام انضموا له ولم يكونوا من المرتدين فكانت لهم مكانة في دولة الاسلام ، وهم يشعرون بمكانة متميزة في الدولة الجديدة بسبب ماضيهم وعلاقته بجزيرة العرب خاصة الحجاز ، بالاضافة الى ان الدولة الاسلامية كانت بحاجة لهم ولكتلهم ومما زاد من قوتهم ومن شعورهم بالقوة ان عدد العشائر التي خرجت للتحرير كان محدودا وبعضها لم يزد على افراد . اما هم فجاؤوا كتلا كبيرة كثيرة العدد نسبيا ومعهم اطفالهم ونساؤهم ، ولهم تقاليد متأصلة حملوها معهم ، ولم يمر الوقت الكافي لاحداث تبدلات اساسية فيها لان عملية التحرير بدأت مباشرة بعد تحقيق الوحدة السياسية ، لهذا كان جيش المسلمين في الشام منوعا ففيه من كان لا يزال

على بداوته ، ومنهم من تجاوزها الى الاستقرار بالريف ومزاولة الزراعة ومنهم من اعتاد سكنى المدن وتطبع بنظمها وتقاليدها ، كما كان فيهم عدد من الرقيق ، والراجح ان اول القادمين من اهل اليمن كانوا محاربين بقيادة سياسيين واداريين متنفذين ، ولكن تطور السياسة العامة للدولة وظروف حروب التحرير ادت الى انضمام عدد كبير من الافراد الى الجيش العربي دون ان يكونوا جزءا من كتل كبيرة ، فكانوا يتجمعون في المدينة الى ان يشكلوا قوة مرضية فيسيرهم الخليفة تحت قيادة احد المسلمين او ان يرسلهم مع الرسل الذين يأتون المدينة باخبار المعارك .

ثم ان زمن مجييء هذه الكتل القبلية لم يكن واحدا وكانت معركة اليرموك قد حدثت في وقت مبكر فالكتل القبلية التي شاركت فيها جاءت ايضا في وقت مبكر[2] ، ثم تلا ذلك مجييء افراد وعشائر اخرى ، وكان مجيئهم تدريجيا وبصورة غير منتظمة ، وقد ادى اختلاف مجيء هذه الكتل الى اختلاف مديات مساهماتها ، لهذا لم تكن تلك المساهمات واحدة ، بالاضافة الى ان الجيوش لم تقتصر على الكتل الاولى انما تكاملت بالامدادات التي سيرها الخليفة فيما بعد او تلك التي خرجت زمن الخليفة عثمان بن عفان .

لقد ادى انتصار العرب في اليرموك ثم تحرير دمشق الى اطمئنان الخليفة لثبات الدولة في الجزيرة نسبيا وبدء تثبيتها في الشام . وكان لا بد من تنظيم آني لشؤون الجيش المقاتل في بلاد الشام والظاهر ان زيارة الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) للجابية سنة ١٨ هـ تركزت على هذه النقطة . وقد راعى الخليفة المبادىء الاسلامية التي نص عليها القرآن ، ومارسها الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وتشبع بها الصحابة المحيطون به ، والتي كانت تركز على تثبيت سلطة مركزية عليا تكون المرجع الاعلى للجميع . وتقرر الاتجاهات العامة لسياستها وادارتها ، وتفرض التنظيمات التي تعبر عن هذه الاتجاهات وتجعل منها صورة جديدة ، وقد راعى الخليفة قدم مساهمات تلك القبائل ومدى اقدامها وخدماتها للنظام الجديد . غير ان مقتضيات الاحوال ـ الخطر الاجنبي والحاجة الى المقاتلة وعدم تكيف

المقاتلة مع تعاليم الدين الجديد كليا ـ كانت تقضي ، كما قضت على الرسول ﴿ ﷺ ﴾ من قبل ، مراعاة مدى عمق التكتل القبلي . اما بعد تثبيت سلطان الدولة في الشام وتحرير العراق ومصر فان الظروف اصبحت مواتية للقيام بتنظيمات تأخذ بنظر الاعتبار المبادىء الاسلامية التي جاء بها القرآن ، كذلك لتحويل ولاء القبائل التي ارتدت من مجرد الانخراط في جيش الدولة الى الايمان بعقيدة الدولة . فكان وضع الخليفة عمر (ر ض) للديوان سنة (٢٠ هـ)هو بداية التنظيمات الاسلامية في الدولة دون الالتفات إلى الاعتبارات المحلية او القبلية القديمة ، فالاسس التي وضع عليها الديوان كانت تعطي المقاييس الاسلامية والاوضاع الجديدة الاهمية الكبيرة . اذا فسياسة الخليفة عمر السابقة ـ قبل الديوان ـ وفقت بين كلا العاملين الاساسيين (المبادىء الاسلامية والاعتبارات القبلية) ضمن تصور مفاده ان التنظيم العام في النهاية يؤدي حتما الى اضعاف التكتلات القبلية او المحلية المحدودة لحساب السلطة العليا للدولة وتحرر الفرد من الروابط القبلية القديمة ، وهي سياسة تحتاج الى موازنة دقيقة للامور .

وقد احتل اهل اليمن مكانتهم في السياسة الجديدة ، اذ لم يكن متوقعاً ان تهمل السياسة الجديدة اهل اليمن . فتميزهم بالكثرة ، ثمَّ تميزهم الحضاري القديم ونفوذهم الذي شمل الحجاز كله وربما الجزيرة ايضا حتى وقت متأخر كانت من الامور التي جعلتهم بارزين في الاوضاع الجديدة . وقد ظهر هذا البروز في الحرب وتجلى في الاعتماد على الكتل اليمانية وحصول بعض قياداتها على امتيازات خاصة منحتهم اياها الخلافة[3] . وان هذه الامور مجتمعة لا بد ان تكون تركت آثارها على استقرارهم في الامصار الجديدة وعلى دورهم في المجتمع العربي الجديد . خاصة وانهم هم الذين وضعوا اسس استقرار القبائل في الامصار والمدن العديدة في بلاد الشام ، فخطط حمص وبعلبك اشرف عليها يمانيون مثل السمط بن الاسود الكندي[4] ، وخطط الفسطاط وضعها اربعة من اهل اليمن هم معاوية بن حديج التجيبي وشريك بن سمي الغطيفي المرادي وعمرو بن قحزوم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري[5] بالاضافة الى ان

التطورات ذات الطابع الحضاري في الامصار ظهرت اول ما ظهرت من اهل اليمن فأول بيت بُنِيَ باللبن في الكوفة كان في خطة كندة [٦] .

ولا تذكر الروايات شكل الحياة الاجتماعية لذلك المجتمع ولا لمجتمعات الامصادر كوحدات اصغر لا من حيث التنظيم او الحياة العامة والمعلومات الوحيدة المتوفرة هي المعلومات الخاصة بالوحدات القبلية وبالحياة السياسية وهي لا تعبر الا عن جانب محدود من جوانب الحياة الاجتماعية اذ من غير المعقول ان يكون المجتمع بالصورة التي وردتنا وحدات قبلية مسيجة بنظامها القبلي انما الطبيعي انها كانت ضمن مجتمع يتمتع بدرجة حراك نشطة وتسوده وحدة سياسية وثقافية وتربطه علاقات المصلحة المشتركة بمثل اعلى هو الامة ، غير اننا نجهل ذلك ونجهل حتى علاقة سكان الامصار في الفسطاط والكوفة أو سكان حواضر بلاد الشام ، بالسكان الاصليين والتي تبدو غامضة غير انه من الممكن الاستنتاج ان ارتباع القبائل في الريف المصري ساعد على التمازج الاجتماعي واختلاط السكان الاصليين بسكان الفسطاط . كما انه يمكن القول ان سكنى العرب في حواضر الشام الى جانب سكان البلاد الاصليين ساعد على تنشيط الاتصال الاجتماعي بينهما ، اما الكوفة فليست هناك معلومات بهذا الخصوص وربما يكون خروج اهل الكوفة خاصة اهل اليمن الى القرى الزراعية وسكناها والعمل بالزراعة قد ساعد على الاختلاط . ولا يغرب عن البال ان اعدادا كبيرة من سكان البلاد المحررة هم من العرب وعرب اليمن بالذات وبخاصة في بلادالشام ومصر من الذين هاجروا في قرون سابقة كثيرا لخروج الجيوش العربية للتحرير مثل قبائل كلب ولخم وغسان وراشده وعامله وبهراء . اما العراق فقد كان فيه من اليمن قوم سكنوا الحيرة بالاضافة الى قبائل اياد وربيعة وبكر بن وائل وبخاصة بني شيبان وان هؤلاء السكان كانوا متفاهمين مع المحررين ولهم السبق في محاربة الساسانيين واشتركوا معا في عملية التحرير .

موقع اهل اليمن الاجتماعي

ميزت المؤلفات العربية الاولى من جاء من اليمن عن غيرهم فأطلقت عليهم تعبير « اهل اليمن » وهو تعبير عام شامل لكل تكتلاتها وعشائرها وان استعماله يعني تجاوز الانتماء القبلي فهو تعبير حضاري لأن الرابطة العامة التي يعنيها تعبير « اهل اليمن » هي الاقليمية القائمة على الارض اولا والنسب العام لقحطان ثانيا ، وهي اعتبارات اقوى من القبيلة وتعبر عن وضعية اجتماعية كانت سائدة في اليمن قبل الاسلام منذ ايام الدولة الواحدة بحيث تركت آثارها الى عصور لاحقة . والراجح انه تعبير قديم ، فقد ورد في شعر لامرىء القيس قوله :

تطاول الليل علينا دمّون ... دمّون انّا معشر يمانون

واننا لاهلنا محبون [٧]

لم يجد اهل اليمن تناقضا بين كونهم اعضاء في مجتمع عام وشامل وبين انضوائهم تحت هذا التعبير خاصة ان الدولة لم تطرح نظامها بشكل ملح حتى هذا الوقت ، لذلك ترى المعافر وهي قبيلة يمانية كانت خطتها بجانب اهل الراية على نهر النيل ترتحل تاركة مكانها لتنزل مع اهل الظاهر وهم اهل اليمن مجاورة لحمير [٨] . والظاهر ان اعتماد مبدأ الاسبقية في الدين ميز بين السابقين الى الاسلام ولم يكونوا كثرة وبين اولئك الذين تأخر اسلامهم وهم الكثرة . لقد ظهر هذا التمييز اولا في قيادات الجيش ثم خطط الامصار واخيرا في الديوان ، لهذا تدريجيا وجد اهل اليمن انفسهم متميزين من حيث الكثرة اجتماعيا متأخرين في السلم المالي والوظيفي وفي التوزيع الجغرافي ، فترسخ لديهم مفهوم اهل اليمن . ومع ان معاوية بن ابي سفيان حاول الغاء هذا التمايز والتركيز على « اهل الشام [٩] وهو تعبير المقصود منه الوحدة السياسية في القاعدة والقيادة الا ان اهل اليمن بقوا يشعرون برابطة خاصة عبر عنها شرحبيل بن السمط بقوله : « ولعمري ما العراق لي بدار ولا الشام عليَّ بعار وانما انا رجل من اهل اليمن [١٠] » .واذا كان معاوية نجح في حفظ التوازن بين مشاعر اهل اليمن

وشعاره « بدبلوماسية الاستشارة » فان اضطراب الاوضاع من بعده هيأ مناخا خصبا لظهور تعبير اهل اليمن كتعبير سياسي ، ففي الحوار بين مالك ابن هبيرة وحصين بن نمير السكونيين زمن مروان بن الحكم اشارة صريحة لهذا حين قال مالك : « ويحك يا حصين اتبايع لمروان وآل مروان وانت تعلم انهم اهل بيت من قيس[11] ».

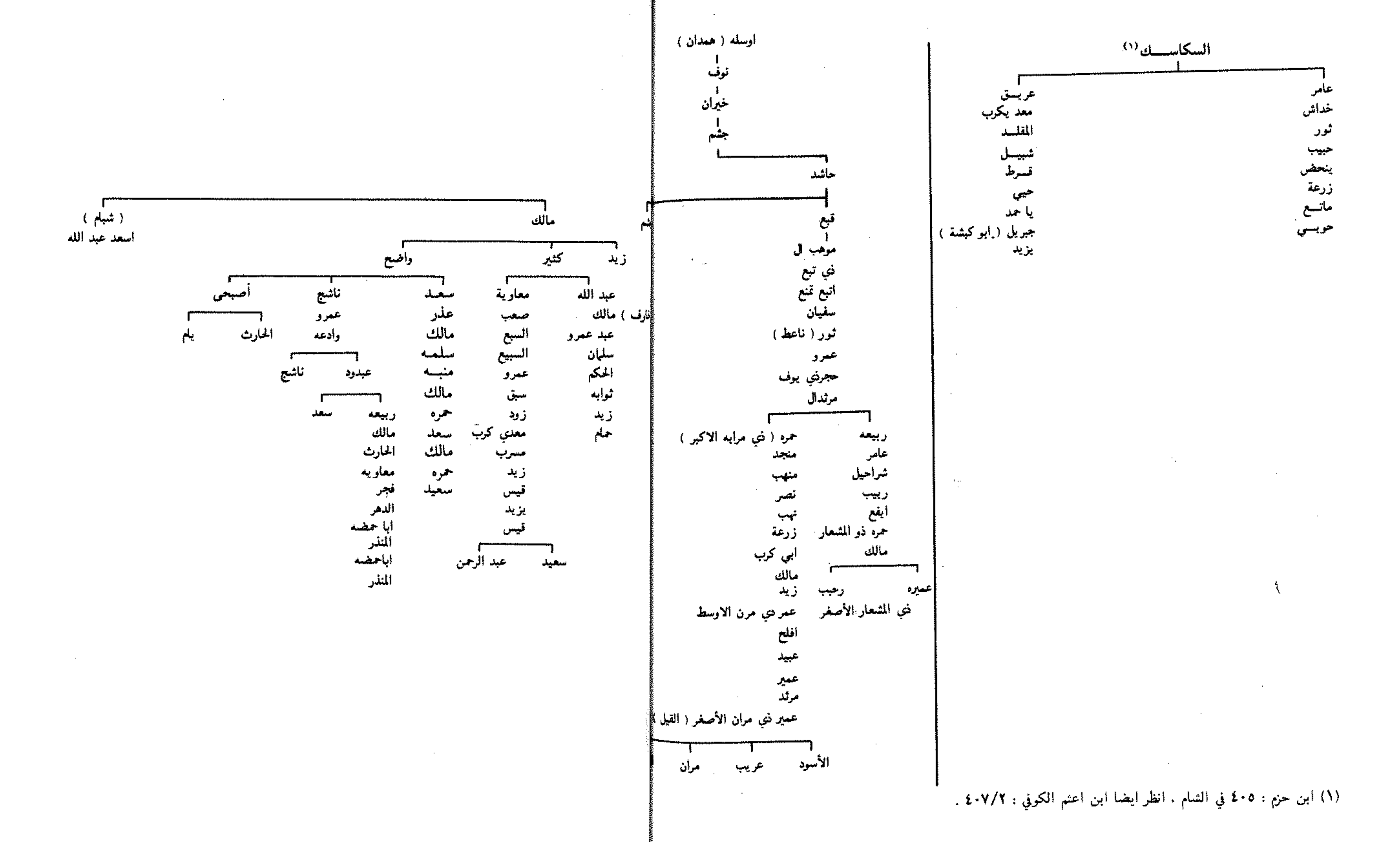
لاتذكر المصادر ما اذا كان اهل اليمن عملوا تحت هذا المصطلح على مستوى المجتمع العربي عامة ام انهم اقتصروا على الامصار ، والواقع ان عملية استقراء تأريخ الامصار السياسي لا تعطي فكرة عن تميز اهل اليمن بعصبية اقليمية على مستوى المجتمع العربي انما يبدو من الصعب القول انهم شكلوا عصبية اقليمية على مستوى المصر ايضا وفي جميع تحركاتهم السياسية لا يبدو ان تعبير اهل اليمن شكل رابطة اجتماعية وسياسية تشدهم الى بعضهم وتحل محل الانتماء الى الامة اي انه لم يتبلور اجتماعيا على مستوى الامة فعندما سئل القاضي شريح من انت ؟ قال :« من اهل اليمن وعدادي في كندة »[12] ، وعندما سئل رجاء بن حيوه اجاب : « انا ممن انعم الله عليه بالاسلام وعدادي في كندة[13] » اي ان هذا التعبير فقد قوته ولم يتحول الى وضعية اجتماعية او سياسية . غير انه مما لاشك فيه ان اهل اليمن كانوا عنصرا فعالا ليس في مجتمعات الامصار حسب انما في المجتمع العربي عموما .

استقرار اهل اليمن في الشام

حرَّر المسلمون بلاد الشام من حكم الروم ، الا انهم لم يقضوا على الدولة البيزنطية التي ظلت حدودها مع بلاد الشام من الشمال عند جبال طوروس ، وهي ليست بعيدة عن دمشق المدينة الرئيسة في بلاد الشام ، وبذلك ظل خطرها مستمرا برا وبحرا . وقد حمل هذا الوضع المسلمين على الاحتفاظ باعداد كبيرة من المقاتلين لكي يقيموا في قواعد عسكرية لمواجهة الخطر الرومي ،

وعلى توزيع قواتهم في بلاد الشام في قواعد متعددة ، غير أنهم جعلوا قواتهم تنظم في اربعة مجموعات « اجناد[14] » ، لكل منها قاعدة رئيسة ترتبط بها القوات الموزعة على مختلف القواعد الاخرى ، اي ان اقامة الجند في القواعد الفرعية اقامة مؤقتة وانهم يستبدلون دورياً ، وان الديوان ، اي سجلات الجند كانت في مراكز الاجناد ، ومنها يتسلم المقاتلون اعطياتهم وارزاقهم وهذا يستلزم ان تكون هذه الاجناد مراكز تجمع فيها جبايات المنطقة وما يتبع ذلك من تركز دواوين الخراج فيها . غير ان تعدد هذه القواعد في اقليم بلاد الشام الصغير نسبيا ، والذي لم تكن وارداته كبيرة ، فضلا عن تعرضه لتهديدات الروم ، ادى الى الضعف النسبي لهذه الاجناد قياسا للمصرين البارزين في العراق ، وهما الكوفة والبصرة .

ومما لاشك فيه ان عوائل المقاتلين نزلت في حواضر وقرى بلاد الشام ، ولما كانت امطار بلاد الشام غزيرة وشتاؤها باردا ، فكان لا بد لهم من الاقامة في بيوت محكمة البناء ، وليس من اخصاص كما حدث في امصار العراق . وقد اقامت اسر المقاتلين في مراكز قديمة كانت مبنية ومأهولة منذ ازمنة سابقة ، فلم يذكر عنهم انهم بنوا في بلاد الشام مدينة كما فعلوا في العراق ومصر ، ولا بد انهم اقاموا في هذه المراكز بجانب من بقي من اهلها ، وكان سكناهم اما في داخلها او في اطرافها ، ويلاحظ ان اهل اليمن كانوا قد الفوا السكن في الحواضر ذات البيوت المحكمة البناء ، ولم يحدث ايجاد مثل هذه الابنية صعوبات كثيرة ، غير ان المعلومات عن نزولهم الحواضر واطرافها قليلة ومضطربة فتذكر بعض المصادر ان المسلمين صالحوا اهل الشام على انصاف منازلهم وكنائسهم ، اي ان المسلمين نزلوا انصاف المدن والقرى كدمشق وحمص وطبرية وبعلبك وبيسان[15] . وتذكر روايات اخرى ان المسلمين لم يصالحوا على المقاسمة ، انما اعطوا تعهدا للسكان المصالحين بان لا يسكن شيء من دورهم[16] . والراجح ان هذا هو الصحيح بدليل وجود اشارات متعددة الى ان المسلمين نزلوا الخيام الى ان ابتنوا القرى في دمشق وحمص وغيرها[17] . ولكن بعد التحرير لحق بشر كثير من اهل الشام



(١) ابن حزم : ٤٠٥ في الشام . انظر ايضا ابن اعثم الكوفي : ٤٠٧/٢ .

بهرقل فخلت دورهم فنزلها المسلمون . اي انهم نزلوا فيما جلا عنه اهله من الدور[١٨] . وقد اشرف السمط بن الاسود الكندي على انزالهم في حمص حيث قسمها خططا بين المسلمين يسكنون في كل مرفوض جلا اهله او ساحة متروكة[١٩] . وفي مقدمة الاماكن التي نزلها اهل اليمن مدينة دمشق ، حيث استقروا اول الامر في خيام بقرى الغوطة الى ان ابتنوا القرى فيها ، ففي قبلة دمشق ابتنوا قرى سكنت كل منها عشيرة واحدة مثل الاوزاع والصدف ومقرى وشعبان والاشعريين ، وفي جهة الغرب ابتنوا قرى صنعاء والحميرين ورعين[٢٠] . اضافة الى انهم سكنوا في القرى التي كانت قائمة قديما ايضا[٢١] . اما فيما يتعلق بنزولهم في دور دمشق التي داخل السور فيفهم من روايات ابن عساكر عن خطط دمشق ان الذين نزلوها كانوا من الشخصيات البارزة في اهل الحجاز فقط[٢٢] ، حيث لم تذكر في دمشق خطة لعشيرة ما او محلة مسماة باسم قبيلة ، ولم تذكر الا دور الافراد وليس بينها دار لاحد من غير اهل الحجاز ، سوى دار جرير بن عبد الله البجلي التي امتلكها بعد انتقاله الى الشام في خلافة علي (رضي الله عنه) ، اذ يقول ابن عساكر : « فهذا ذكر الدور التي لها ذكر واصحابها صحابة لهم منزلة وقدر دون ما عداها من دور بني امية ومن سواهم من الرعية[٢٣] » . كما نزل المسلمون حمص وبعلبك وطبرية ومدنا وقرى اخرى في بلاد الشام .

ومن قبائل اليمن التي استقرت في الشام :

اولاً ـ قبيلة حمير

وكانت الروايات تذكرها باسمها العام (حمير) ، او احيانا باسماء القبائل او بطونها ، والى فترة متأخرة من تأريخ بلاد الشام تذكر الروايات اسماء رؤسائها الذين جاؤوا من اليمن ، ولعل ذلك راجع الى انهم احتفظوا بمكانتهم العليا ولم يفسحوا المجال لظهور قيادات جديدة . ومن اكبر قبائل حمير في بلاد الشام قبيلة ذو الكلاع . وهي اقدم القبائل اليمانية المشاركة في حروب التحرير ،

خرجت من اليمن بقيادة رئيسها ذي الكلاع السميفع بن ناكور الذي كان معه عدد كبير من العبيد قدرتهم بعض المصادر باربعة الآف ، وادعى بعضها انهم اثنا عشر الفاً[٢٤] . والراجح ان هذه القوة البشرية مضافة الى قدم المشاركة اكسبت ذا الكلاع مكانة مهمة في حمص جعلته موضع اعتماد الدولة . احتفظت القبيلة بمكانتها وظل رؤساؤها مقدمين عند الخليفة ، بيد انهم لم يحملوا لقب ذي الكلاع ، انما عرفوا بلقب سيد الكلاع[٢٥] .

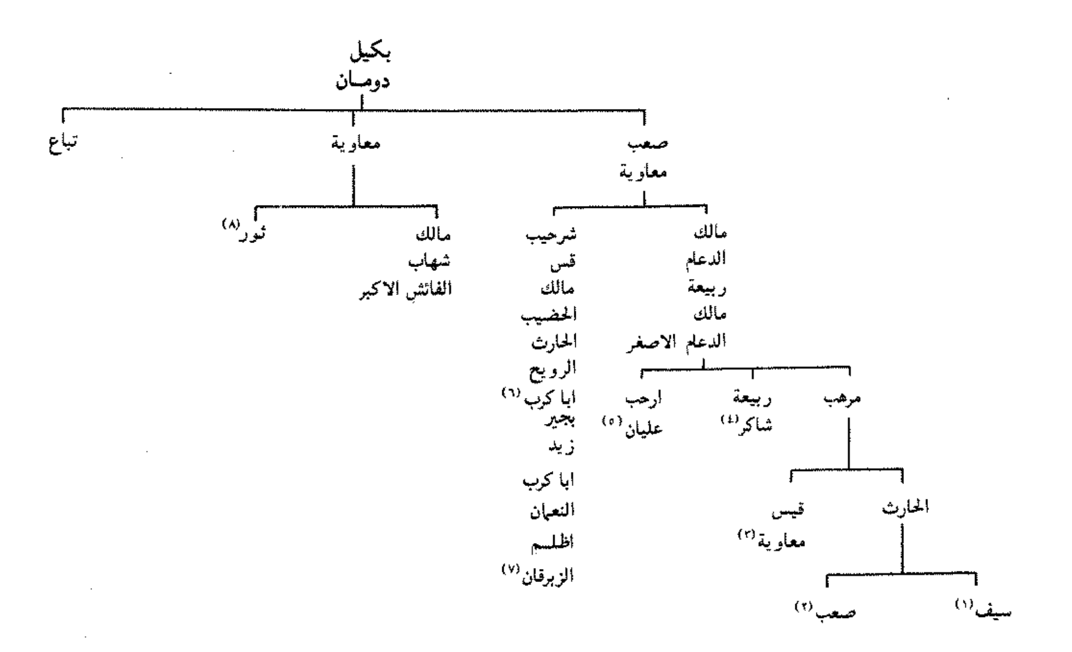
وكان مع الكلاع من حمير في حمص آل ذي يزن التي دخلت الاسلام في عهد رئيسها زرعة بن عامر بن سيف بن النعمان وهاجرت الى الشام في عهد ابنه عفير بن زرعة[٢٦] . كما نزل حمص من قبيلة حمير الاحموس ، والشراعب وحضرموت[٢٧] .

واستقر الاوزاع من حمير في المنطقة بين دمشق وبعلبك وبيروت[٢٨] وهي منطقة واسعة ، ويتبين من هذا الانتشار الواسع كثرة عددهم كما يفهم من استقرارهم على الطريق بين دمشق وبيروت انهم كانوا مسؤولين عن حماية هذا الطريق المهم ، وقد دخل في الاوزاع بعض من خولان[٢٩] . وهو دليل اضافي على اهميتهم وقوتهم . ومن بطونهم بنو عنس بن مالك وبنو مرة والثوجم ومقري والهان .

ونزل مع الأوزاع في دمشق من قبائل حمير قبيلة يرسم[٣٠] غير اننا لا نعرف عن حجم تواجدها او اهميته معلومات كافية . وفيما عدا هذا نزلت بطون حمير الاخرى في مواضع متباعدة فنزلت يحصب في اللاذقية[٣١] ونزلت فيه في الاردن[٣٢] .

ثانياً ـ كندة

لا يتردد ذكر لكندة في بلاد الشام تحت هذا الاسم انما يتردد ذكر قبائلها كالسكون والسكاسك . فأما السكون فقد ذكرت المصادر اسماء واعمال عدد من



(١) الاكليل : ١٠/١٤٥ ، ١٤٨ شامبون .
(٢) ن . م : من اهل القادسية في العراق .
(٣) ن . م : ص ١٣٧ في الكوفة .
(٤) ن . م : ص ٢٤٣ في الكوفة .
(٥) ن . م : ١٧٣ ـ ١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٢١ في الكوفة .
(٦) ن . م : ص ١١٤ بالعراق والشام .
(٧) ن . م : ص ١٤٨ بالشـام .
(٨) ن . م : ص ١٣١ ـ ١٣٢ بالكوفة .

كبار رجالها واشارت الى مكانتهم ، ونظراً لقوة التماسك القبلي في هذه الفترة المبكرة فان وجود هؤلاء الرجال ومكانتهم هما دليلان على ما للعشيرة من دور ومكانة .

اشتهر منهم السمط بن الاسود بن جبلة بن عدي وابنه شرحبيل الذي انتقل الى والده من حروب العراق بعد المدائن ، ولعب السمط مع الاشعث بن مئناس السكوني دوراً في تحرير حمص ، والأخير هو الذي اشرف على خطط حمص[٣٣] . حيث نزلت قبيلته وقد احتل شرحبيل بن السمط مكانة في مجتمع الشام عموما واهل اليمن خصوصا ، حتى ان وجوه اهل اليمن لما اجتمعوا بمعاوية بعد مقتل عثمان لم يصدروا رأيا قبل استشارته ، فلما وافق شرحبيل اعتبر معاوية اهل الشام كلهم مؤيدين له[٣٤] .

وقد نزل مع السكون في حمص كل من السكاسك[٣٥] ، وبنو الحرث ابن معاوية[٣٦] ، وبنو ملعقة[٣٧] ، وبنو العدا[٣٨] . اما بقية السكون والسكاسك فقد نزلت في الجابية وبيت لهيا وداريا حوالي دمشق[٣٩] .

ثالثاً ـ خولان

شاركت في حروب الشام في وقت مبكر وكان قيس بن عباية بن عبيد الله بن الحرث مقرباً من ابي عبيدة[٤٠] ، وبرز من القبيلة رجلان هما ابو مسلم عبد الله بن ثوب رئيس قراء اهل الشام وابو ادريس الخولاني .

استقرت القبيلة في حمص ومن بطونها بنو الاصهب رحال والحريث[٤١] ، ونزل بعض خولان في داريا قرب دمشق[٤٢] . غير اننا نجهل تحدُّر هذه البطون .

مذحج

ومن قبائل اليمن التي استوطنت بلاد الشام والتي تشبه حمير من حيث انه لم يتردد ذكرها ، بل تردد ذكر القبائل التي يعدها النسابون من مذحج ، وليس في المصادر اشارة الى زمن هجرة هذه القبائل ودور كل منها في الاحداث الاولى . فالمعلومات عنها تأتي من خلال الاخبار عن مساهمتها في صفين او عن

سكناها بلاد الشام . غير انها ذكرت مجتمعة بقيادة مخارق ابن الحارث الزبيدي في معركة صفين ومن قبائلها في الشام ، زبيد نزلت غالبيتهم في اللاذقية[٤٣] ، ومن زبيد بطون اخرى صغيرة سكنت مناطق اخرى فيذكر بنو زبيد الاصغر في حوران ، وبنو الحريث وآل محسن في غوطة دمشق . ويرد ذكر مراد ورهاء دون تحديد مكانها[٤٤] ، اما عنس ، فسكنوا في كيسان وحمص خاصة بني الصحيم بن قرة بن عزيز ومنهم ايضا بنو ابي الجون بينما سكن بعضهم في داريا من دمشق[٤٥] ، اما النخع[٤٦] ، لا تتوفر عن استقرارها معلومات تفصيلية .

همدان

شاركت همدان في حروب الشام منذ زمن خلافة ابي بكر (رضي الله عنه) حيث وجه حمزة بن مالك بن سعيد الهمداني وكان معه اربعمائة من عبيده غير اهله ، واستقر مع قبيلته في الاردن[٤٧] ، وذكرت من بطونها وادعة والحارث بن اصبى وحجور بن اسلم وذكروا باعداد كبيرة ، وكلهم من حاشد[٤٨] ، كما ذكر آل ذو لعوة وارحب وبني مرهبة من الدعام وجميعهم من بكيل[٤٩] ، دون ان تحدد اماكنهم بدقة ، كما ذكر بنو موهب بالرملة[٥٠] ، وبنو شقي بايلياء[٥١] .

الاشاعرة

هاجر الاشاعرة بالسفينة الى المدينة حيث التقوا بالرسول ﴿ﷺ﴾ بعد معركة خيبر[٥٢] . وشاركوا فيما بعد في معركة اليرموك وسكنوا في الشام في طبرية[٥٣] ، وكانوا الغالبين عليها ، وسكن بعض منهم في دمشق ثم اقطعهم معاوية البثنية وحوران[٥٤] .

الازد

شاركت الازد في حروب التحرير ببلاد الشام ، وكان لها بلاء في معركة اليرموك ، غير ان المصادر لم تقدم لنا تفاصيل وافية عن عدد من انضم من الازد وعشائرهم ، وعن زمن قدومهم الى الشام ودورهم غير ان عددهم كان كبيرا

وبخاصة « عك » حتى اطلق عليهم « حي اهل الشام » والظاهر انهم التحقوا بالقبيلة فيما بعد فلم يكونوا في العطاء الى ان ادخلهم معاوية[٥٥] .

ومن ابرز عشائر الازد التي سكنت بلاد الشام بنو ثمالة ، وغامد ودوس والغطريف بن نصر[٥٦] ، وكلهم من ازد السراة . وقد توزعت عشائر الازد في بلاد الشام ، فسكن بعضها دمشق[٥٧] ، وسكن البعض الاخر حمص غير انه يظهر ان معظمهم استوطن الرملة التي كانت قاعدة جند فلسطين[٥٨] . اما خثعم فاستوطنت فلسطين وذكر من بطونها بنو الاقيصر[٥٩] .

من هذا العرض نستطيع ان نحدد توزيع القبائل اليانية على الاجناد الخمسة في بلاد الشام على النحو التالي :

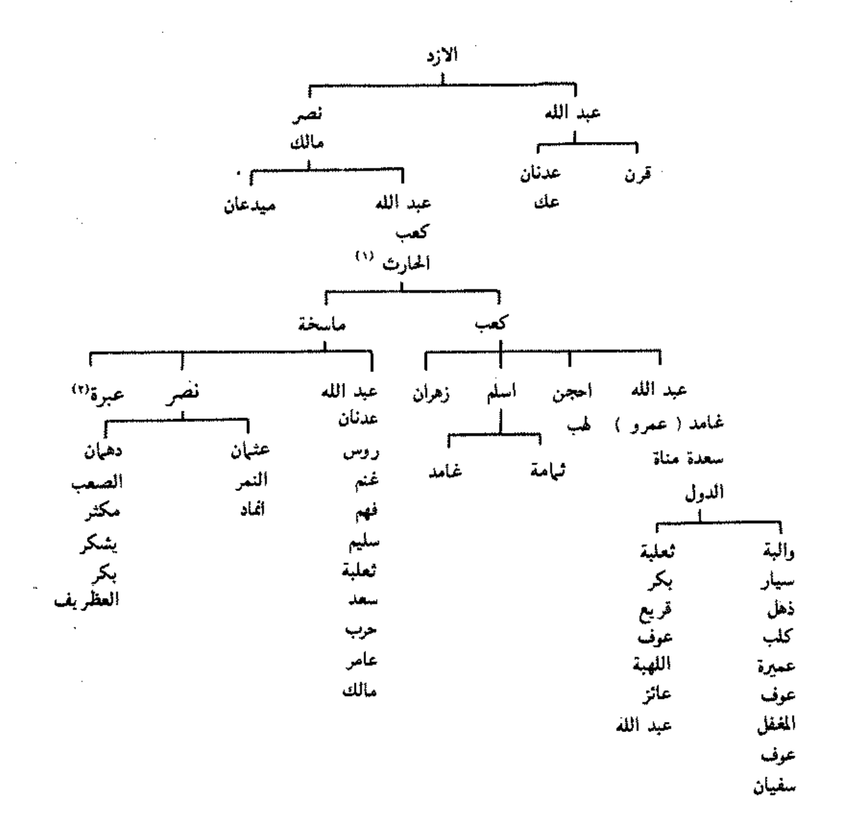
جند دمشق : يرسم ، الازد ، خولان ، مذحج ، الاوزاع ، السكون (الجابية) الاشاعرة ، مذحج (البثنية وحوران)[٦٠] .

جند حمص : ذو يزن ، ذو الكلاع ، الاحموس ، حضر موت ، بكال ، الشراعب ، همدان ، السكاسك ، ثمالة الازد ، خولان ، عنس ، كندة ، السكون ، كندة في (شيزر) وانطرسوس ، همدان (جبلة) ، يحصب ، همدان ، مذحج (اللاذقية)[٦١] .

جند الاردن : منبه من مذحج ، جرش ، همدان ، عنس في (كيسان) ، الاشاعرة (طبرية) ، كندة في (البلقاء)[٦٢] .

جند فلسطين : الازد ، عك ، خثعم ، كندة ، همدان (ايلياء) ، ابرهة بن الصباح (الرملة) ، همدان (الرملة)[٦٣] .

جند قنسرين : وهو جند استحدثه يزيد الاول بفصله عن حمص فسكانه جزء من سكان حمص .



(١) ابن حزم : ٣٥٧ . وجميعهم في الشام .

(٢) ن . م : ٣٦٤ . منهم خبادة بن ابي امية الازدي .

هوامش الفصل الاول

١) راجع الباب الثاني : الفصل الثالث : ص ١٤٨ .

٢) راجع الباب الثاني : الفصل الثالث ١٤٨ .

٣) راجع الباب الثاني : الفصل الثالث : ص ١٤٨ .

٤) فتوح البلدان : ١٥٥ . البلدان : ٣٢٧ .

٥) حسن المحاضرة : ١/ ١٣١ . خطط المقريزي عن القضاعي : ٢/ ٧٦ .

٦) خطط الكوفة : ٩٧ .

٧) ديوان امرىء القيس : ٦١ .

٨) فتوح مصر : ١٢٦ .

٩) القضاة : ٢١ . الانتصار : ٧٢ . استعمل هذا التعبير في القصص ايضا .

١٠) كتاب الفتوح : ٢١١/٢ .

١١) تأريخ الطبري : ٥٣٦/٥ .

١٢) طبقات بن سعد : ٩٠/٦ . توفي شريح سنة ٧٦ وقيل ٧٨ هـ .

١٣) تأريخ ابي زرعة : ٢٣٧ . وقيل ان الذي سئل عدي بن حجر .

١٤) الاعلاق النفيسة : ١٠٦ .

١٥) فتوح البلدان : ١٤٦ . تأريخ الطبري : ٤٣٧/٣ ، ٤٤٤ ، ٦٠٠ .

١٦) فتوح البلدان : ١٤٤ . التأريخ الكبير : ٥٠٢ .

١٧) فتوح الشام : ٨٥ . التأريخ الكبير : ٥١٧ . البلدان : ٣٢٧ . فتوح البلدان : ١٥٥ .

١٨) فتوح البلدان : ١٤٤ ، ١٥٥ . التأريخ الكبير : ٥٠٢ . البلدان : ٣٢٧ .

١٩) فتوح البلدان : ١٥٥ . البلدان : ٣٢٧ .

٢٠) التأريخ الكبير : ١٤٤ . معجم البلدان : ٣٤٢/١١ .

٢١) التأريخ الكبير : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

٢٢) المصدر السابق : ١٣١ ـ ١٤١ .

٢٣) المصدر السابق : ١٤١ .

٢٤) الاصابة : ٤٢٨/٢ . تأريخ الخميس : ١٤٥/٢ .

٢٥) الاكليل : ٢٨١/٢ ذكر سعد بن ابي السفر اليفمي سيد الكلاع بحمص .

٢٦) المصدر السابق : ٢٥٩/٢ ـ ٢٦٣ . الاصابة : ١٢٨/٥ .

٢٧) الاكليل : ٢٤٠/٢ عجالة المبتدىء : ٢٥ ، ٧٨ .

٢٨) الاكليل : ٢٥٣/٢ ، التأريخ الكبير : ١٤٤ ، معجم البلدان : ٣٤٢/١١ ولازالت في بيروت منطقة ساحلية تعرف بالاوزاعي حيث قبر الفقيه الاوزاعي .

٢٩) الاكليل : ٢٥٣/٢ ، ٢٨٢ . التأريخ الكبير : ١٤٤ .

٣٠) عجالة المبتدىء : ٤٩ . فتوح البلدان : ١٨٢ . الاصابة : ٢٩٣/١ . انظر ايضا الباب الاول : ص ٨٠

٣١) البلدان : ٣٢٤ ، عجالة المبتدىء : ١٢٤ ، الاكليل : ٢٠٦/٢

٣٢) عجالة المبتدىء : ٤٠ ، الاكليل ٢٤٩/٢ .

٣٣) فتوح البلدان : ١٦٣ . تأريخ الطبري : ٦٠٠/٣ . البلدان : ٣٢٤ . ٣٢٥ . ٣٢٩ . صفين :٤٤ .

٣٤) صفين : ٤٧ .

٣٥) جمهرة النسب : ٨٨ ، ١٣١ ، كتاب الفتوح : ٤٠٧/٢ . تأريخ الطبري : ٥٤٤/٥ جمهرة انساب العرب : ٤٠٥ .

٣٦) جمهرة النسب : ٨٨ ، ١١٣ .

٣٧) المصدر السابق : ١١٣ .

٣٨) المصدر السابق : ١١٩ .

٣٩) جمهرة النسب : ٨٨ ، الاصابة : ٢٠١/١ . ٢٩٣ . ١٥٥/٣ . ٤٥٧ . ٧٢/٥ . ٦/٦ . ٤٧ . حسن المحاضرة : ٢٢٧/١ .

٤٠) الاصابة : ٤٨٨/٥

٤١) طبقات بن سعد : ١٢٥/٢٣ . الاكليل : ٣٤٥/١ . الاصابة : ٤١٤/١ . عجالة المبتدىء : ٩٦ .

٤٢) طبقات بن سعد : ١٢٣/٢/٣ . الاصابة : ٢٧٠/٤ . تأريخ داريا :

٤٣) البلدان : ٣٢٤ . عجالة المبتدىء : ٦٨ .

٤٤) الاصابة : ٥/ ٨٤ ، ١٥٩ . الاكمال : ٢/ ١١٣ . كتاب الفتوح : ٣/ ١٥٩ . الاصابة : ١/ ١٩٤ .

٤٥) الاصابة : ٢/ ١٨١ ، ٤/ ٥٩٤ .

٤٦) الاصابة : ٥/ ٧٤٨ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٨ .

٤٧) الاكليل : ١٠/ ١٦ . صفين : ٤٧ ، ٢٠٥ . كتاب الفتوح : ٣/ ٥٢ ، ١٩٧ . طبقات بن سعد : / ١/ ٤٠ . تهذيب ابن عساكر : / ٤٣٧ .

٤٨) الاكليل : ١/ ٦٦ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠٠

٤٩) المصدر السابق : ١/ ١١٤ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، صفين : ٨٥

٥٠) سنن ابي داود : ٢/ ٢٨٨

٥١) المصدر السابق : ١٧٥

٥٢) راجع الباب الثاني : الفصل الاول . ص ١٠٢

٥٣) البلدان : ٣٢٧

٥٤) كتاب الفتوح : ٣/ ٢٢١

٥٥) نصر ٤٣٧ . كتاب الفتوح : ٣/ ٢٢١ . الاصابة : ١/ ١٠٣ .

٥٦) جمهرة انساب العرب : ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

٥٧) الاصابة : ١/ ٥١٤ ، ٥/ ٩٠ .

٥٨) الاصابة : ٤/ ٢٠٩ ، ٣٢٠ . كتاب الفتوح : ٢/ ٣٩٨ . صفين : ١٧٤ . طبقات بن سعد : ٧/ ٢/ ١٣٣ ، ١٣٤ . الاكمال : ٦/ ١٠ .

٥٩) فتوح البلدان : ٢٢٧ .

٦٠) عجالة المبتدي : ٢٥ . الاصابة : ١/ ٥١٤ ، ٥/ ٩٠ . ١٥٩ .طبقات ابن سعد : ٣/ ٢/ ١٢٣ . جمهرة انساب العرب : ٤٠٥ . كتاب الفتوح : ٣/ ٢٢١ . الاكليل : ٢/ ٢٥٣ . تأريخ الطبري : ٥/ ٥٤١ .

٦١) الاكليل : ٢/ ٢٤٠ ، ٢٥٩ . ٣٦٣ . الاصابة : ١/ ٢٩٣ . الحازمي : ٢٦ . ٧٠ . كتاب الفتوح : ٢/ ٤٠٧ . الاصابة : ٤/ ٣٢٠ . كتاب الفتوح : ٢/ ٣٩٨ . صفين : ١٧٤ . طبقات بن سعد : ٧/ ٢/ ١٣٣ . الاكمال : ٦/ ١٠ . طبقات بن سعد : ٣/ ٢/ ٢٥ . الاكليل : ١/ ٣٤٥ . الاصابة : ١/ ٤١٤ . ٥/ ٨٤ . ١٥٩ . الاكمال : ٢/ ١١٣ . البلدان : ٣٢٤ . الاصابة : ٣/ ١٥٥ . البلدان : ٣٢٤ . ٣٢٥ .

٦٢) الاكليل : ٢/ ٢٤٩ . الاصابة : ٥/ ١٥٩ . تأريخ الطبري : ٥/ ٥٤٤ .

٦٣) صفين : ١٧٤ . الاصابة : ١/ ١٠٣ . فتوح البلدان : ٢٢٧ . البلدان : ٣٢٩ . الاكليل : ٢/ ١٤٨ . سنن ابن داود : ٢/ ١٧٥ . ٢٨٨ .

الفصل الثاني

استقرار أهل اليمن في الفسطاط

فرغ العرب من تدمير الجيش البيزنطي وتحرير بلاد الشام وشرعوا في تحرير مصر. فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سنة تسع عشرة جيش عمرو بن العاص مع حوالي اربعة الاف مقاتل ممن كان قد شارك في المعارك الاولى وفي تحرير بلاد الشام[١] . وقد نجحت هذه الحملة في التغلب على الحامية التي كانت في حصن بابليون ، وبذلك أمنت السيطرة على المركز الستراتيجي والحضاري الهام الذي اقامت الدول في مصر منذ اقدم الازمنة عاصمتها فيه . وقد ارسل العرب بعد ذلك حملات لتحرير الاسكندرية لقيت مقاومة عنيفة قبل تحريرها ، كما وجهوا حملات لتحرير الصعيد وصلت حتى اسوان دون ان تلقى مقاومة تذكر[٢] .

كانت لمصر اوضاع خاصة ، فالصحارى الشاسعة في غربها وجنوبها امنت حكم العرب فيها ، وانحصر الخطر الذي يهددهم بالساحل الشمالي حيث كان الاسطول البيزنطي لا يزال ذا قوة مهددة ، غير ان هذا الخطر يمكن مواجهته بتعزيز الدفاع عن الساحل ، واقامة قوات في النقاط المحددة التي يمكن ان ينزل فيها الاسطول البيزنطي ، مما يبقي الداخل آمنا . وقد اصبحت مصر قاعدة واصلت منها الجيوش العربية تقدمها لتحرير المغرب العربي . وعندما عاد جيش عمرو بن العاص من الاسكندرية سنة ٢١ هـ[٣] ، اختير موقع الفسطاط في نفس المنطقة التي اتخذت معظم الدول السابقة منذ الفراعنة عاصمتها فيها واتخذها العرب المسلمون قاعدة لهم على غرار الكوفة والبصرة تتجمع فيها جيوشهم ولتصبح فيما بعد منطلقهم لمواصلة تحرير المغرب العربي لذلك من الطبيعي ان يكون الذين اختطوا في الفسطاط عند انشائها هم نفس المقاتلة الذين شاركوا في تحرير مصر . وقد روعي في تنظيم خطط الفسطاط ان تستوعب

كافة العشائر التي يتكون منها جيش التحرير ، وان يقوم التنظيم على الاسس التي يقوم عليها ذلك الجيش ، اي على التنظيم القبلي . ولعله روعي ايضا فيه مكانة هذه العشائر عند القائد العربي آنذاك والتي هي على الاغلب مكانة يقررها السبق في الاسلام . فخطط الفسطاط تعبر عن الاتجاهات العامة التي كانت سائدة عند بدء التحرير . ومن الطبيعي انه حدثت هجرات اضافية تالية ، فقبيلة حضرموت قد شارك منها في الحرب الاولى « الاشبا » الذين يظهر ان عددهم كان قليلا فانزلوا مع اخوالهم بني ايدعان من تجيب قبالة الحصن . غير ان امدادات حضرموت جاءت زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، وبذلك صار عددهم كبيرا فانتقلوا الى خطة جديدة شرقي سلهم والصدف حتى اصحروا[٤] . كما ان مهرة اكتملت بالمدد الذي لحق بجيش الفسطاط اي انهم جاؤوا بعد فتح مصر ، ولكن لم تحدد المصادر زمن مجيئهم بالضبط[٥] وخولان هي ايضاً جاءت فشريح بن ميمون المهري لقي من التكريم ما لم يلقه مددي غيره لانه تزوج امرأة الجراح المهري وولي البحر لسليمان بن عبد الملك[٦] .

كذلك قيل عن توبة بن نمر بن حومل الحضرمي ، وهو مددي عندما ولي القضاء والقصص[٧] ، كما ان بعض بطون قبيلة خولان خرجت الى الفسطاط متأخرة فاستقرت مع من سبقها من اخوانها[٨] . ولا بد ان هذه الهجرات احدثت تطورات في مكانة العشائر ومكانة رجالها وادوارهم . وقد ميزت الروايات بين المشاركين في تحرير مصر والذين لحقوا بهم مددا فأعطت الاوائل مكانة متميزة ، واشارت كتب التراجم الى من شهد التحرير بعبارة « شهد فتح مصر » وكان هذا التمييز تعبيرا عن واقع اداري واجتماعي . ولا بد ان هجرات فردية غير منتظمة حدثت ايضا ولكنها في احيان اخرى كانت كبيرة وكانت تستوجب احداث تغييرات في الديوان ولدينا اشارات الى ان ديوان الفسطاط اعيد تنظيمه اربع مرات[٩] . ولكن الخطط لم تتبدل تبدلا اساسيا بل ظلت قائمة من حيث العموم على نفس الاسس القديمة ولذلك سنعتمد في معرفة اوضاع القبائل على دراسة اوضاع الخطط الاولى للفسطاط .

كان المركز الرئيس والمحور الذي نظمت عليه الفسطاط ، شأنه شأن بقية الامصار الاسلامية هو المسجد الجامع الكبير والوحيد في المصر ، وبلصقه كانت دار الامارة وبيت المال وربما بقية الدواوين . وبذلك كان المسجد وما حوله هو قلب المدينة واشرف مواضعها .

لقد انزل عمرو بن العاص حول الجامع عشائر اهل الحجاز وهم قريش والانصار وخزاعة واسلم وغفار ومزينه وجهينه. واشجع وثقيف ودوس وعبس وجرش من كنانة وليث بن بكر وكان يطلق عليهم « اهل الراية » ويدعي ابن لهيعة ان « قريشاً كانت معهم راية عمرو بن العاص . ويقال ، انما سميت الراية ان قوما من افناء القبائل من العرب كانوا قد شهدوا مع عمرو بن العاص الفتح ولم يكن من قومهم عدد فيقفوا مع قومهم تحت رايتهم وكرهوا ان يقفوا تحت راية غيرهم فقال عمرو انا اجعل راية لا انسبها الى احد اكثر من الراية التي يقفون عليها فرضوا بذلك[١٠] » . ويقال ايضا انهم سموا اهل الراية لما عقده الرسول ﴿ﷺ﴾ في الولاية بينهم[١١] . وهذه التفسيرات غير واضحة ويكتنفها الغموض في المعنى والنشأة ، وهي على اية حال تظهر ان الذين ساهموا في تحرير مصر من اهل الحجاز هم عشائر كثيرة قدم من كل منها عدد محدود من الرجال واحتفظوا بتماسكهم ، وان عمرو بن العاص ميزهم واسكنهم في قلب المصر بالقرب من دار الامارة حيث يقيم الامير ، وربما يكون سبب هذا التمييز اسبقيتهم في الاسلام ، وان جمعهم حول مركز المصر انما يعبر عن روح السياسة الاسلامية التي تعتمد استشارة المسلمين الاوائل في شؤون الادارة .

اما اهل اليمن فقد انزلوا خلف اهل الراية ، وامتدوا بخططهم في الصحراء . واطلق عليهم « اهل الظاهر » . ويعلل نزولهم في ظاهر الفسطاط بعودتهم المتأخرة من الاسكندرية حيث وجدوا الناس قد اختطوا خططهم « يقصد اهل الراية[١٢] » وهو تعليل لا يستند الى حجج معقولة . وانما المنطقي انهم نزلوا حول مركز المصر الذي هو المسجد ودار الامارة وخطط المسلمين الاوائل .

اسند عمرو بن العاص مهمة اسكان قبائل اهل الظاهر (اهل اليمن) الى اربعة من رجال اليمن هم معاوية بن حديج التجيبي وشريك بن سمي الغطيفي من مراد ، وعمرو بن قحزوم من خولان وحيويل بن ناشرة المعافرى ، فأنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل[١٣] فكان عمرو بن العاص لم يشأ ان يزج نفسه في شؤون هذه القبائل ، او انه اراد لهم الاستقرار في خططهم وفق رغباتهم وان هؤلاء اشد فهما لامور الاسكان .

لم يقتصر اسكان العرب على الفسطاط الواقعة في الشاطيء الشرقي من النيل ، اذ ان عددا منهم اسكن في الجيزة التي تقع في الجانب الغربي من النيل ، وقد تم هذا الاسكان منذ بداية تأسيس الفسطاط جزءاً من الخطة العامة في اسكان العرب . فعندما عاد عمرو بن العاص بجيشه من الاسكندرية ونزل الفسطاط ابقى طائفة من جنده بالجيزة تحسبا لعدو يغشاه . وكانت تلك الطائفة تتكون من قبائل يمانية فقط من آل ذي اصبح بن الحارث الحميرين وبني كثير ويافع بن زيد بن ذي رعين من حمير ايضا ومن همدان والحجر وطائفة من الحبش كان ديوانهم مع الحجر ويقال ان عمراً طلب اليهم اللحاق به فلم يرغبوا فكتب بأمرهم الى الخليفة الذي امره ان يبني لهم حصنا ففرغ من بنائه سنة **٢٢** هـ ،[١٤] وهو تعليل يسوقه الرواة لعدم استيعابهم اثر الناحية الامنية في تحديد اتجاهات الخطط .

ويظهر من دراسة خطط اهل اليمن في الفسطاط ان العرب احتفظوا بتكتلاتهم القبلية ، فكانت لكل عشيرة خطة تسمى بها ويسكن فيها افراد تلك العشائر ، واجتمعت عشائر كل قبيلة في منطقة ، غير ان بعض البطون ذكرت في قبائل اخرى والراجح ان هذه الوضعية استمرار لتحالفات قبلية سبقت الاسلام .

وخطط العشائر كثيرة ، وهي تدل على كثرة العشائر التي كونت الجيش العربي واستوطنت الفسطاط ، غير ان المصادر لم تذكر عدد افراد كل عشيرة ، وكل ما ورد فيها هو ان مقاتلة الفسطاط بلغوا اثني عشر ألفاً وثلاثمائة عدا

المصابين[١٥] وقيل خمسة عشر ألفاً[١٦] . وقد ذكرت المصادر رواية اخرى عن مقاتلة الفسطاط زمن ولاية مسلمة بن مخلد في خلافة معاوية بن ابي سفيان انهم اربعون الفاً منهم اربعة آلاف في مائتين مائتين[١٧] .

ومن المحتمل ان معاوية جعل كل عشيرة في الفسطاط من ألف مقاتل وعليها عريف ، شأن ما فعل في العراق والحجاز[١٨] . وقد ورد في المصادر ذكر عدد كبير من العشائر في الفسطاط ، وعدد من الأشخاص الذين ينتسبون الى بعض العشائر ، كما ذكرت المصادر ايضاً عرفاء عدد من العشائر ، غير انه يلاحظ ان المصادر لم تستوعب ذكر عرفاء كافة العشائر ، كما ذكرت مساجد العشائر الرئيسية ووصلت الينا عن مساجد العشائر روايتان مختلفتان[١٩] .

ان هذا الاضطراب في الروايات يجعل من الصعب معرفة اسماء العشائر المدونة في الفسطاط والتي ينبغي ان يكون عددها في عهد معاوية نحو اربع عشرة . وان هذه الصعوبة العامة تنطبق على اهل اليمن ، فان حصيلة المعلومات المتوفرة في كتب الخطط ونسبة الرجال في كتب التراجم تظهر قائمة كبيرة من عشائر اليمن في الفسطاط ، ويلاحظ ان الغالبية العظمى لهذه العشائر هي ممن كانت تسكن في اواسط وجنوبي اليمن ، اي من المنطقة التي اطلقنا عليها في كلامنا عن جغرافية اليمن منطقة حمير ، ومنطقة حضرموت ، ولكن المصادر لم تذكر عدد اهل اليمن في الفسطاط رغم احتفاظ الدواوين بأسمائهم حيث يشير ابن يونس صراحة الى سجلات ديوان العشائر واعتماده عليها مما يدل على وجودها الى زمنه في اواخر القرن الثالث الهجري .

الموالي

ومما تميزت به الفسطاط كثرة الموالي ، واختصاصهم بتنظيمات تشبه تنظيمات العرب ، ولكنها خاصة بهم . ومن المعلوم ان الموالي في صدر الاسلام هم افراد من الأعاجم مرتبطون بالعرب بروابط اجتماعية وقانونية ، وان كانوا اقل

منزلة من العرب . والموالي صنفان رئيسان : هما موالي العتاقة وموالي الاسلام . فأما موالي العتاقة فهم في الأصل ارقاء اعتقوا ، ويضمن لهم الاعتاق حقوق الأحرار في الحياة الدينية والمدنية ، ولكنهم يبقون مقيدين بارتباطهم بعشيرة سيدهم القديم لارتباطهم بالتزامات مادية تتجلى في وجوب التضامن مع العشيرة ومناصرتها واعانتها في اوقات الحروب وأحياناً عند الشدائد الاقتصادية . والصنف الثاني هو موالي الاسلام وهم افراد ينضمون باختيارهم الى العشيرة فيوالوها وتسري عليهم نفس احكام موالي العتاقة ، مع فارق اساسي هو ان لمولى الاسلام فك ولائه وارتباطه بالعشيرة متى شاء ، ما لم تدفع العشيرة عنه دية القتل الخطأ . والمنزلة الاجتماعية لكلا الصنفين من الموالي تتوقف على الأحوال الخاصة للمولى وعلى مواقف العرب منه . غير انه من حيث العموم لم تذكر الكتب اخباراً عن احتقار العرب في مصر للموالي او ازدرائهم او حرمانهم من الوظائف العامة . فقد كانوا يرثون من يوالون[٢٠] كما تولى بعضهم ولاية مصر[٢١] . وعمل بعضهم في الخراج[٢٢] او في الديوان[٢٣] . وكتب بعضهم للولاة[٢٤] ، والأهم من هذا انهم تولوا القضاء ، فعبد الله بن يزيد تولى القضاء سنة ١٠٠ ـ ١٠٥ هـ [٢٥] .

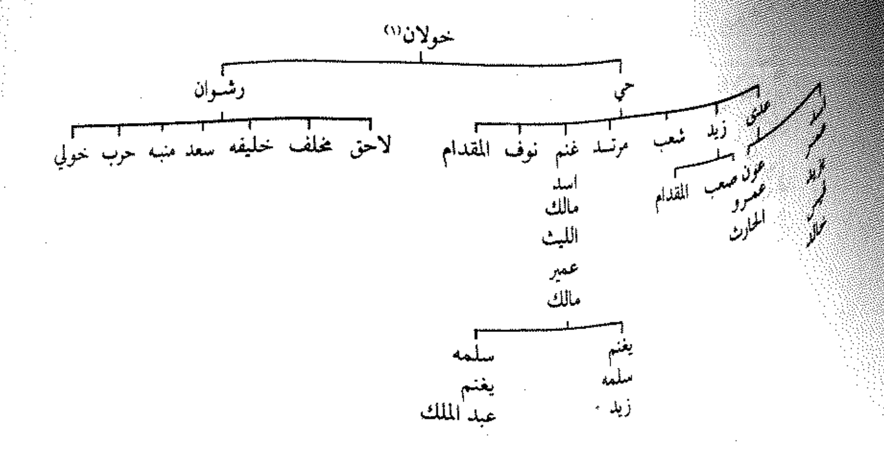
وبالرغم من الأحوال القانونية والاجتماعية التي يتسم بها الموالي إلا انهم لم يكونوا طبقة متماسكة ، بل كانوا جزءاً من القبيلة مرتبطين بها . اما في مصر فان الموالي ظلت روابطهم بعشائرهم ، وكانوا يسمون بها ، إلا انهم كونوا ايضاً كتلاً مستقلة لكل منها عريف وقد ذكرت المصادر اسماء عرفاء بعض القبائل اليمانية الكبيرة وأسماء عرفاء عدد من موالي العشائر فقد ذكرت الروايات عامر جمل عريف موالي مذحج[٢٦] ، وينه الحمراوي عريف الحمراء[٢٧] . وعبد الرحمن بن يحنس عريف موالي تجيب[٢٨] ، وحكيم بن سعيد الدهني عريف موالي دهنة من الازد[٢٩] . ولعشائر تجيب اكبر عدد من الموالي حيث ذكر ان ستاً من عشائرها كان لكل منها موالي يتلوها مراد ومنها ثلاث عشائر لها موالي ، اما بقية القبائل فقد ذكر موالي لعشيرة واحدة منها فقط . وبعضها لم يذكر لمواليها عريف مما يدل

على قلة مواليها .

ان وجود العرفاء على مجموعات الموالي يدل على ان تنظيمهم هذا قد اقرته الدولة ، وهو بالدرجة الأولى يخدم اغراض التنظيم العسكري الذي كان يلقى الاهتمام الأول من الدولة نظراً لحاجة الدولة للمقاتلة . ولا بد ان لعرب في الفسطاط كانوا قواد المقاتلة فكان شريح بن ابي شرحبيل على مراكب الموالي سنة ٩٨ هـ [٣٠] . ولم تقتصر عرافة الموالي على الفسطاط بل وجدت ايضاً في الاسكندرية وذلك في اواخر العصر الأموي فعبد الأعلى بن الهجري كان على الموالي بالاسكندرية[٣١] ، ومن الطبيعي ان العمل الرئيسي لهؤلاء الموالي هو القتال ، اذ ان الاسكندرية هي الثغر والمنفذ الذي يهدد منه اسطول الروم .

كان الموالي يقيمون في خطط قبائلهم ، اذ لم ترد اشارة الى خطة خاصة بالموالي عموما او بأية مجموعة منهم ، برغم التفاصيل الواسعة التي قدمتها الكتب عن خطط الفسطاط . ويذكر ابن دقماق ان موالي شريك بن الطفيل الازدي ورثوه في ثلث خطته[٣٢] ، وهي اشارة ايجابية الى سكن الموالي مع عشائر العرب ، ولعل هذه الحالة تنطبق على بقية الموالي الذين لم تذكر المصادر محلات سكناهم ، ومن الطبيعي ان هؤلاء الموالي هم غير الحمراء والفرس الذين كانت لهم خطط خاصة بهم .

لقد كانت للموالي مكانة طيبة في تنظيم الفسطاط . وكان بعضهم يأخذ شرف العطاء ، أي اعلى مقدار من العطاء ، وهو ما كان يطمح العرب الى الحصول عليه . وقد ذكرت المصادر انه كان في « شرف العطاء » عبد الرحمن ابن قيس عريف الموالي تجيب[٣٣] ، وكذلك ينه الحمراوي عريف الحمراء[٣٤] . والراجح ان آخرين من موالي كانوا ايضا في شرف العطاء ، ولكن المصادر التي اطلعت عليها لم تذكرهم او تشير الى نسبهم ، ولا ريب في ان عددا كبيرا من الموالي في مصر هم من العتقاء ، او موالي الاسلام الذين استوطنوا الفسطاط بعد تأسيسها ، غير انه من المؤكد ان نسبة كبيرة منهم ممن جاء من اليمن مع سادتهم



(١) الاكليل : ٢٠٨/١ ، ٣٢٤ . ابن حزم : ١٩٣ أكثر خولان في مصر وبعضهم في الشام .

من زعمائها وقبائلها . ويلاحظ ان كافة **مجموعات الموالي** التي لها عرفاء كانت متصلة بأهل اليمن . ولعل من العوامل الرئيسة في حسن وضع الموالي ومعاملتهم والنظرة اليهم في مصر ، هو أن اهل اليمن الذين كونوا غالبية العرب في مصر ، كانوا آلفين وجود الموالي والاجانب واستخدامهم في القتال ، وان كثيرا من موالي الفسطاط هؤلاء هم ممن جاؤا من اليمن ، فاحتفظوا بمكانتهم القديمة وبنظرة اهل اليمن القديمة اليهم .

ومن قبائل اليمن في الفسطاط :

تجيب

من ابرز قبائل حرب التحرير في مصر سكنت شرقي الحصن وجاورت مهرة والصدف من الشمال وسلهم من مراد من الشرق وعلان بن مراد وخولان من الجنوب[٣٥] . وكانت لها بطون كثيرة في مصر مما يدل على كثرة عددها . كما انها تمتعت بمركز بارز في الفسطاط ولدينا عنها معلومات مفصلة ولعل بعض ذلك راجع الى ان الكندي الذي وضع كتابه المشهور عن ولاة مصر وقضاتها منها ، شارك بعضها في التمرد على الخليفة عثمان وكان منهم كنانة بن بشر احد قتلته[٣٦] ، غير ان العديد من رجالها شغلوا وظائف مهمة ومنوعة ومنهم معاوية بن حديج أحد واضعي خطط الفسطاط[٣٧] ، وعرفت تجيب بكثرة من تقلد القضاء من رجال[٣٨] ، ومن بطون تجيب السوم ، منهم قيسبة بن كلثوم ، جاء للقتال في جيش عمرو ومعه اهله وعبيده وخيله ، وتبرع للمسلمين بارضه التي حازها في معركة الحصن وبها مسجده ثم اختط مع تجيب[٣٩] الابذوي ، من ولده جماعة من أهل العلم بمصر ولهم موالي[٤٠] سعد ، شهدوا تحرير مصر[٤١] الايدعان ، ولهم موالي[٤٢] عامر بن عدى ،[٤٣] . الاعجمي ، لهم موالي منهم ابو المهاجر البلهيبي عريف موالي تجيب وهو في شرف العطاء[٤٤] . الزميلي[٤٥] ، فهم ، لهم موالي[٤٦] . العريضي[٤٧] . نصر بن معاوية[٤٨] . قتيرة ، ومنهم معاوية بن حديج احد واضعي خطط الفسطاط . ولاسرة معاوية شهرة ومكانة في

الفسطاط تمثلت في كثرة الوظائف التي تقلدها ابناؤها[٤٩] . خلادة ، بنو سريح[٥٠] . بنو الاواب ، ولهم موالي[٥١] . بنو العبادي ، لهم موالي[٥٢] . بنو القرناء ، لهم موالي[٥٣] ، كانوا من ابن جحدم . بنو عفان[٥٤] . بنو الفردم[٥٥] .

خولان

شهد التحرير منها بنو عبد جعل وبنو البقري[٥٦] . غير ان بطونها الاخرى ارتحلت الى الفسطاط واستقرت فيها مع بطونها التي سبقتها الى جنوب تجيب[٥٧] ، والغالب عليهم البداوة فلم يبرزوا في الفسطاط . ومنها عمرو بن قحزم احد مخططي الفسطاط وعرفت القبيلة بقضاتها[٥٨] .

ومن بطون القبيلة في الفسطاط :

بنو حي[٥٩] .

بنو رشوان[٦٠] .

الجدادي[٦١] .

بنو يعلى ، وكان لهم موالي ينسبون الى زياد بن حنيش بن بني يعلى[٦٢] .

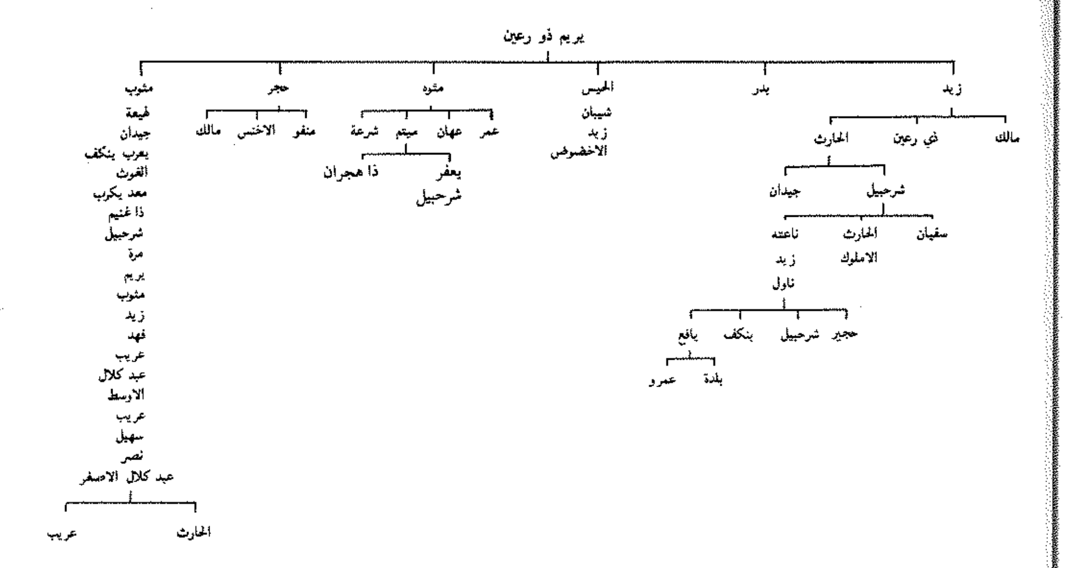
الاخضوض[٦٣] .

الحباوية[٦٤] .

الحدس[٦٥] .

مذحج

من القبائل التي شاركت في حروب التحرير . وكان منها شرحبيل بن حجبة اول من صعد على الحصن مع الزبير بن العوام[٦٦] ، واستقرت في الفسطاط بين خولان وتجيب . وتذكر الروايات القبيلة باسمها العام الا انها تذكر



ايضا بعض عشائرها مثل مراد وزبيد[٦٧] . وتذكر ايضا بطون عشائرها مثل غطيف وعلان من مراد ويظهر هذا الامر حتى في مواضع ارتباع القبيلة حيث تعددت الجهات التي ترتبع بها وبعضها كان يرتبع مع قبائل اخرى مثل تجيب[٦٨] . كما ان بعض بطونها مثل سعد العشيرة يذكرون مع العتقاء وليس مع القبيلة[٦٩] .

وقد مثل القبيلة شريك بن سمي الغطيفي المرادي في وضع خطط الفسطاط[٧٠] ، كما برز من القبيلة اشخاص عديدون شغلوا وظائف ادارية او عسكرية ، ويذكر للقبيلة موالي كثيرون ، فكان لزوف مواليهم ولرضا وحجل وسلهم ولكثرتهم كان لهم عريف واحد في شرف العطاء[٧١] .

واشتهر من عشائر مذحج في الفسطاط مراد وهي الاوسع بين عشائر مذحج والاكثر عددا وكانت لها مكانة بارزة في المجتمع مما يدل على تحضرها ومن بطونها المشهورة :

غطيف ، وهم رهط فروة بن مسيك المرادي صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾[٧٢] .

زوف ، ساهموا في الحرب مع مواليهم وكان عريف مواليها ينه الحمراوي والراجح ان هذا البطن كان له موالي كثيرون في اليمن[٧٣] .

رضا ، لهم موالي[٧٤] .

كعب[٧٥] .

جمل ، لهم موالي ومن مواليهم عامر جمل عريف موالي مذحج[٧٦] .

وعلان[٧٧] .

جنب ، وهي تسمية لحلف ضم مجموعة من بطون مذحج كانت خطتهم مجاورة لمراد ، والظاهر ان هذا هو مصدر نسبتهم الى مراد[٧٨] .

سلهم ، من سعد العشيرة كانوا مع مراد ولهم موالي[٧٩] .

زبيد[٨٠] .

زعافر ، من سعد العشيرة ايضا[٨١] .

قبائل حمير

سبقت الاشارة الى مكانة حمير في تأريخ اليمن في دراستنا عن احوال اليمن قبيل الاسلام ، ثم لاحظنا كيفية خروج حمير الى الجهاد ومساهمتها في حروب الشام في وقت مبكر من خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقد شاركت العديد من عشائر حمير في معارك مصر واستوطنت في مكانين ، فقد نزل بعضها في الفسطاط الى الجنوب من مذحج وخولان ، بينما نزل القسم الباقي في الجيزة . والملاحظة البارزة على خططهم في كلا المكانين ان القبائل التي ذكرتها الروايات مع حمير في منطقتها باليمن رافقتها الى الفسطاط فقد نزل معها بنو موهب من الاشعرين ، والسكاسك وسبأ وعبس من زوق وقد حافظت حمير على وحدتها في الفسطاط وظهر هذا واضحا عندما انتقلت المعافر من خطتها مع أهل الراية وتزلت مع حمير[٨٢] . ومن عشائر حمير في الفسطاط :

ذو الكلاع ـ نزلوا مع عشائر حمير في القسم الغربي من خطتهم ، وكان من بطون العشيرة في الفسطاط بنو نخلان والزيادي والخبائر ونعيمة والسلف

ذو رعين ـ من عشائر حمير الكبيرة ، سكن بعضها في الفسطاط ، وسكن البعض في الجيزة مع قبائل حمير هناك . وظهر في العشيرة خلق كثير من العلماء[٨٤] . ومن بطونها ميتم[٨٥] . والقبض[٨٦] وناشره من قتبان[٨٧] . والعبل[٨٨] وصبح[٨٩] وعبد كلال[٩٠] وبحر ووائل[٩١] وكحلان[٩٢] والاملوك[٩٣] وبدر[٩٤] بنو عمر بن قيس ومنهم الاشعوبي[٩٥] بنو يحصب[٩٦] .

ومن حمير ايضا كانت في مصر بعض البطون :

آل ذي يزن[٩٧] .

عامر ذو يــزن

سيف

- عبيد
  - قيس
    - النعمان
      - الحارث
      - عفير الاكبر
      - زرعه
      - عفير الاوسط
      - النعمان ذو يزن الاصغر
        - عمرو
          - هعان
          - زرعة
        - سيف
          - عامر
          - زرعة
          - عفير الاصغر
    - الفياض
      - عمرو
      - عامر
      - عمرو ذا نعامة
- معد يكرب
  - عمرو
  - فياض

بنو عبس من زوف[٩٨] . (وزوف من مراد فالراجح انهم محالفين لذي رعين)

سبأ بن حمير ، وعامتهم بمصر[٩٩] ، ومنهم السحول[١٠٠] ، وكانوا مع رعين مما يشير الى ان جميع البطون الاخرى كانت معها .

ابن ذي هجران[١٠١] .

آل ذي خليل ، لهم موالي[١٠٢] .

الصنعاني[١٠٣] .

البس[١٠٤] .

المعافر .

من عشائر حمير الكبيرة كان معها في مصر من قبائل اليمن التي كانت معها في منطقتها بنو موهب والاكثوع والشعب من الاشاعرة ، وبعض السكاسك وجيشان من حمير وناشره من مذحج[١٠٥] . والظاهر انهم كانوا كثيروا العدد حتى ان الذين شاركوا في ثورة ابن جحدم على مروان بلغ عددهم آنذاك عشرين الفا[١٠٦] ، ومن بطونهم في مصر الجند[١٠٧] وخليفة[١٠٨] والقرافة ولهم موالي[١٠٩] ، وناشره[١١٠] وبنو سريع[١١١] والاخمور[١١٢] والحبشي[١١٣] والحبلي[١١٤] وجيزا[١١٥] .

حضرموت .

استقرت القبيلة في الفسطاط شرق الصدف وسلهم من مراد حتى وصلوا الصحراء[١١٦] . ويبدو ان القبيلة انقسمت بسبب خلاف بين مسلمة بن مخلد والي مصر والملامس بن جذيمة عريف حضرموت فارتحل بعضها الى فلسطين وبقي بنو عوف في الفسطاط[١١٧] . وبرز من القبيلة افراد متعددون شغلوا وظيفة

القضاء[١١٨] .

وقد اعتمد عليها معاوية فكتب لمسلمة بن مخلد عامله على مصر : « لا يتولى عملك الا ازدى او حضرمي فأنهم اهل الامانة[١١٩] . ومن بطون حضرموت : الاشبا . دخلوا مع عمرو[١٢٠] .

البسي ، التحقوا مددا .[١٢١]

بنو عيدان ، التحقوا مددا[١٢٢] .

بنو سخرور التحقوا مددا .[١٢٣]

بنو باهض من الاحدوث ، التحقوا مددا[١٢٤] .

بنو الحرث[١٢٥] .

بنو سريع ، كان لهم موالي[١٢٦] .

بنو عوف[١٢٧] .

بنو ثويه ، لهم موالي[١٢٨] .

الصدف :

من القبائل الكبيرة التي شاركت في تحرير مصر ، كان لها دور بارز اشارت له الروايات في فتح الحصن وقتال الاسكندرية[١٢٩] . استقرت شمال تجيب . وكان لها عريف[١٣٠] . ويبدو ان الروح القتالية للقبيلة مصدرها عدم تحضرها ، وكانت دعوة الصدف مع كندة[١٣١] . ومن بطونها في مصر :

الابود .[١٣٢] .

الا جذوم ، وهم الاكثرية . ومنهم بنو عوف ، وكان للاجذوم موالي[١٣٣] .

العريفي[١٣٤] .

حريم[١٣٥] .

موهب[١٣٦] .

الجليح[١٣٧] .

حجر من بني شريح[١٣٨] .

عفير من بني شريح[١٣٩] .

ناعمة[١٤٠] .

حبشي[١٤١] .

خالد بن يزيد بن اسيد[١٤٢] .

الاحكول .[١٤٣] .

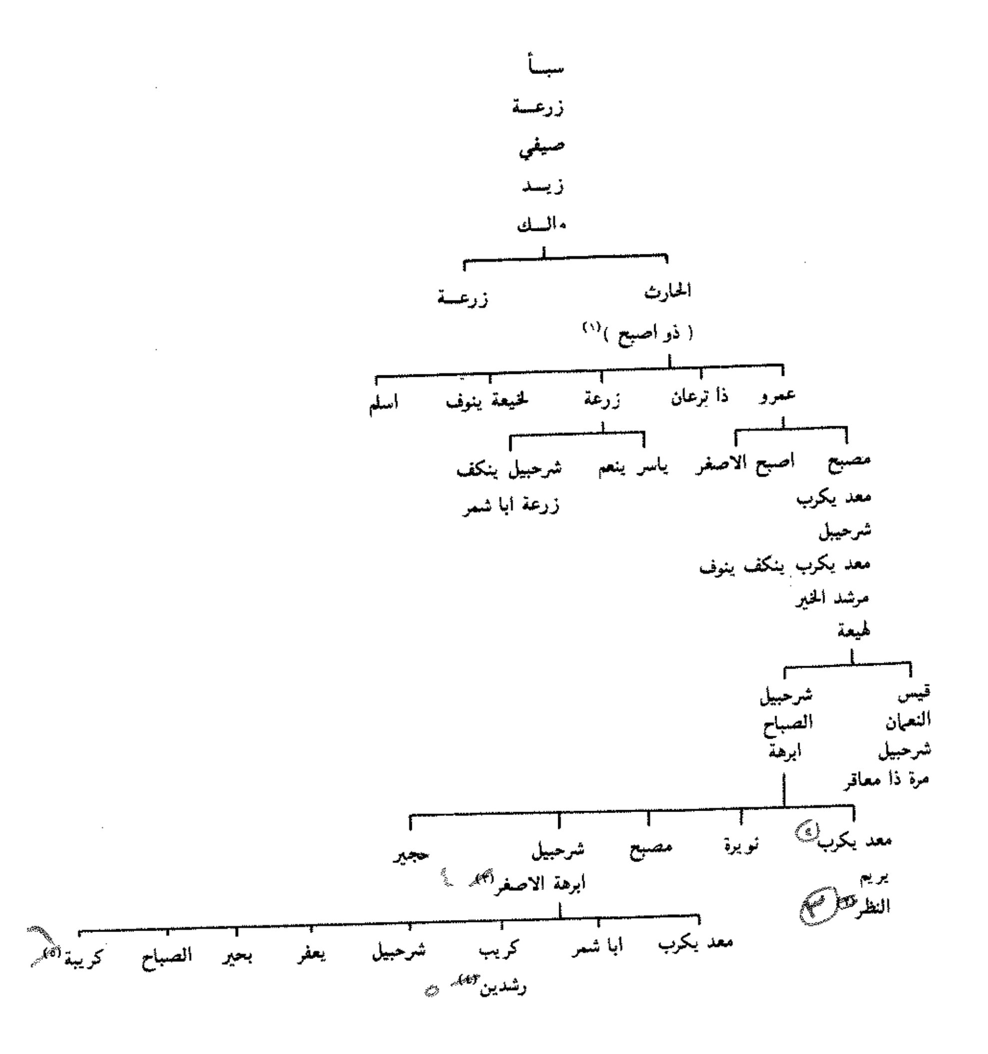
مهرة

من قبائل قضاعة . ومساكنها شرقي حضر موت ، اختطت في جبل يشكر عند الخندق ثم نقلها عمرو بن العاص الى خطتها قبلي الراية[١٤٤] ، وذكرت في حملة عبد الله بن سعد[١٤٥] إلى افريقية زمن عثمان بن عفان في ستمائة مقاتل[١٤٦] .

الازد :

شاركت قبائل الازد في تحرير مصر منذ البداية وابرزها عك ، حتى ان ابن عبد الحكم قال عن جيش عمرو بن العاص « اربعة الاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ... ثلثهم غافق »[١٤٧] . وخطتهم من اوسع الخطط وبخاصة غافق ومع ان ابن عبد الحكم افرد صفحتين للحديث عنها الا انه ختم بحثه بقوله « ولغافق من الخطة اكثر مما ذكرنا غير ان هذه جملتها »[١٤٨] . كذلك كان مرتبعها واسعا وشمل بوصير ومنوف ودسبنس واتربب[١٤٩] . وفيما عدا بني بحر من الازد كانوا مع لخم ودوس التي كانت مع اهل الراية فان بطون الازد نزلت متجاورة بين بلي جنوبا ولخم شمالا[١٥٠] . وبرز من رجالها العديد في الوظائف العامة ، وهي وحضرموت من القبائل التي اوصى معاوية باستخدامها للولاية[١٥١] . فكانوا قادة ومفكرين[١٥٢] ومن بطون الازد في الفسطاط :

عك ـ وابرزهم من انتسب الى غافق ، ومنهم بنو دهنة ومواليهم وبنو الحرثة ولعسان[١٥٣] . غنت . ذكر منهم سبعمائة رجل في غزوة عبد الله بن سعد



(١) انظر الاكليل : ٢/١٤٢ وما بعدها .

(٢) ن م : ٢/١٤٨ استقر في الشام . امه صفية بنت معبد بن العباس .

(٣) هاجروا الى الشام زمن الخليفة عمر . نشوان : ص ١٧٠

(٤) الاكليل : ٢/١٥٠ . ١٥١ . استقر احد ابناءه في الشام واستقر الاخر في الكوفة مع النخع .

(٥) ن . م : تزوجها السميفع بن ناكور الكلاعي وهاجر بها الى الشام .

لافريقية[١٥٤] . ميدعان ، كذلك[١٥٥] وتذكر الروايات خيتم ومازن وبني شبابة[١٥٦] .

اما قبائل الجيزة فابرزها قبائل حمير وهي :

ذو اصبح :

قدموا مصر في الحملة الاولى مع عمرو بن العاص ويبدو انهم كانوا في طليعة الجيش فقد ذكرت الروايات ان ابرهة بن شرحبيل بن ابرهة قاد فتح الفرما[١٥٧] ، ثم استعمل كريب بن ابرهة على رابطة الاسكندرية لعبد العزيز بن مروان ، وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ويقال انه اذا سار سار في ركابه خمسمائة رجل من حمير[١٥٨] .

ونزل في الجيزة من حمير بعض بطون رعين ومنهم يافع وبخاصة بني سحيت[١٥٩] كذلك بنو الحجر وعامتهم بمصر في الجيزة ومنهم بنو الاخنس[١٦٠] وذبحان[١٦١] والاسحم[١٦٢] وبنو الاردن منهم علقمة بن جنادة بن عبد الله بن قيس خطته بالجيزة وولي البحر لمعاوية بن ابي سفيان[١٦٣] .

همدان :

شاركت في التحرير واستقرت في الجيزة[١٦٤] مع بعض من اهل اليمن من حمير مثل يافع وذي اصبح والحجر والافروع[١٦٥] ، كما كانت معهم بعض خولان[١٦٦] . وقد رأينا سابقا ان همدان مخالطة لحمير في بعض مناطق اليمن ومحالفة لها وليس واضحا نوع العلاقة بينها وبين بطون حمير في الفسطاط وما اذا كان نزولهم معا في الجيزة ناتجاً عن علاقة قديمة وان هذه العلاقة وضعت في خدمة تأمين الفسطاط . ومن أشهر بطون همدان في الفسطاط بنو خيوان[١٦٧] ، بينما وردت الاسماء الاخرى في نسبة عامة للقبيلة .

● هوامش الفصل الثاني ●

١) فتوح البلدان : ٢٤٩ ، ٢٥٠ . فتوح مصر : ٥٨ .

٢) انظر تفاصيل ذلك في كتاب « فتح العرب لمصر » تأليف محمد فريد ابو حديد . وكتاب « عمرو بن العاص » لحسن ابراهيم حسن .

٣) فتوح مصر : ١١٩ ، ١٢٣ . حسن المحاضرة : ١/ ٢٥٧ . الاكمال : ٤/ ٩١ . القضاة : ٣٢٣ .

٤) فتوح مصر : ١١٨ .

٥) فتوح مصر : ١٨٤ .

٦) فتوح مصر : ١١٩ . الاكمال : ٤/ ٩١ . حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٧ .

٧) فتوح مصر : ٨٨ . الاكليل :

٨) فتوح مصر : ١٨٤ .

٩) مصر في فجر الاسلام : ٧٣ .

١٠) فتوح مصر : ١١٦ . معجم البلدان : ٢/ ٧٤٥ .

١١) خطط المقريزي : ٢/ ٧٦ .

١٢) الانتصار : ص ٤ . خطط المقريزي : ٢/ ٧٨ .

١٣) حسن المحاضرة : ١/ ١٣١ . وأورد المقريزي هذه الرواية عن القضاعي : الخطط : ٢/ ٧١ .

١٤) فتوح مصر : ١٢٨ . الانتصار : ١٢٥ . حسن المحاضرة : ١/ ١٣٦ .

١٥) القضاة : ٩ .

١٦) المصدر السابق . ايضاً فتوح البلدان : ٢٥٠ ، ويؤيد ابن عبد الحكم هذه الرواية ، فهو يذكر جيش عمرو بن العاص الذي انفصل به ثلاثة آلاف وخمسمائة الى اربعة آلاف ثم امده الخليفة بأربعة آلاف ثم امده بأربعة آلاف أخرى . كما التحق به من راشدة وقبائل لخم عند جبل الحلال عدد من العرب . فالرواية اذا مقاربة لما ذكره البلادري الذي يرى ان الخليفة امد عمرو بجيش واحد تعداده عشرة آلاف مقاتل . بينما ابن عبد الحكم ذكر رواية قدرت جيش الامداد اثنا عشر ألف مقاتل . انظر فتوح مصر : ٥٨ ـ ٥٩ ، ٦١ .
فتوح البلدان : ٢٤٩ ، ٢٥٨ . القضاة : ٨ .

١٧) فتوح مصر : ١٠٢ ، ٣١٦ . خطط المقريزي : ١ / ٩٤ . فضائل مصر : مخطوط . ورقة ٢٠٧آ .

١٨) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة : ٥٠ ـ ٥١ .

١٩) فضائل مصر لابن زولاق : مخطوطة باريس : ورقة ١٩٦ ب . الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة لابن ظهيرة رواية عن ابن زولاق .
غير ان بين الروايتين فروقاً في اسماء العشائر والبطون وأعداد المساجد انظر ص ١٠٣ ، ١٠٦ .

٢٠) الانتصار : ١٧

٢١) الاكمال : ٤ / ٢٧٣ ، حيان بن شريح والي مصر لعمر بن عبد العزيز

٢٢) الاكمال : ٦ / ٣٤٤ ، سلّيمان بن ابي صالح عامل خراج مصر لابن الحبحاب .

٢٣) الاكمال : ٤ / ٢٨٤ ، ٦ / ٤٧ .

٢٤) الاكمال : ٤ / ٢٨٠ .

٢٥) القضاة : ٣٣٨ .

٢٦) الاكمال : ٢ / ١٢١ .

٢٧) المصدر السابق : ٩ / ١٨٤ .

٢٨) المصدر السابق : ١ / ١٠ ، ٤٥٨ ، ٢ / ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ . القضاة : ٥٤ . عجالة المبتدي : ٩ .

٢٩) عجالة المبتدي : ٥٩ .

٣٠) الاكمال : ٤ / ٢٨٠ .

٣١) القضاة : ٩٦ .

٣٢) الانتصار : ١٧ .

٣٣) القضاة : ٥٤ .

٣٤) الاكمال : ١/ ١٨٤ .

٣٥) فتوح مصر : ١٢٥ .

٣٦) الاصابة : ٣/ ٣٠٠ . الاكمال : ١/ ١٨٩ .

٢٧) حسن المحاضرة : ١/ ١٣١ . الاشتقاق : ٣٧١ . الاكمال : ٦/ ٤٠١ .

٣٨) حسن المحاضرة : ٢٩٦٩ ، ٢٩٩ . الاصابة : ٢/ ١١٣ . القضاة : ٣٢٨ ـ ٣٣٠ . ٦/ ٢٨٠ . فتوح مصر : ١٤٥ .

٣٩) عجالة المبتدي : ٧٦/٦١ . الإكمال ٥١٨/٢ ، ٥٨١، ١٩٣/٣ . ٢٨٠/٦ . فتوح مصر : ١٤٥ .

٤٠) عجالة المبتدى : ٩ . الاكمال : ١/ ١٠ ، ٤٥٨ . ٢/ ٢٣ ، ٤٠ ، ٤٤ حسن المحاضرة : ١/ ١٩٥ .

٤١) فتوح مصر : ١٢٥ . القضاة : ٥١ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ .

٤٢) عجالة المبتدى : ٢١ . الاكمال : ١/ ٥٢ . الاصابة : ٣/ ٦٣٧ . حسن المحاضرة : ١/ ٩٦ . فتوح مصر : ١٢٥ . القضاة : ١٧ ـ ٢٠ .

٤٣) عجالة المبتدى : ٨٨ . الاصابة : ٦/ ٧٠٠ . جمهرة انساب العرب : ٤٠٤ .

٤٤) الاكمال : ٥/ ٦٢ . فتوح مصر : ٨٤ . القضاة : ١٥ .

٤٥) الاكمال : ٤/ ٩٧ . ٢٢٥ . ٢٧٩ .

٤٦) الاكمال : ١/ ٥٢٦ ، ٤/ ٢٨٠ . ٢٨٥ . القضاة : ٦٤ .

٤٧) الاكمال : ٢/ ٦ .

٤٨) الاصابة : ١/ ٤١ .

٤٩) الاصابة : ٣/ ٣٠٠ . الاكمال : ١/ ١٨٩ ، ٦/ ٤٠١ . الاشتقاق : ٣٧١ . حسن المحاضرة : ١/ ١٣١ .

٥٠) الاكمال : ٢/ ٥٧٦ .

٥١) عجالة المبتدى : ٢٥ .

٥٢) عجالة المبتدى : ٢٠ . الاكمال : ١/ ٨٣ ، ١٢١ . ٢/ ٤٥٦ .

٥٣) المصدر السابق : ٦/ ٣٤٤ . عجالة المبتدى : ٩٠ .

٥٤) الإكمال ٢/٩٨ . ٦/٢٧٧

٥٥) المصدر السابق : ٣/ ٣١٢ .

٥٦) المصدر السابق : ١/ ٢٠٠ .

٥٧) الاكمال : ١/ ٥٨ ، ١٨١ . ٢/ ٩٧ . الاصابة : ١/ ٧٨ . الاكليل : ١/ ٣٤٩ . ٣٥٤ .

٥٨) فتوح مصر : ٨٨ .

٥٩) القضاة : ٥١ . ٣١٢ . ٣١٩ . ٣٢٠ . ٣٣١ . ٣٣٣ .

٦٠) الاكليل : ١/ ٢٠٨ .

٦١) الاكليل : ١/ ٣٢٤ .

٦٢) الإكليل : ١/ ٣٢٣ ، ٣٤٩ . ٣٥٠ . عجالة المبتدي : ٣٧ . الاكمال : ١/ ٦٠ . ٢/ ٦٦ . ٢٦٨ . ٤/ ٢٦ . الاصابة : ٣/ ٨٧ .

٦٣) الاكمال : ٤/ ١٦٩ . ٦/ ٢٣ .

٦٤) الاكليل : ١/ ٣٢٥ ، ٣٤٩ . اكمال الاكمال : ٤/ ١٧٠ .

٦٥) فتوح مصر : ١٢٥ .

٦٦) الاكمال : ٢/ ٢٤٣ .

٦٧) فتوح مصر : ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٧٥ . حسن المحاضرة : ١/ ٢١٢ ، ٢٣٤ . الاكمال : ٤/ ٣٤٥ . ١/ ٩١ . ٢/ ٩١ . تاريخ الطبري : ٤/ ١٠٥ .

٦٨) فتوح مصر : ١٢٦ .

٦٩) المصدر السابق : ١٤٧ . كانوا يرتبعون في اليدقون .

٧٠) عجالة المبتدى : ٩٠ . الاكمال : ٢/ ١٥٣ .

٧١) حسن المحاضرة : ١/ ١٣١ ، ١٥٥ .

٧٢) الاكمال : ٢/ ٣٣٨ ، ٤/ ٧٥ ، ٦/ ٤٧ ، ٢/ ١٢١ ، ١/ ١٨٤. فتوح مصر : ١٢٣. عجالة المبتدى : ٧٥ .

٧٣) عجالة المبتدى : ٩٩ . الاكمال : ٢/ ٩١ . ٣/ ٥٣٠ .

٧٤) الاكمال : ١/ ١٨٤ .

٧٥) المصدر السابق : ٤/ ٧٥ . ٦/ ٤٧ .

٧٦) الاكمال : ٤/ ٣٤٥ .

٧٧) المصدر السابق : ٢/ ١٢١ ، ٢٥١ . الاصابة : ٥/ ٧٩ .

٧٨) فتوح مصر : ١٢٥ .

٧٩) الاكمال : ٢/ ٢١٤ . عجالة المبتدى : ٤٢ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٨ .

٨٠) فتوح مصر : ١٢٣ . عجالة المبتدى : ٧٥ .

٨١) حسن المحاضرة : ١/ ٢١٢ . ٢٣٤ . فتوح مصر : ٩٤ ، ١٠٣ . ١٧٥ . تأريخ الطبري : ٤/ ١٠٥ . الاكمال : ١/ ٩١ . ٢/ ٩١ .

٨٢) عجالة المبتدى : ٦٨ .

٨٣) فتوح مصر : ١٢٦ .

٨٤) عجالة المبتدى : ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١١٥ . ١١٧ . الاكمال : ٢/ ١١٣ ، ٣/ ٢٩١ ، ٤/ ٣٧٠ . ٤٦٦ .

٨٥) فتوح مصر : ١٢٥ . ١٢٦ . عجالة المبتدى : ٦٦ .

٨٦) عجالة المبتدى : ١١٥ .

٨٧) الاكمال : ٤/ ٢٨٣ . ٦/ ٤١١ .

٨٨) الاكمال : ٢/ ٤٢ ، ٣/ ٦٢٩ . عجالة المبتدى : ١٠٢ . الاصابة : ١/ ٢٥٩ . حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٨ . ١٨٣ .

٨٩) الاكمال : ٤/ ٨٥ . عجالة المبتدى : ٩٠ . الاصابة : ٤/ ١٢٨ .حسن المحاضرة : ١/ ٢١١ .

٩٠) الاكمال : ٥/ ٩٥ .

٩١) الاكمال : ١/ ٢٤١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٢/ ٥٠ ، ٦/ ٣٦٦ . حسن المحاضرة : ١/ ١٩١ .

٩٢) عجالة المبتدى : ١٠٦ .

٩٣) عجالة المبتدى : ٣٤ . الاكمال : ٢/ ٥١٤ .

٩٤) الاكمال : ٤/ ٩٣ .

٩٥) الاكمال : ٦/ ٢٧٦ .

٩٦) عجالة المبتدى : ٧٨ . الاكمال : ٢/ ٥٤٥ .

٩٧) عجالة المبتدى : ٣٠ ، ١٢٤ . الاكمال : ١/ ١٤٦ . ٤١٧ .

٩٨) حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٦ .

٩٩) فتوح مصر : ٦٤ .

١٠٠) فتوح مصر : ١٢٦ . عجالة المبتدى : ٧٢ . الاكمال : ١/ ٩٠ . ٤/ ٥٣٣ .

١٠١) عجالة المبتدى : ٧٢ .

١٠٢) فتوح مصر : ١٢٦ .

١٠٣) الاكمال : ٤/ ٥٣٤ .

١٠٤) عجالة المبتدى : ٧٢ .

١٠٥) الاكمال : ٤/ ٥٠٧ .

١٠٦) الاكمال : ٣/ ٣٧٢ . ايضا ١/ ١٩٧ ، ٢/ ٣٦ ، ٣/ ٣٧٠ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٧ . الاكليل : ٢/ ٣٣٥ .

١٠٧) خطط المقريزي :

١٠٨) الاكمال : ٤/ ١٩٦ . عجالة المبتدى : ٤٢ .

١٠٩) الاكمال : ٣/ ٢٤٧ . القضاة : ٣٦ . عجالة المبتدى : ٥٧ .

١١٠) عجالة المبتدى : ١٠٣ .

١١١) الاكمال : ١/ ١٩٧ ، ٢/ ٣٦ ، ٣/ ٣٧٠ . عجالة المبتدى : ١١٦ .

١١٢) الاكمال : ٢/ ٣٥ .

١١٣)الاكمال : ٤/ ٢١ .

١١٤) المصدر السابق : ٣/ ٢٣٩ .

١١٥) المصدر السابق : ٣/ ١٢٩ .

١١٦) فتوح مصر : ٦٤ . الاكمال : ٢/ ٩٧ .

١١٧) فتوح مصر : ١١٩ ، ١٢٣ . حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٧ . الاكمال : ٤/ ٩١ . القضاة : ٣٢٣ .

١١٨) فتوح مصر : ١٢٤ .

١١٩) حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٦ ،، ٢٩٧ ، ٢٩٩ القضاة : ٣٢٣ . ٣٢٤ . فتوح مصر : ١١٨ . الاكمال : ٤/ ٩١

١٢٠) فتوح مصر : ١٢٥ . القضاة : ٤٢٦ .

١٢١) فتوح مصر : ١٢٣ . الاكليل : ٢/ ٣٦٩ . ويعتقده . خورشيد : ص ٢٠٠ انهم خطأ وان الكلمة الابناء والا جدر به كان الرجوع الى نسب حضر موت وتاريخها السياسي لظبط نسبها .

١٢٢) الاكمال : ١/ ٥٠٨ . عجالة المبتدى : ٢٩ . فتوح مصر : ١٢٣ .

١٢٣) الاكمال : ٦/ ٩٨ .

١٢٤) المصدر السابق : ٤/ ١٦ .

١٢٥) المصدر السابق : ٢/ ١٨ .

١٢٦) فتوح مصر : ١٢٣ .

١٢٧) المصدر السابق :

١٢٨) المصدر السابق : ١٢٤ . الاكمال : ٤/ ٢٨٣ .

١٢٩) حسن المحاضرة : ١/ ٢٩٧ . فتوح مصر : ١١٩ . الاكمال : ٤/ ٩١ .

١٣٠) فتوح مصر : ٧٣ ، ١٢٣ . الاكمال : ٢/ ٣١١ . عجالة المبتدى : ٩.

١٣١) فتوح مصر : ١٢٣ .

١٣٢) عجالة المبتدى : ٨٠ . نهاية الارب في معرفة انساب العرب : ٦٢ .

١٣٣) عجالة المبتدى : ٩ . الاكمال : ١/ ١٠ .

١٣٤) عجالة المبتدى : ٩ . الاكمال : ١/ ٣١ ، ٢/ ٣١١ ، ٤/ ٢٧٩ . فتوح مصر : ١٢٣ .

١٣٥) الاكمال : ٢/ ١٧٤ . الاكليل : ٢/ ٢٨ .

١٣٦) الاكمال : ٣/ ١٣٤ .

١٣٧) حسن المحاضرة : ١/ ١٨٦ . الاكمال : ٣/ ١٣٥ .

١٣٨) الاكليل : ٢/ ٣٩ .

١٣٩) المصدر السابق

١٤٠) المصدر السابق

١٤١) فتوح مصر : ٧٣ .

١٤٢) الانتصار : ٥٥ .

١٤٣) الاكمال : ٤/ ٩١ .

١٤٤) المصدر السابق : ٤/ ٣٤٣ .

١٤٥) فتوح مصر : ١١٨ .

١٤٦) المصدر السابق : ١٨٤ .

١٤٧) فتوح مصر : ٢٢٢ .

١٤٨) المصدر السابق : ١٢٢ .

١٤٩) المصدر السابق : ١٤٢ .

١٥٠) فتوح مصر : ١١٦ ـ ١١٧ ، ١٢٠ ـ ١٢٢ .

١٥١) المصدر السابق : ١٢٥ .

١٥٢) حسن المحاضرة : ١/ ٨٩ ، ٢٠٥ قبائل مصر : ١٢٣ . اعتبره من الموالي .

١٥٣) فتوح مصر : ١٢١ ـ ١٢٢ . عجالة المبتدىء : ٥٩ . الاكمال : ٦/ ١١٢ ، ١٥٥ .

١٥٤) المصدر السابق : ١٨٤ .

١٥٥) المصدر السابق .

١٥٦) فتوح مصر : ٩٥ ، ١٢٠ .

١٥٧) المصدر السابق : ١١٣ .

١٥٨) الاصابة . فتوح مصر : ١١٣ .

١٥٩) الاكمال : ١/ ٥٦٨ ، . ٤/ ٢٦٨ . حسن المحاضرة : ١/ ١٣٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، . فتوح مصر : ١٢٦ . عجالة المبتدى : ١٢٤ .

١٦٠) الاكمال : ١/ ٢٠٠ ، ٣/ ١٠٨ ، ٥/ ٧٤ ، ٦/ ١٠ .

١٦١) عجالة المبتدى : ٦٢ . الاكمال : ٣/ ٣٧٧ ، ٤/ ٢٣٤ . ذكرهم ابن عبد الحكم مع مدلج محالفين لحمير : ١٤١ .

١٦٢) عجالة المبتدى : ٤٤ . حسن المحاضرة : ١/ ٢٠٧ ، ٢٩٥ . الاكمال : ١/ ١٧٤ ، ٢/ ٣٧٨ ، ٦/ ٩٨ . الاكليل : ٢/ ٢٣٣ .

١٦٣) الاكمال : ١/ ١٥٣ . وانظر ايضا المشتبه في الرجال اسمائهم وانسابهم ، لابن قايماز الذهبي : ١/ ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

١٦٤) فتوح مصر : ١٢٨ ، ١٢٩ .

١٦٥) الاكمال : ١/ ١٠٤ .

١٦٦) الاصابة : ٦/ ٢٧١ .

١٦٧) الاكمال : ٢/ ٥٨١ .

الفصل الثالث
استقرار أهل اليمن في الكوفة

ذكرنا في فصل سابق ان الحركات في جبهة العراق في خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) كانت مقصورة على العرب المقيمين في تخوم العراق يقودهم رجال من ابناء تلك القبائل ، وان ابا بكر تبنى تلك الحركات وجعلها جزءا من الحركات الاسلامية العامة وارسل خالد بن الوليد لمعاونتها والاشراف عليها . ولكن مع ذلك ظلت هذه الجبهة ثانوية بالنسبة لجبهة بلاد الشام التي ارسل اليها أعظم المقاتلة العرب بما فيهم اهل اليمن . فلما ولي عمر الخلافة لم يهمل جبهة بلاد الشام ، ولكنه اهتم ايضا بجبهة العراق . ويذكر الطبري ان من ابرز المشاكل التي واجهتها جهود الخليفة عمر في جبهة العراق هو تخوف العرب من الفرس حيث « كان وجه فارس من اكثر الوجوه كرها اليهم واثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم »[١] . وهذا التبرير غير صحيح فيما نرى ، ولكنه يظهر حقيقة واضحة وهي ان العرب لم ينضموا باعداد كبيرة الى جبهة العراق قبل خلافة عمر بن الخطاب . وان اول قبيلة عربية ، عموما ، استجابت الى نداء عمر في الذهاب الى جبهة العراق هي بجيلة ، وهي قبيلة يمانية كانت متفرقة فجمعها نداء عمر . وبلغ رجالها الذين ساروا الى العراق سبعمائة ، وشاركوا في معركة « البويب » التي انتصر فيها العرب على الفرس وغسلوا اثر هزيمة موقعة « الجسر » . ثم تتابع خروج اهل اليمن باعداد كبيرة ومن قبائل متعددة الى العراق ، وقد انضم الى جبهة العراق ايضا عدد من القبائل الشمالية وخاصة التي كانت تقيم بين الحجاز والعراق على الطريق كأسد وطي وتميم وبني عامر بن صعصعة[٢] . ويذكر بعض المؤرخين ان هذه القبائل كانت اشد ميلا وحماسة للانضمام الى جبهة العراق فيقول الطبري : « كان اهل اليمن ينزعون الى الشام ، وكانت مضر تنزع الى العراق »[٣] وان العراق كان

دار ربيعة ومضر[٤] . غير ان هذه الاقوال غير دقيقة فان اعدادا كبيرة من قبائل اليمن اخذت بعد بجيلة تتقاطر الى جبهة العراق . فقد قدمت بعدهم النخع ، ثم ان سعد بن ابي وقاص خرج « من المدينة قاصدا العراق في اربعة الاف ، ثلاثة آلاف ممن قدم عليه من اليمن والسراة ... وهم بارق والمع وغامد وسائر اخوتهم في سبعمائة من اهل السراة ، وأهل اليمن الفان وثلاثمائة منهم النخع بن عمرو وجميعهم يومئذ اربعة الاف مقاتلتهم وذراريهم ونساؤهم ... فسرح نصفهم فامضاهم نحو العراق ، وامضى النصف الاخر نحو الشام » . ويذكر ايضا ان جيش سعد « كان فيهم من حضرموت والصدف ستمائة ... وكان فيهم الف وثلاثمائة من مذحج » . ويذكر ان عشائر مذحج كانت من بني منبه ، وجعفي بما فيهم جزء وزبيد وانس الله ، وكذلك صداء وجنب ومسلية ، وانضم ايضا السكون من كندة وعددهم اربعمائة ، ثم وصلت همدان وجاءت مراد محولة من الشام مع هاشم بن عتبة[٥] . ولا ريب في ان عددا من هؤلاء قتل في الحرب . ولكن عوضت عنهم هجرات لاحقة لم تذكرها المصادر لانها ربما تمت بصورة فردية او على شكل جماعات صغيرة .

وبعد ان حرر العرب المدائن نزلوا فيها ، ولكن عوامل متعددة اهمها الضرورات العسكرية فرضت عليهم تغييرها ، فمع ان جيش الفرس انكسر في القادسية وهزم في المدائن فاخلاها ، غير ان القوة العسكرية الفارسية لم يتم القضاء عليها نهائيا ، وان الفرس كانوا يعملون على جمع قواتهم لاسترداد الاراضي التي فقدوها ، لذلك لم يكن من المأمون ان تقيم المقاتلة العرب في قاعدة فارسية السكان . اذ ان ذلك يهدد العرب ، لذلك بدأ سعد بن ابي وقاص يبحث عن قاعدة جديدة ملائمة لحاجة العرب ، ثم استقر رأيه على اختيار الكوفة المجاورة للحيرة لتكون قاعدة عسكرية . وكانت الضرورات العسكرية من اهم العوامل المؤثرة ليس في اختيار موقعها بل في تخطيطها وبنائها . فقد كانت ابنيتها بسيطة وكان هذا واضحا في قول الخليفة عمر : « العسكر اجد لحربكم واذكى لكم »[٦] . فلما دمر العرب الجيش الفارسي في موقعة نهاوند وقضوا على كل

خطر منه ، بدأت تزدهر الحياة المدنية في الكوفة واخذ يغلب عليها الطابع الحضري فابتنى الناس الدور واول دار بنيت باللبن كانت في خطة كندة[٧] .

غير ان سكان الكوفة حتى في هذا الوقت المبكر لم يكن عددهم ثابتا ومستقرا ، اذ لا بد ان عددا منهم قد قتل في حروب التحرير التالية التي شاركوا فيها ، كما ان عددا منهم هاجر واستقر في بعض حواضر الاقاليم المحررة ، وفي خلافة الامام علي هاجر عدد غير قليل من « العثمانية » المعارضين له فاسكنهم معاوية مدن الجزيرة ثم مصر كما وطن العديد من الاسر العربية التي نقلت من الكوفة الى الاقاليم الشرقية كالري وقزوين ونقل ايضا عددا منهم الى خراسان . ولا بد ايضا ان هجرات عربية تالية جاءت الكوفة واستوطنت فيها فعوضت عمن ذهب منها وربما زادت من عدد اهلها .

ويلاحظ ان الدولة التي كانت تحتفظ بسجلات دقيقة لمن يأخذ منهم العطاء وكان العرب اغلبية هؤلاء المسجلين ، الا ان هذه السجلات لم تستوعب كافة العرب لأن عددا غير قليل منهم لم يكن في العطاء . والراجح ان هذا العدد كان يزداد كلما وصلت هجرات جديدة من المجاورين للكوفة . اما اهل اليمن فان عدد المهاجرين منهم قل فيما بعد . ويذكر الشعبي ان الكوفة اختطت على عشرين الفا[٨] ، وفي خلافة عثمان كان أهل الكوفة اربعين الف مقاتل ، وقد ظل عددهم في خلافة علي اربعين الفا يضاف اليهم سبعة عشر الفا ممن ادرك[٩] . وفي خلافة معاوية بلغ عدد المقاتلة في العطاء ستين الفا وعيالاتهم ثمانين الفا[١٠] . اما عدد اهل اليمن في الكوفة فان الشعبي يقول : « كنا اهل اليمن اثني عشر الفا ، وكانت نزار ثمانية الاف ، الا ترى انا اكثر اهل الكوفة »[١١] ولا بد ان هذه الارقام تمثل الاحوال عند اختطاطها ، اما بشر بن عبد الوهاب القرشي فيذكر انه كان في الكوفة خمسون الف دار للعرب من ربيعة ومضر وستة وثلاثون الف دار لليمن واربعة عشر الف دار لسائر العرب[١٢] . والواقع ان هذه الارقام تعبر عن تفوق اهل اليمن في الكوفة بدليل ان لهم اربعة

اسباع من سبعة اسباع نظمت فيها عشائر الكوفة كما سنرى[١٣] . غير ان هذا التفوق على الاغلب كان تفوقا نوعيا وليس عدديا ، فقد تمركزت قبائلهم في خطط مشتركة ومتقاربة .

اما عن تنظيم اهل الكوفة ، بما فيهم اهل اليمن ، فان سيفا يذكر ان اهل الكوفة نظموا على عرافات تتساوى في مقدار ما تأخذ من العطاء وتختلف في عدد افرادها ، فكل عرافة تأخذ مائة الف ورجالها يختلفون بين ٢٠ ـ ٦٠[١٤] ، غير ان هذا التنظيم اذا كان صحيحا تاريخيا فانه يتعلق بتيسير توزيع العطاء فقط . ومن الممكن معرفة عشائر الكوفة من دراسة خططها اذ ان لكل عشيرة خطة مسماة باسمها ، غير ان الخطط لا تظهر عدد افراد من سكن فيها ، كما انه لم يراع في توزيعها وتنظيمها العلاقات النسبية دائما . ويروي سيف عن الشعبي ان سعدا نظم الجيش قبل القادسية على الاعشار ، غير انه يروي عن شيوخه انه « رجح الاعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيرا »[١٥] . مما حدا به الى ان يبدل ذلك النظام ويرتبهم على الاسباع ، وان النظام الاخير ظل معمولا به زمان عمر وعثمان وعلي وعامة امارة معاوية حتى ربعهم زياد[١٦] ، ويلاحظ ان نظام الاسباع لم ينعكس على تخطيط الكوفة انما انعكس على عشائر الكوفة لأن العشائر التي انتظمت في سبع من الاسباع لم تكن تسكن خطة واحدة ، انما كانت خططها متباعدة[١٧] . ولدينا اربع روايات عن الاسباع التي سبعت عليها عشائر الكوفة[١٨] اثنتان منها من الطبري ، ويلاحظ عليه انه ذكر في الاولى ستة اسباع وفي الثانية خمسة اسباع فقط وانه دمج في سبع واحد قبائل ذكرت في سبعين ، وحصل هذا في (الازد وبجيلة ، كندة ، حضر موت ، شبام ، قضاعة) وفي سبع حمير ، همدان ، مذحج ،[١٩] وفي روايته الثانية لم يذكر كندة وحضرموت وقضاعة وشبام اطلاقا ثم فصل مذحج والاشعريين عن السبع الآخر[٢٠] . بينما ذكر كل من نصر بن مزاحم وصاحب نهج البلاغة والبلاذري القبائل التي ذكرها الطبري في مجموعتين بالحقل الاول باربع مجاميع[٢١] ولما كان الطبري في الحقل الثاني ذكر مذحجا والاشعريين مفصولة عن حمير وهمدان أي

جزأها الى سبعين فالراجح ان الدمج الحاصل في الحقل الاول ناتج عن النسخ وليس عن تصنيف الطبري ، ويفسر كذلك الحذف في الحقل الثاني الذي اصاب السبع الثالث . وعلى هذا الاساس يصبح رأي ماسينيون في ان طيأ هي السبع الناقص في رواية الطبري غير دقيق[٢٢] لأن روايات نصر والبلاذري ذكرت ان طيأ كانت مع مذحج والاشعريين .

جدول لاسباع في الكوفة

قبائل الاسباع عن الطبري ٤/ ٤٨	قبائل الاسباع في وقعة الجمل الطبري ٤/ ٥٠٠	قبائل الاسباع في وقعة صفين ، صفين : ١٣٢ نهج البلاغة ١/ ٢٨٩	رواية البلاذري انساب الاشراف ورقة ٤٧٥
١ ـ كنانة ، الاحابيش ، جديله .	قيس	قيس ، عبد القيس .	قيسي ، عبد القيس .
٢ ـ تميم : الرباب هوازن .	تميم ، الربـاب قريش ، اسد ، كنانة .	تميم ،الرباب قريش ، كنانة ، اسد ، ضبة .	قريش كنانة الاسد ، تميم ، ضبة ، رباب ، مزينه .
٣ ـ الازد ، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، شبام ، قضاعة .	الازد ، بجيلة ، خثعم ، الانصار .	الازد ، بجيلة ، خثعم ، الانصار ، خزاعة .	الازد ، بجيلة ، خثعم ، الانصار .

٤ ـ	كندة ، حضرموت ،	كندة ، حضرموت ،
	قضاعة ، مهرة .	قضاعة ، مهرة .
٥ ـ حمير ، همدان حلفاء همدان مذحج .	حمير ، همدان .	همدان ، حمير .
مذحج ، الاشعريين	مذحج ، الاشعريين	مذحج ، الاشعريين
٦ ـ ضبيعة ، تغلب بكر ، تغلب النمر ، غطفان . اسد .	مذحج ، طي	بكر ، تغلب ، ربيعة .
٧ ـ اياد ، عك ،عبد القيس ، أهل هجر ، الحمراء .		

ومن قبائل اليمن في الكوفة :

بجيلة :

وهي من اقدم القبائل اليمنية مساهمة في حروب التحرير في العراق شاركت في معركة البويب . فهي من قبائل الايام[٢٣]، وشاركت في القادسية وكانت القبيلة تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي ، ورغم اختلاف الروايات

عن حجم المشاركين من القبيلة في القادسية الا انها كانت قوة كبيرة ومهمة في جبهة العراق بدليل اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بها واعطائه لها بعض الإمتيازات[٢٤]. وكان في القبيلة اعداد كبيرة من النساء قدرتهم الروايات بألف امرأة جلبن للقبيلة مصاهرات كثيرة حتى سميت القبيلة باصهار المهاجرين[٢٥]. استقرت بجيلة في الكوفة بين همدان من الشمال وتميم من الجنوب الا انها اقرب الى الصحراء منها الى الميدان ـ مركز المدينة ـ الذي كان الى الشرق منها اي انها اقرب الى الصحراء منها الى النهر[٢٦] . لقد كانت القبيلة موزعة في القبائل الى ان جمعها عمر بن الخطاب تحت قيادة جرير ..غير أن وضعية التمزق كانت قوية بحيث تركت آثارها . فمنذ البداية كانت احمس تشكل قسماً يتبلور تدريجيا لينفصل . وبالفعل فقد انفصلت احمس عن بجيلة وارتحلت عن خطتها ونزلت عند الجبانة[٢٧]. وعند تنظيم الكوفة الى اسباع كانت بجيلة مع خثعم والازد[٢٨]. وبقيت كذلك الى سنة ٥٠ هـ حيث اعاد زياد بن ابيه تنظيم الكوفة وتقسيمها الى ارباع حيث اصبح سبع بجيلة ومن معها مع سبع اهل العالية .

لم تقف بجيلة الى جانب علي ، ولم يشارك منها في صفين سوى تسعة عشر رجلاً ، بينما شارك من احمس سبعمائة رجل[٢٩] . اما جرير فقد اعتزل وارتحل من الكوفة الى الرقة غير ان الخليفة علياً هدم داره[٣٠].

ومن بطون بجيلة بالكوفة :

أحمس[٣١] .

قتبان[٣٢] .

أفرك .

خزيمة[٣٣] .

عرينة[٣٤] .

العلقي[٣٥] .

همدان :

بدأت مساهمة همدان في حروب التحرير في العراق عندما طلب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سعيد بن قيس الهمداني ان يستنفر قبيلته الى العراق[٣٦] . والراجح ان القبيلة وصلت الى العراق في آخر مرحلة من القادسية حيث شاركت فيها وبرز منها بعض الفرسان [٣٧] . واستقرت همدان في الكوفة بين بجيلة والميدان من جهة الشمال بينما استقر الصائديون من همدان بين كندة غرباً وبكر شرقاً .[٣٨] ويذكر اليعقوبي تفرقها في الكوفة [٣٩] . ويعزز الطبري هذا الاتجاه بتركيزه على عشائر همدان دون القبيلة[٤٠] . ويبدو ان همدان كانت باعداد كبيرة في الكوفة حتى انها عرفت « بحي اهل العراق » و « حي الكوفة » [٤١] . ومن ابرز بطون همدان « السبيع » وخططهم من اوسع خطط همدان وكانت جبانتها احد اماكن تحشد القبائل في الفتن والاحداث التي شهدتها الكوفة ، كذلك بالنسبة للصائدين[٤٢] .

ساهمت همدان في احداث الكوفة ولعبت فيها دوراً بارزاً ، وكانوا من ابرز انصار علي ، غير ان بعض بطونها كانوا عثمانيين مثل آل ذي مران كما انهم لم يشاركوا مع الخوارج[٤٣] . ومن بطون همدان بالكوفة :

اولاً ـ بطون بكيل :

أرحب ، منهم يزيد بن قيس كان على شرطة علي واصبح قطباً من اقطاب الخوارج ثم استماله علي بتعيينه والياً على اصبهان . وشارك ابناؤها في صفين مع علي[٤٤] .

فايش ، خطتهم الى جانب الثوريين[٤٥] .

مرهبه [٤٦] .

الثوريون ، وهم في طرف خطة همدان من ظهر الكوفة من جهة النخيلة [٤٧] .

التباعيون[٤٨] .

آل ذي لعوة[٤٩] .

شاكر ، ويرد ذكرها مقترنة بشبام او ارحب وشبام ، وشاركت في صفين مع علي[٥٠]

ثانياً ـ بطون حاشد

خارف [٥١] .

السبيع ، وخططهم اوسع خطط همدان ومنهم حوث [٥٢] .

شبام ، خطتهم الى جانب الفائشين[٥٣] .

صائد [٥٤] .

ناعط ، ومنهم آل ذي مران ، وجل ناعط عثمانيون وخطتهم الى جانب الشباميين اقرب الى قصر الامارة [٥٥] .

وادعة [٥٦] .

يام[٥٧] .

شعب ، وهم من حمير محالفون لهمدان [٥٨] .

المشرقي ، منهم معدي كرب [٥٩] .

نهم[٦٠] .

دومان [٦١] .

قادم [٦٢] .

حجور[٦٣] .

دالان[٦٤] .

يرسم[٦٥] .

مذحج :

شاركت في معارك التحرير في العراق بمعركة القادسية عندما سيرّ عمر نصفها نحو العراق[٦٦] . وكان عدد من شارك منها الفاً وثلاثمائة مقاتل : وليس واضحا ما اذا كان هو النصف ام لا ؟ وكانوا على ثلاثة قواد ، ابرزهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي[٦٧] ، الا ان ابن الكلبي يذكر ان الخليفة عمر عقد لاياس بن شرحبيل الجعفي من بني الاصهب على مذحج وهمدان وجعله في ٢٧٠٠ من العطاء[٦٨] . وقد تذبذبت مواقف القبيلة في الكوفة فمراد مع الخوارج[٦٩] ومنهم قوم من شيعة علي شاركوا في صفين وتزوج منهم الحسن بن علي عائشة بنت خليفة ولكنهم حاربوا الحسين[٧٠] ، ووصفت اود بأنها اموية متعصبة[٧١] ووقفت جعفي ضد علي واجلاها عن اماكنها في الشام[٧٢] . ويظهر على القبيلة انها بين القادسية وخلافة علي لم تبرز على مسرح الاحداث . اما بعد ذلك فاننا نجدها في اغلب الاحداث التي شهدتها الكوفة . ومن بطون مذحج :

اولا ـ بطون مراد :

قرن ، ومنهم اويس بن عامر القرني[٧٣] .
جمل ، وعامتهم كانت بالكوفة[٧٤] .
الربض[٧٥] .
سلمان[٧٦] .
غطيف[٧٧] .
زاخر[٧٨] .
حدأ .

ثانيا ـ بطون سعد العشيرة :

الحدأ[٧٩] .
اود[٨٠] .
زبيد[٨١] .
الزعافر[٨٢] .
عائذ الله[٨٣] .
جعفي ، ومن بطونها الاصهب[٨٤] .
زخر[٨٥] .
حريم[٨٦] .

النخع :

هاجرت من اليمن زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفي الايام الاخيرة من اليرموك ، وعندما قرر الخليفة تشكيل جبهة العراق طلب اليهم التوجه نحو العراق فأرادوا الشام فقسّمهم الى نصفين ، سير احدهما الى العراق . وكان رئيسهم في القادسية ارطأة بن كعب واستشهد فيها[٨٧] . وعرفت القبيلة بكثرة نسائها وهي وبجيلة حملا لقب اصهار المهاجرين لكثرة من تزوج منهم من مسلمي الكوفة[٨٨] . ودخل معهم في الكوفة بنو ابرهة بن الصباح من حمير[٨٩] . وبرز رجالها في القضاء[٩٠] ، ويبدو التذبذب السياسي سمة اساسية في مواقفها

ومن ابرز رجالها الاشتر النخعي الذي شارك في صفين مع علي وكان عدد من النخع من القراء[٩١] .

ومن بطونهم بنو سعد بن مالك وبنو عوف بن مالك كانوا جميعا بالكوفة ، واشتهر من هذه البطون بنو صهبان والشيطان والاشتر وبكر .

كندة :

شاركت قبائل كندة في القادسية ، وبرز منها شرحبيل بن السمط الكندي من السكون ، ويقال ان من شارك منها كان سبعمائة رجل فقط ويذكر

فيهم الاشعث بن قيس[٩٢] سيد كندة في اليمن . استقرت كندة بين جهينة واود[٩٣] وظهر منها قضاة الكوفة المشهورون مثل القـاضي شريح وجبـر بن القشعم وعمرو بن ابي قره وحسين بن حسن الحجري[٩٤] . ودخلت حضرموت في الكوفة مع كندة[٩٥] . وكانت سبعاً مع بجيلة والازد وخثعم .[٩٦] . وتعددت ولاءات كندة ، السياسة

ومن بطونها في الكوفة :

رهط الاشعث[٩٧] .

شجرة[٩٨] .

الارقم[٩٩] .

الرائش[١٠٠] .

ال بدا[١٠١] .

بنو جبله[١٠٢] .

طمع[١٠٣]

بنو هند[١٠٤] .

● هوامش الفصل الثالث ●

١) تاريخ الطبري : ٤٤٤/٣.

٢) انساب الاشراف : ٣٩٦/٦ . فضل الكوفة : مخطوط ، ورقة ٢٩١ ب .

٣) تأريخ الطبري : ٤٨٧/٣ .

٤) الازدي : ١٩٥ . التأريخ الكبير : ١٦٢/١ .

٥) تاريخ الطبري : ٤٨٤/٣ ـ ٤٨٥ .

٦) تأريخ الطبري : ٤٣/٤ .

٧) معجم البلدان : ٣٢٣/٤ .

٨) فتوح البلدان : ٢٧٥ .

٩) تأريخ الطبري : ٢٤٦/٤ ، ٧٩/٥ .

١٠) فتوح البلدان : ٣٥٠ .

١١) المصدر السابق : ٢٧٥ .

١٢) تهذيب تأريخ دمشق : ٢٤٤/٣ . فضل الكوفة : مخطوط ، ورقة ٢٨٦ ب ويذكر ياقوت النص محرفا دور اليمن ستة الف ، وتحريفات اخرى المعجم : ٣٢٤/٣ .

١٣) انظر جدول اسباع الكوفة .

١٤) تأريخ الطبري : ٤٩/٤ .

١٥) المصدر السابق : ٤٨ .

١٦) المصدر السابق .

١٧) خطط الكوفة : الخارطة .

١٨) انظر جدول الاسباع في الكوفة .

١٩) رواية الطبري : ٤٨/٤ الحقل الاول من الجدول .

٢٠) رواية الطبري : ٥٠٠/٤ الحقل الثاني .

٢١)انظر الحقلين الثالث والرابع .

٢٢) خطط الكوفة : ص ١١ .

٢٣) انظر الباب الثاني : الفصل الثالث .

٢٤) المصدر السابق .

٢٥) تأريخ الطبري : ٥٨١/٣

٢٦) خطط الكوفة : الخارطة .

٢٧) البلدان : ٣١١ .

٢٨) تأريخ الطبري : ١٤/٥ . وانظر تصحيحه في جدول الاسباع في الكوفة .

٢٩) صفين : ٦٧ ـ ٦٨ .

٣٠) شرح نهج البلاغة : ٢٦١/١٩ ، ٣٦٤ . تأريخ الطبري : ٨٧/٥ . اللباب : ٢٢/١ .

٣١) طبقات بن سعد : ١٩/٦ ، ٢٣ . تأريخ الطبري : ٦١/٤ .

٣٢) عجالة المبتدى : ١٠٠ . جمهرة انساب العرب ٣٦٧ .

٣٣) المصدر السابق : ٣٦٥ . الاشتقاق : ٥١٦ .

٣٤) المارستان : ٥١٨ .

٣٥) طبقات ابن سعد : ٢٢/٦ .

٣٦) الاكليل : ١١٥/١٠ .

٣٧) الاكليل : ٢٤٣/١٠ .

٣٨) خطط الكوفة : الخارطة رقم (١) .

٣٩) البلدان : ٣١١ .

٤٠) تأريخ الطبري : /٧٢٢ .

٤٠) عجالة المبتدي : ٦١ ، ٧٦ . الاكمال : ٥١٨/٢ ، ٥٨١ . ١٩٣/٣ . ٢٨٠/٦ . فتوح مصر : ١٤٥ .

٤١) صفين : ٣١١ ، ٤٣٣ .

٤٢) تأريخ الطبري : /٦١٤ ، ٧٣٣ .

٤٣) المصدر السابق : /٦٥٩ ، ٩٠٧ .

٤٤) الاكليل : ١٧٣/١٠ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٣٥ . جمهرة انساب العرب : ٣٧٣ . صفين : ٤٩٧ . طبقات بن سعد : ١١٨/٦ . تأريخ الطبري : ١٥/٥ . اللباب : ٣١ . عجالة المبتدى : ١٠ .

٤٥) تأريخ الطبري : ٦٢/٥ . عجالة المبتدى : ١٠٠ . طبقات بن سعد : ١٤٩/٦ .

٤٦) الاكليل : ٣٧/١٠ . اللباب : ١٢٨ . تأريخ الطبري : ٤٧٠/٣ .

٤٧) الاكليل : ١٣١/١٠ . تأريخ الطبري : /٧١٦ ، ٣٣٤٨ . طبقات بن سعد : ٢٠٩/٦ .

٤٨) طبقات بن سعد : ١٠٥/٦ ، ١١٨ . تأريخ الطبري : ٨٩/٥ .

٤٩) الاكليل : ١١٢/١٠ .

٥٠) الاكليل : ٢٢٠/١٠ ، ٢٤٣ . انساب الاشراف : /٢٤٢ ، ٢٩٤ . صفين : ٣١٠ . ٤٨٥ . تأريخ الطبري : ١١٤/٣ .

٥١) اكمال الاكمال : ٢٣٥/٣ . عجالة المبتدى : ٥٣ . طبقات بن سعد : ٨٩/٦ .

٥٢) عجالة المبتدى : ٧٢ . تأريخ الطبري : /٦١٤ ، ٧٣٣ . معجم البلدان : ٢٩٤/٢ . ٣٧/٣ . فتوح البلدان : ٣٤٤ .

٥٣) عجالة المبتدى : ٧٨ . الاكليل : ٩٢/١٠ . تأريخ الطبري : ٦٢/٥ . طبقات بن سعد : ١١٨/٦ .

٥٤) الاكليل : ٩٧/١٠ . طبقات بن سعد : ١٠٠/٦ . تأريخ الطبري : ١٢٢/٢ ، ٦١٤ ، ٧٣٣ . عجالة المبتدى : ٨٠ .

٥٥) الاكليل : ١٥/١٠ ، ٣٧ . عجالة المبتدى : ١١٦ . تأريخ الطبري : ٦٢/٥ ، ٥٨/٦ .

٥٦) الاكليل : ٧٧/١٠ ، ٨٧ . انساب الاشراف : ٢٣٤/١ . عجالة المبتدى : ١٢٠ . طبقات بن سعد : ١٦٥/٦ ، ٢١٧ . تأريخ الطبري : ٢٧٠/٥ .

٥٧) الاكليل : ٧٤/١٠ . عجالة المبتدى : ١٢٤ . طبقات بن سعد : ٢٣٠/٦ . اللباب : ٧٧ .

٥٨) الاكليل : ٨٩/١٠ . طبقات بن سعد : ١٧١/٦ .

٥٩) طبقات بن سعد : ١١٥/٦ .

٦٠) المصدر السابق : ١٦٠/٦ .

٦١) الاكليل : ١٣١/١٠ .

٦٢) الاكليل : ١٠٣/١٠ .

٦٣) الاكليل : ٩٧/١٠ .

٦٤) الاكمال : ٣٠٦/٣ .

٦٥) تأريخ الطبري : ١١/٦ . أنساب الاشراف : /١٢٤٢ .

٦٦) تأريخ الطبري : ٤٨٤/٣ .

٦٧) المصدر السابق .

٦٨) جمهرة النسب : ٢٠١ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٣ .

٦٩) تأريخ الطبري : /١٨ .

٧٠) تأريخ الطبري : /٢٥٥ ، ٣٦٢ ، ٦٦١ . صفين : ٣٤٧ .

٧١) تأريخ الطبري : /٣٥٠ . عجالة المبتدى : ٤١ .

٧٢) جمهرة النسب : ٢١٥ ، ٢٢٤ .

٧٣) الاصابة : ٢٩٩/١

٧٤) عجالة المبتدى : ٤١ . تأريخ الطبري : /٣٥٠

٧٥) عجالة المبتدى : ٦٥ .

٧٦) المصدر السابق : ٧٤ .

٧٧) جمهرة انساب العرب : ٣٨٢ . ذكرهم ابن حزم بالكوفة .

٧٨) المصدر السابق . العبر : ٣٩/١ . تاريخ الاسلام : ٣٤٤/١ . الاصابة : ٥٣٨/٥ .

٧٩) عجالة المبتدى : ٤٧ . الاكمال : ٤٠٧/٢

٨٠) طبقات بن سعد : ٨٠/٦ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٦ .

٨١) جمهرة انساب العرب : ٣٨٧ .

٨٢) المصدر السابق : ٢٨٦ .

٨٣) جمهرة انساب العرب : ٣٨٣

٨٤) المصدر السابق :

٨٥) المصدر السابق .

٨٦) المصدر السابق : ٣٨٤ .

٨٧) جمهرة النسب : ١٩٩ . جمهرة انساب العرب : ٣٨٩ .

٨٨) تأريخ الطبري : ٥٨١/٣ .

٨٩) الاكليل : ١٥٠/٢ . كتاب الفتوح : ١٧٤/٢ .

٩٠) جمهرة النسب : ٢٠٢ . جمهرة انساب العرب : ٣٩٠ .

٩١) صفين : ٢١١ .

٩٢) تأريخ الطبري : ٥٦٣/٣ .

٩٣) المصدر السابق : ٦٦/٦ .

٩٤) اللباب : ٢٨١/١ . الاشتقاق : ٣٦٥ . الاكمال : ١٥/٢ . جمهرة انساب العرب : ٣٩٩ .

٩٥) تأريخ الطبري : ٢٦١/١ . صفين : ١٣٢ .

٩٦) تأريخ الطبري : ٤٨/٤ .

٩٧) تأريخ الطبري : ٦٦/٦ . البلدان : ١٣٠ ـ ٣١١ .

٩٨) الاشتقاق : ٣٦٦ .

٩٩) الاشتقاق : ٣٦٥ . الاكمال : ١٥/٢ . اللباب : ٣٤/١ .

١٠٠) الاشتقاق : ٣٦٣ . ٣٦٥ . جمهرة انساب العرب : ٣٩٩ .

١٠١) تأريخ الطبري : ٢٦٢/٥ . عجالة المبتدى : ٢٤ .

١٠٢) تأريخ الطبري : /٢٥٨ . طبقات بن سعد : ٢٣/١/٣ .

١٠٣) تأريخ الطبري : ٣١/٥ .

١٠٤) المصدر السابق : ٢٥٨/٥ .

الخلاصة

من هذه الدراسة نستطيع القول ان اليمن شهد ازدهارا اقتصاديا اعتمد اساساً على المستوى المتوفر من الزراعة ثم تطورت فيه الصناعة وبخاصة (النسيج ـ الجلود ـ العطور) ، فازدهرت التجارة ولعبت دورها في نشوء النظام النقدي الذي هو اساس الازدهار الاقتصادي وان التجارة ، محلية وعالمية ، اصبحت اساس النظام الاقتصادي وان ضعفها او نشاطها ينعكس بشكل مباشر على الاوضاع الاجتماعية والسياسية في اليمن . وعند ظهور الاسلام تحولت التجارة الى شرقي مأرب بطريق يوصل مباشرة بين شبوة ونجران لهذا فان الازدهار الاقتصادي في اليمن تحول الى مدينة نجران رغم ان منطقة حمير بقيت مزدهرة . وادى هذا التحول الى التنافس الشديد بين الفرس الساسانيين ونجران وان لم تصلنا اخبار هذا التنافس بشكل مباشر الا اننا نجده معبرا عن نفسه في التحالفات التي نشأت بين الفرس وهمدان التي تضررت ايضا من نفوذ نجران التجاري وبين قبائل مذحج وخولان والازد التي شجعتها نجران من خلال وجود الحارث بن كعب ، وقد لعب هذا التحالف دوره في توجيه تأريخ اليمن السياسي عند ظهور الاسلام . والذي افادت منه نجران بصلحها الذي عقدته مع الرسول ﴿ﷺ﴾ ، هذا الصلح الذي اطلق يد الاسلام فيما وراء نجران فدخلت حمير في الاسلام بينما تأخرت قبائل عدة وخاصة تلك المتحالفة مع الفرس او المتحالفة مع نجران والتي استطاعت ان تكون لها مصالح خاصة بعيدة عن مصالح نجران ، وهي عموما مصالح اقليمية بحتة ، وان تستولي على السلطة في صنعاء ، غير ان المسلمين نجحوا بتصفيتها بسرعة .

لم تؤثر أحداث اليمن بعد وفاة الرسول ﴿ﷺ﴾ على الاوضاع العامة فيه اذ استطاع الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) من السيطرة على اليمن في عملية تثبيت للسلطة المركزية شاملة لكل الجزيرة العربية وكان طبيعياً ان يفيد

من هذه الوحدة في التوجه نحو اكمال ستراتيجية الرسول ﴿ﷺ﴾ في تحرير بلاد الشام والعراق ، وهو الذي تحقق بارساله الجيوش الى الشام وتوجيه خالد بن الوليد الى العراق حيث كان المثنى بن حارثة الشيباني يحارب الفرس بمن معه من عرب العراق ، ومع ان الخليفة استطاع ان يحرز انتصاراً في اليرموك . غير ان التنظيم الحقيقي للقتال كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي ربط بين الجهاد والعروبة والدين من خلال بناء مؤسسة الدولة والنظام المالي الذي وضعه . وقد لعب اهل اليمن دوراً بارزاً واساسياً في الجيش العربي في جميع الجبهات دون استثناء وكانوا المبكرين في اجابة نداء الخليفة . واكتسبوا لهذا اهمية ومكانة كبيرة في الدولة والمجتمع ، وعندما مصرت الامصار استقر اهل اليمن فيها وكانوا عنصراً متفوقاً كما ونوعاً في المجتمع الجديد . غير ان قيادة الدولة كانت في قريش وكانوا يشعرون انهم بتضحياتهم حققوا للدولة ما حققوا ، وكانوا واضعي اسس تحضر سكان الامصار .

لقد مهد هذا الدور العسكري الامور لدور سياسي بارز لعبه اهل اليمن . على ان فشل طموحاتهم السياسية سواء في الكوفة او الشام او مصر قادهم بالنهاية الى ذلك الدور الرائع في الحركة الفكرية ، وهو ما نأمل ان نتمكن من دراسته في المستقبل .

مصادر البحث

أ ـ المخطوطات :

ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤ هـ)
بغية المستفيد في اخبار زبيد . نسخة مصورة في مكتبة الدكتور صالح احمد العلي .

ابن زولاق .

فضائل مصر ، مخطوط نسخة مصورة عن نسخة باريس في مكتبة الدكتور صالح احمد العلي .

ابن الكلبي : هشام بن محمد (ت ٢٠٨ هـ)

جمهرة النسب ، مخطوط ، نسخة مصورة عن نسخة الاسكوريال في مكتبة الدكتور صالح احمد العلي .

البلاذري : احمد بن يحي (ت ٢٧٩ هـ)

انساب الاشراف ، مخطوط ، مصورة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب ، جامعة بغداد تحت رقم ١٦٣٤ ـ ١٦٤٤ .

الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ)

الروض المعطار في خبر الاقطار ، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٧٧٨ ـ ٧٨١ .

الرازي : احمد بن عبد الله بن محمد الصنعاني (ت ٤٦٠ هـ)

تأريخ صنعاء ، نسخة مصورة في مكتبة الدكتور صالح العلي .

العلوي .

فضل الكوفة ، مخطوط ، نسخة مصورة في مكتبة الدكتور صالح العلي .

ب ـ المصادر المطبوعة :

الازدي : ابو اسماعيل محمد بن عبد الله .

ـ فتوح الشام ، كلكتا ١٨٥٤ .

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) .

الاغاني ، مطبعة التقدم ، مصر

الاعشى :

ـ الديوان .

ابن تغري بردي : ت ٨٧٤ هـ .

ـ النجوم الزاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ابن الاثير : ابو الحسن عز الدين علي محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) .

ـ الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، المطبعة الاسلامية ، طهران .

ـ اللباب في تهذيب الانساب ، مكتبة المثنى ، بغداد .

ابن الاثير : المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ)

ـ النهاية في غريب الحديث والاثر ، المطبعة العثمانية ، مصر ، ١٣١١ هـ .

ابن حبيب : ابو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) .

ـ المحبر ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٢ .

ابن حجر : العسقلاني

ـ الاصابة في معرفة اخبار الصحابة ، تحقيق علي البجاوي ، القاهرة .

ابن حزم : ابو محمد علي بن سعيد الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) .

ـ جمهرة انساب العرب ، أ . ليفي بروتنسال ، دار المعارف ، مصر .

ابن حنبل : احمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)

ـ المسند ، القاهرة ١٣١٣ .

ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسين الازدي (ت ٣٢١ هـ) .

ـ جمهرة اللغة ، حيدا آباد الدكن ، ط . الافولت ، اوفست مكتبة المثنى ـ بغداد .

ـ الاشتقاق ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، ١٩٥٨ .

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن ايدم العلائي .

ـ كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

ابن رستة : ابو علي احمد بن عمر .

ـ الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٨١ ، اوفست .

ابن سعد : محمد

ـ كتاب الطبقات الكبير ، برلين ، اوفست مؤسسة النصر ، طهران .

ابن سلام : ابو عبيد القاسم ، (ت ٢٢٤ هـ)

ـ الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب المصرية .

ابن سيده : ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي ، (ت ٤٥٨ هـ)

ـ المخصص ، المطبعة الكبرى الاميرية ، مصر ، ١٣١٩هـ . .

ابن ظهيرة :

ـ الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، دار الكتب ، القاهرة ٦٨ .

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت ٢٧٦ هـ)

ـ المعارف ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٦٠ .

ـ عيون الاخبار ، ١٩٢٠ .

ابن قيم الجوزية : ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ، (ت ٧٥٢ هـ)

ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ، مطبعة السنة المحمدية .

ـ اعلام الموقعين .

ابن عبد البر : ابو عمر يوسف ، (ت ٤٦٣ هـ)

ـ الانباه على قبائل الرواة ، المكتبة الحيدبية ، نجف ، ١٩٦٦ .

ابن عبد الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله ، (ت ٢٥٧ هـ)

ـ فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ، نسخة بالاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد .

ابن عبد ربه : ابو عمر احمد بن محمد ، (ت ٢٣٨ هـ) .

ـ العقد الفريد ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ .

ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين (ت ٥٧١ هـ) .

ـ التاريخ الكبير ، مطبعة روضة الشام (١٣٢٩ هـ)

ابن ماجه : محمد بن يزيد ابي عبد الله

ـ سنن المصطفى ، المطبعة النازية ، مصر .

ابن ماكولا : ابو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ)

ـ الاكمال ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٢ .

ابن مزاحم : نصر

ـ موقعة صفين ، ط٢ ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .

ابن منظور : ابو الفضل محمد بن مكرم ، (ت ٥٨٤ هـ)

ـ لسان العرب ، دار صادر ـ بيروت ١٣٧٤ هـ .

ابن هشام : ابو محمد عبد الملك (ت ٢١٨ هـ)

ـ السيرة النبوية ، مطبعة مصطفى البابي واولاده ، مصر ، ١٩٣٦ .

ابن داود : سليمان بن الاشعث السجستاني

ـ صحيح سنن المصطفى ، المطبعة النازية ، مصر .

ابو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل ، (ت ٧٣٢ هـ)

ـ كتاب تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .

- المختصر في اخبار البشر ، ط ١ : المطبعة الحسينية ، مصر ١٣٢٥ هـ .

ابو مخرمة : ابو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد

- تأريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦ ، اوفست المثنى ، بغداد .

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم .

- كتاب الخراج ، ط٣ ، المطبعة السلفية ، مصر ١٣٨٢ هـ .

ابو زرعة : الدمشقي

- تأريخ ابي زرعة ، تحقيق شاكر نعمة الله يد الله ، رسالة ماجستير مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد .

امرؤ القيس : ابن حجر بن الحارث الكندي

- الديوان ، دار المعارف بمصر .

البستي : محمد بن حيان

- مشاهير علماء الامصار ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥٩ .

البكري : ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)

- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد

- الجماهر ، نشر زكي وليدي توغان .

- الدارات

- انساب الاشراف « الاجزاء المطبوعة » .

- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩) هـ)

- فتوح البلدان : مكتبة النهضة ، مصر

التوحيدي : ابو حيان

- الامتاع والمؤانسة ، القاهرة ١٩٣٩ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الجاحظ : ابو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .

- البيان والتبيين ، طبعة ١٩٢٦ .

الجعدي : محمد بن علي بن سمرة بن الحسين (ت بعد ٥٨٦ هـ) .

- طبقات فقهاء اليمن ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٧ .

الحازمي : ابو بكر محمد بن ابي عثمان

- عجالة المبتدى وفضالة المنتهي في النسب ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

الحميري : نشوان بن سعيد ، (ت ٥٧٣ هـ)

- ملوك حمير واقيال اليمن ، المطبعة السافية ، القاهرة .

الخولاني : عبد الجبار

- تأريخ داريا ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٠ م .

الدمشقي : ابو الفضل جعفر بن علي

- الاشارة الى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، ١٣١٨ هـ .

الدينوري : ابو حنيفة احمد بن دغود ، (ت ٢٨٢ هـ)

- كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس ، ليدن ١٩٥٣ م .

- الجزء الثالث والنصف الاول من الجزء الخامس ، فرانز شتاينر فصبادن ١٩٧٤ ، سلسلة النشرات الاسلامية ، دار القلم ، بيروت .

الدياربكري : حسين بن محمد بن الحسن

- تأريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، ط ١ ، مطبعة عثمان عبد الرزاق ، ١٣٠٢ هـ .

الدميري :

- حياة الحيوان الكبرى

الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، (ت ٧٤٨ هـ) .

- تأريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مكتبة القدسي ، مصر ١٣٦٧ هـ .

- العبر في خبر من غبر ، الكويت ، ١٩٦٠ .

الرامهرمزي : الحسن بن عبد الرحمن

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ .

الزبيدي : ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني ، (ت ١٠٢٥ هـ) .

- تاج العروس في شرح القاموس

الزمخشري : ابو علي المرزوقي ، (كان حيا ٤٥٣ هـ) .

- الازمنة والامكنة ، ط ١ . حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢ .

السكري : ابو سعيد الحسن بن الحسين ، (ت ٢٧٥ هـ) .

- شرح اشعار الهذليين ، مكتبة دار العروبة ، مصر

السهيلي : عبد الرحمن ، (ت ٥٨٢ هـ) .

- الروض الانف في شرح السيرة النبوية ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن

- حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة ، ط ١ ، دار احياء الكتب ألعربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٧

الشيرازي :

- طبقات الفقهاء ،

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

- تأريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٥٤ .

القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي ، (ت ٨٢١ هـ) .

- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نسخة مصورة عن دار الكتب .

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ط١ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

- نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٨ .

الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف .

ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق كست ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ .

الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)

ـ المغازي ، اوكسفورد .

ـ فتوح الشام ، منسوب للوافدي ، المكتبة التجارية ، مصر .

المرتضى : علي بن الحسن (ت ٤٣٦ هـ) .

ـ امالي المرتضى ، ط ١ ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ م .

المرزوقي : ابو علي

ـ الازمنة والامكنة ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ـ الهند ، ١٣٣٢ هـ .

المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٤٣٦ هـ) .

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٥٨ .

ـ التنبيه والاشراف ، مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٥ .

مسلم :

ـ الصحيح .

المقدسي : البشارى

٠٠٤٢ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٢ ، ليدن ، ١٩٠٦ ، اوفست المثنى ـ بغداد .

المقدسي : مطهر بن طاهر

ـ البدء والتاريخ ، باريس ١٩١٩ .

المقريزي : تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ)

ـ الخطط المقريزية ، مطبعة النيل ، ١٣٢٤ هـ .

ـ امتاع الاسماع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ .

المغيري : عبد الرحمن بن محمد بن زيد

ـ المنتخب في ذكر قبائل العرب

الهلالي : حميد بن ثور

ـ الديوان ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، نسخة مصورة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ .

الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤ هـ)

ـ الاكليل ، ج ١ ـ ٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ٦٢، ١٩٦٦ .

ـ الاكليل ،، ج ٨ ، بنية ابن مارى ، رنستن ، ١٩٤٠ .

ـ الاكليل ، ج ١٠ ، محيي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية .

ـ القاهرة ، ١٣٦٨ هـ .

ـ صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ، مصر .

ـ الجوهرتين العتيقتين ، او بسالة ، ١٩٦٨ .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) .

ـ نهاية الارب في فنون الادب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

ياقوت : شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومي (ت ٦٢٦ هـ) .

ـ معجم البلدان ، ٦ أجزاء ، لايبزك ١٩٦٨ .

يحيي : بن الحسين بن القاسم (ت ١١٥٠) .

ـ غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٨ .

اليعقوبي : احمد بن يعقوب بدراخ ، (ت ٢٨٤ هـ) .

ـ البلدان ، ليدن ١٨٩١ ، اوفست مكتبة المثنى ، بغداد .

ـ تأريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ .

ج ـ المصادر العربية الحديثة : (الكتب)

الارياني : مطهر علي .

ففي تأريخ اليمن ، مركز الدراسات اليمنية ، دار الهنا ، القاهرة .

الاهدل : محمد بن علي الاهدل الحسني

الدرر المكنون في اخبار اليمن الميمون ، ط ١ ، مطبعة زهران ، مصر

اولندر : جونار

ملوك كندة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣ .

البري : الدكتور عبد الله خورشيد

القبائل العربية في مصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

الحيدر آبادي : الدكتور محمد حميد الله

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

بافقيه : محمد عبد القادر

تأريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٣ .

شرف الدين : احمد

تأريخ اليمن الثقافي ، مطبعة الكيلاني ، مصر ١٩٦٧ .

العلي : الدكتور صالح احمد

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، دار الطليعة ١٩٦٩ .

علي : الدكتور جواد

تأريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٤ .

كاشف : سيده اسماعيل

مصر في فجر الاسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

نلسن : ديتلف ، وآخرون

التأريخ العربي القديم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .

ماسينيون : لويس

خطط الكوفة ، ط ١ ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان .

د ـ المقالات

العسلي : الدكتور خالد

الاعراب في النقوش العربية القديمة ، مجلة العرب ،

ج ٥ / ١٩٧١ ، دار اليامة للبحث والترجمة والنشر .

العلي : الدكتور صلح احمد

الانسجة في القرنين الاول والثاني ، مجلة الابحاث ، ج ٤ كانون الاول ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ١٩٦١ .

هـ ـ المصادر الاجنبية :

1. Adolf, Gromann,

Kuilurgeschicrte Arabien.

2. Journal of the Economic and Social History of the Orient,

Vol. III, Part 146, Leiden E. J. Brill.

3. Lammens,

La Caliphate du Yazid Beirut 1922.

4. Massignon, Louis,

La Mubahala De Medine Et Lhyperdulie De Fatims, Opera Minora,

Tom I, p. 550, Dar AL -Maaref, Liban, 1963.

5. Miller, J. Inn Es.

The Spice Trade of the Roman Empire, (Oxford 1969).

6. Stark, Freya,

The Southern Gates of Arabia, First edition 1936, England .

المحتويات